الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN: ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧ ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥ ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٣ ـ ٥**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل

علي × يوضح ويبين..

خطبة توضيحية بعد الحرب:

ونذكر هنا رواية ذكر شطرها الأول العلامة المجلسي «رحمه الله»، بعد أن جمع بين أجزائها وضمها إلى بعضها البعض من كتاب شرح نهج البلاغة لابن ميثم..

أما شطرها الثاني، فذكر المجلسي أيضاً بعضه، وذكر باقيه في كنز العمال وفي غيره.. وإليك الرواية بشطريها الأول والثاني، وهي التالية:

1 ـ قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: روى كمال الدين ابن ميثم البحراني مرسلاً: أنه لما فرغ أمير المؤمنين «عليه السلام» من أمر الحرب لأهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة: أن الصلاة الجامعة لثلاثة أيام من غد إن شاء الله، ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

فلما كان اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج «عليه السلام» فصلى بالناس

الغداة في المسجد الجامع، فلما قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة
عن يمين المصلي، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي «صلى الله عليه وآله»، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ثم قال:

يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة، ائتفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة، يا جند المرأة، وأعوان البهيمة. رغا فأجبتم، وعقر فانهزمتم.

أخلاقكم دقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق. بلادكم أنتن بلاد الله تربة، وأبعدها من السماء بها تسعة أعشار الشر. المحتبس فيها بذنبه، والخارج منها بعفو الله.

كأني أنظر إلى قريتكم هذه، وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد، كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر!!

فقام إليه الأحنف بن قيس فقال له: يا أمير المؤمنين، ومتى يكون ذلك؟!

قال: يا أبا بحر، إنك لن تدرك ذلك الزمان، وإن بينك وبينه لقروناً.

ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم، لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً، وآجامها قصوراً، فالهرب الهرب فإنه لا بصيرة لكم يومئذ.

ثم التفت عن يمينه فقال: كم بينكم وبين الأبلة؟!

فقال له المنذر بن الجارود: فداك أبي وأمي أربعة فراسخ؟!

قال له: صدقت، فوالذي بعث محمداً «صلى الله عليه وآله»، وأكرمه بالنبوة، وخصه بالرسالة، وعجل بروحه إلى الجنة، لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال لي: «يا علي هل علمت أن بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الأبلة أربعة فراسخ، وسيكون التي تسمى الأبلة موضع أصحاب العشور، ويقتل في ذلك الموضع من أمتي سبعون ألفاً، شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر.

فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين ومن يقتلهم فداك أبي وأمي؟!

قال: يقتلهم إخوان الجن، وهم جيل كأنهم الشياطين، سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم، قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه. ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلة عند المتكبرين من أهل الزمان، مجهولون في الأرض، معروفون في السماء. تبكي السماء عليهم وسكانها، والأرض وسكانها، ثم هملت عيناه بالبكاء.

ثم قال: ويحك يا بصرة، ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس.

فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين، وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت؟! وما الويح وما الويل؟!

فقال: هما بابان، فالويح باب الرحمة. والويل باب العذاب.

يا ابن الجارود، نعم تارات عظيمة: منها عصبة تقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة تكون بها إخراب منازل، وخراب ديار، وانتهاك أموال، وقتل رجال، وسباء نساء، يذبحن ذبحاً. يا ويل أمرهن حديث عجيب.

منها: أن يستحل بها الدجال الأكبر، الأعور الممسوخ العين اليمنى، والأخرى كأنها ممزوجة بالدم، لكأنها في الحمرة علقة، ناتىء الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها عدة من قتل بالأبلة من الشهداء، أناجيلهم في صدورهم، يقتل من يقتل، ويهرب من يهرب.

ثم رجف، ثم قذف، ثم خسف، ثم مسخ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر وهو الغرق.

يا منذر، إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأول، لا يعلمها إلا العلماء، منها: الخريبة، ومنها: تدمر، ومنها: المؤتفكة.

يا منذر، والذي فلق الحبة، وبرء النسمة، لو أشاء لأخبرتكم بخراب
العرصات عرصة عرصة، متى تخرب، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة!!

وإن عندي من ذلك علماً جماً، وإن تسألوني تجدوني به عالماً لا

أخطئ منه علماً ولا دافئاً**(1)**. ولقد استودعت علم القرون الأول، وما هو كائن إلى يوم القيامة!!

ثم قال: يا أهل البصرة، إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطة شرف ولا كرم إلا وقد جعل فيكم أفضل ذلك، وزادكم من فضله بمنه ما ليس لهم. أنتم أقوم الناس قبلة، قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكة، وقارؤكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس، وعابدكم أعبد الناس، وتاجركم أتجر الناس، وأصدقهم في تجارته، ومتصدقكم أكرم الناس صدقة، وغنيكم أشد الناس بذلاً وتواضعاً، وشريفكم أحسن الناس خلقاً، وأنتم أكرم الناس جواراً، وأقلهم تكلفاً لما لا يعنيه، وأحرصهم على الصلاة في جماعة.

ثمرتكم أكثر الثمار، وأموالكم أكثر الأموال، وصغاركم أكيس الأولاد، ونساؤكم أقنع النساء، وأحسنهن تبعلاً.

سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح، صلاحاً لمعاشكم، والبحر سبباً لكثرة أموالكم، فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً، وظلاً ظليلاً، غير أن حكم الله فيكم ماض وقضاؤه نافذ، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب. يقول الله: **(وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي**

(1) كذا في المصدر.

الْكِتَابِ مَسْطُورًا)(1).

وأقسم لكم يا أهل البصرة، ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلا تذكير

وموعظة لما بعد، لكي لا تسرعوا إلى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله لنبيه «صلوات الله عليه وآله»: **(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)**(2)، ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم، ولا رغبة في شيء مما قبلكم، فإني لا أريد المقام بين أظهركم إن شاء الله، لأمور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني وبين الله، لا عذر لي في تركها، ولا علم لكم بشيء منها، حتى يقع مما أريد أن أخوضها مقبلاً ومدبراً.

فمن أراد أن يأخذ بنصيبه منها فليفعل، فلعمري إنه للجهاد الصافي صفاه لنا كتاب الله، ولا الذي أردت به من ذكر بلادكم موجدة مني عليكم، لما شاققتموني، غير أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لي يوماً وليس معه غيري: إن جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتى أراني الأرض ومن عليها، وأعطاني أقاليدها، وعلمني ما فيها، وما قد كان على ظهرها، وما يكون إلى يوم القيامة، ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر على أبي آدم، علمه الأسماء كلها، ولم

---

(1) الآية 58 من سورة الإسراء.

(2) الآية 55 من سورة الذاريات.

يعلمها الملائكة المقربون.

وإني رأيت بقعة على شاطئ البحر، تسمى البصرة فإذا هي أبعد الأرض من السماء، وأقربها من الماء، وإنها لأسرع الأرض خراباً، وأخشنها تراباً، وأشدها عذاباً.

ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً، وليأتين عليها زمان وإن لكم يا أهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه، وإني لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه، ثم أمور قبل ذلك تدهمكم أخفيت عنكم وعلمناه، فمن خرج [منها] عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له، ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه، وما الله بظلام للعبيد(1).

2 ـ روى يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه عبد الله بن الحسن قال:

كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يخطب بالبصرة بعد دخولها بأيام، فقام إليه رجل، فقال:

يا أمير المؤمنين، أخبرني من أهل الجماعة؟! ومن أهل الفرقة؟! ومن أهل البدعة؟! ومن أهل السنة؟!

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص253 ـ 257 وقد جمع المجلسي الرواية من عدة مواضع من كتاب شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج1 ص289 و292 وج3 ص6.

فقال [أمير المؤمنين «عليه السلام»]: ويحك، أما إذا سألتني فافهم عني، ولا عليك أن لا تسأل عنها أحداً بعدي.

أما أهل الجماعة، فأنا ومن اتبعني وإن قلوا. وذلك الحق عن أمر الله وعن أمر رسوله.

و [أما] أهل الفرقة، [فـ] المخالفون لي ولمن اتبعني وإن كثروا.

وأما أهل السنة، فالمتمسكون بما سنه الله لهم ورسوله وإن قلوا.

وأما أهل البدعة، فالمخالفون لأمر الله تعالى وكتابه ولرسوله، والعاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا.

وقد مضى منهم الفوج الأول، وبقيت أفواج وعلى الله فضها واستيصالها عن جدد الأرض.

فقام إليه عمار، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس يذكرون الفيء، ويزعمون أن من قاتلنا فهو وماله [وأهله] وولده فيء لنا.

فقام رجل من بكر بن وائل، يدعى عباد بن قيس، وكان ذا عارضة ولسان شديد، فقال: يا أمير المؤمنين، والله ما قسمت بالسوية، ولا عدلت بالرعية!!

فقال: ولم، ويحك؟!

قال: لأنك قسمت ما في العسكر، وتركت النساء والأموال والذرية.

فقال [«عليه السلام»]: أيها الناس، من كانت به جراحة فليداوها

بالسمن.

فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا، فجاءنا بالترهات!!

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى يدركك غلام ثقيف.

فقيل: ومن غلام ثقيف؟!

فقال: رجل لا يدع لله حرمة إلا انتهكها.

فقيل: أفيموت أو يقتل؟!

فقال: يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش، يحترق منه دبره، لكثرة ما يجري من بطنه!!

يا أخا بكر، أنت امرؤ ضعيف الرأي، أوما علمت أنَّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير؟! وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة، وتزوجوا على رشدة، وولدوا على فطرة؟! وإنما لكم ما حوى عسكرهم!

و [أما] ما كان في دورهم فهو ميراث [لذريتهم]. فإن عدا [علينا] أحد منهم أخذناه بذنبه، وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر، لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أهل مكة، فقسم ما حوى العسكر، ولم يتعرض لما سوى ذلك. وإنما اتبعت أثره حذو النعل بالنعل.

يا أخا بكر، أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق؟! فمهلاً مهلاً رحمكم الله، فإن لم

تصدقوني وأكثرتم علي ـ وذلك أنه تكلم في هذا غير واحد ـ فأيكم يأخذ عائشة بسهمه؟!

فقالوا: يا أمير المؤمنين، أصبت وأخطأنا، وعلمت وجهلنا. فنحن نستغفر الله تعالى. ونادى الناس من كل جانب: أصبت يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد.

فقام عمار، فقال: أيها الناس، والله إن اتبعتموه وأطعتموه لن يضل عن منهل [منهاج] نبيكم «عليه السلام» حتى قيس شعرة.

وكيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله «صلى الله عليه وآله» علم المنايا والوصايا، وفصل الخطاب، على منهج هارون «عليه السلام» [إذ] وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فضلاً خصه الله به، وإكراماً منه لنبيه «صلى الله عليه وآله» حيث أعطاه ما لم يعطه أحداً من خلقه.

ثم قال أمير المؤمنين: انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به، فامضوا له، فإن العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخس، فإني حاملكم إن شاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاة [الجنة]، وإن كانت فيه مشقة شديدة، ومرارة عتيدة. والدنيا حلوة الحلاوة لمن اغتر بها من الشقوة والندامة عما قليل.

ثم إني أخبركم أن جيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيهم أن لا يشربوا من النهر، فلجوا في ترك أمره، فشربوا منه إلا قليلا منهم، فكونوا رحمكم الله من أولئك الذين أطاعوا نبيهم، ولم يعصوا ربهم.

وأما عائشة فأدركها رأي النساء، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى، والحساب على الله، يعفو عمن يشاء، ويعذب من يشاء(1).

3 ـ وحسب النص الذي أورده المتقي الهندي:

وأما عائشة، فقد أدركها رأي النساء، وشيء كان في نفسها عليَّ، يغلي في جوفها كالمرجل، ولو دُعِيَتْ لتنال من غيري ما أتت إليَّ لم تفعل، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى، والحساب على الله، يعفو عمن يشاء، ويعذب من يشاء.

فرضى بذلك أصحابه، وسلموا لأمره بعد اختلاط شديد، فقالوا:

يا أمير المؤمنين! حكمت والله فينا بحكم الله، غير أنَّا جهلنا، ومع جهلنا لم نأت ما يكره أمير المؤمنين.

وقال ابن يساف الأنصاري:

إن رأياً رأيتموه سفاهاً لخطاء الإيراد والإصدار
ليس زوج النبي تقسم فيئاً ذلك زيغ القلوب والأبصار
فاقبلوا اليوم ما يقول علي لا تَنَاجوا بالإثم في الإسرار

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص221 ـ 223 والإحتجاج (ط بيروت) ج1 ص394 ـ 398 وجمع الجوامع للسيوطي ج2 ص129 وكنز العمال (ط 1) ج8 ص215 و 216 و (ط مؤسسة الرسالة) ج16 ص183 ـ 196 ومتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج6 ص315 ـ 331 وراجع: نهج السعادة ج1 ص372.

لـيس ما ضمت البيوت بفـــيء — إنمـا الفـيء مـا تضـم الأوارى
مـــن كـراع فـي عسكر وسلاح — ومتـــاع يبيـــع أيـــدي التجـــار
ليس في الـحــق قسم ذات نطاق — لا ولا أخـــذكم لـــذات خمـــار
ذاك هــو فيئكـم خـذوه وقولوا — قـد رضـينا لا خيـر فـي الإكثـار
إنـــهـــا أمـــكم وإن عظم الخطـ — ـــب وجـــاءت بزلـــة وعثـــار
فـلـــهـــا حــرمة النـبي وحقـا — ن عليـــنـا مـــن ستـــرها ووقار

فقام عباد بن قيس وقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن الإيمان.

فقال: نعم، إن الله ابتدأ الأمور، فاصطفى لنفسه ما شاء، واستخلص ما أحب، فكان مما أحب أنه ارتضى الاسلام، واشتقه من اسمه، فنحله من أحب من خلقه، ثم شقه فسهل شرائعه لمن ورده، وعزز أركانه على من حاربه، هيهات من أن يصطلمه مصطلم!

جعله سلما لمن دخله، ونوراً لمن استضاء به، وبرهاناً لمن تمسك به، وديناً لمن انتحله، وشرفاً لمن عرفه، وحجة لمن خاصم به، وعلما لمن رواه، وحكمة لمن نطق به، وحبلاً وثيقاً لمن تعلق به، ونجاة لمن آمن به.

فالإيمان أصل الحق، والحق سبيل الهدى، وسيفه جامع الحلية، قديم العدة. الدنيا مضماره، والغنيمة حليته، فهو أبلج منهاج، وأنور سراج، وأرفع غاية، وأفضل دعية، بشير لمن سلك قصد الصادقين، واضح البيان، عظيم الشأن. الأمن منهاجه، والصالحات مناره، والفقه

مصابيحه، والمحسنون فرسانه.

فعصم السعداء بالإيمان، وخذل الأشقياء بالعصيان من بعد اتجاه الحجة عليهم بالبيان، إذ وضح لهم منار الحق وسبيل الهدى.

فالإيمان يستدل به على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت يختم الدنيا، وبالدنيا تخرج الآخرة وفي القيامة حسرة أهل النار، وفي ذكر أهل النار موعظة أهل التقوى، والتقوى غاية لا يهلك من اتبعها، ولا يندم من عمل بها، لأن بالتقوى فاز الفائزون، وبالمعصية خسر الخاسرون.

فليزدجر أهل النهى وليتذكر أهل التقوى، فإن الخلق لا مقصر لهم في القيامة دون الوقوف بين يدي الله، مرقلين في مضمارها نحو القصبة العليا إلى الغاية القصوى، مهطعين بأعناقهم نحو داعيها، قد شخصوا من مستقر الأجداث والمقابر إلى الضرورة أبداً، لكل دار أهلها، قد انقطعت بالأشقياء الأسباب، وأفضوا إلى عدل الجبار، فلا كرة لهم إلى دار الدنيا، فتبرؤا من الذين آثروا طاعتهم على طاعة الله، وفاز السعداء بولاية الإيمان.

فالإيمان يا ابن قيس على أربع دعائم: الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد.

فالصبر من ذلك على أربع دعائم: الشوق، والشفق، والزهد، والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات،

ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات.

واليقين من ذلك على أربع دعائم: تبصرة الفتنة**(1)**، تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة عرف السنة، ومن عرف السنة، فكأنما كان في الأولين، فاهتدى إلى التي هي أقوم.

والعدل من ذلك على أربع دعائم: غائص الفهم، وغمرة العلم، وزهرة الحكم، وروضة الحلم، فمن فهم فسر جميع العلم ، ومن علم عرف شرائع الحكم، ومن عرف شرائع الحكم لم يضل، ومن حلم لم يفرط أمره، وعاش في الناس حميداً.

والجهاد من ذلك على أربع دعائم: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه، ومن شنأ المنافقين وغضب لله غضب الله له.

فقام إليه عمار، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن الكفر على ما بني، كما أخبرتنا عن الإيمان؟!

قال: نعم يا أبا اليقظان! بني الكفر على أربع دعائم: على الجفاء، والعمى، والغفلة، والشك.

فمن جفا فقد احتقر الحق، وجهر بالباطل، ومقت العلماء، وأصر

---

(1) لعل في العبارة بعض النقص.

على الحنث العظيم.

ومن عميَ نسيَ الذكر واتبع الظن، وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة.

ومن غفل حاد عن الرشد، وغرته الأماني، وأخذته الحسرة والندامة، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب.

ومن عتا في أمر الله شك، ومن شك تعالى عليه فأذله بسلطانه، وصغره بجلاله، كما فرط في أمره، فاغتر بربه الكريم، والله أوسع بما لديه من العفو والتيسير.

فمن عمل بطاعة الله اجتلب بذلك ثواب الله، ومن تمادى في معصية الله ذاق وبال نقمة الله.

فهنيئاً لك يا أبا اليقظان عقبى لا عقبى غيرها، وجنات لا جنات بعدها!

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! حدثنا عن ميت الأحياء.

قال: نعم، إن الله بعث النبيين مبشرين ومنذرين، فصدقهم مصدقون، وكذبهم مكذبون، فيقاتلون من كذبهم بمن صدقهم، فيظهرهم الله.

ثم يموت الرسل، فتخلف خلوف.

فمنهم منكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك استكمل خصال الخير.

ومنهم منكر للمنكر بلسانه وقلبه، تارك له بيده، فذلك خصلتان من خصال الخير، تمسك بهما، وضيع خصلة واحدة، وهي أشرفها.

ومنهم منكر للمنكر بقلبه تارك له بيده ولسانه، فذلك ضيَّع شرف الخصلتين من الثلاث، وتمسك بواحدة.

ومنهم تارك له بلسانه وقلبه ويده، فذلك ميت الأحياء.

فقام إليه رجل [عبَّاد بن قيس]، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا على ما قاتلت طلحة والزبير؟!

قال: قاتلتهم على نقضهم بيعتي، وقتلهم شيعتي من المؤمنين: حكيم بن جبلة العبدي من عبد القيس، والسبابجة، والأساورة، بلا حق استوجبوه منهما، ولا كان ذلك لهما دون الإمام، ولو أنهما فعلا ذلك بأبي بكر وعمر لقاتلاهما.

ولقد علم من ههنا من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله»: أن أبا بكر (وعمر(1)) لم يرضيا ممن امتنع من بيعة أبي بكر حتى بايع وهو كاره، ولم يكونوا بايعوه بعد الأنصار.

فما بالي وقد بايعاني طائعين غير مكرهين؟!

ولكنهما طمعا مني في ولاية البصرة واليمن، فلما لم أولهما، وجاءهما الذي غلب من حبهما للدنيا، وحرصهما عليها خفت أن يتخذا عباد الله خولاً، ومال المسلمين لأنفسهما.

فلما زويت ذلك عنهما، وذلك بعد أن جربتهما، واحتججت

عليهما.

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجب هو؟!

قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إنما أهلك الله الأمم السالفة قبلكم بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله عز وجل: **(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)**(1).

وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله عز وجل، فمن نصرهما نصره الله، ومن خذلهما خذله الله، وما أعمال البر والجهاد في سبيله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كبقعة في بحر لجي، فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل، ولا ينقصان من رزق.

وأفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر.

وإن الأمر لينزل من السماء إلى الأرض كما ينزل قطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال.

فإذا أصاب أحدكم نقصاناً في شيء من ذلك، ورأى الآخر ذا

---

(1) نهج السعادة ج1 ص375 ومصباح البلاغة ج1 ص20.

يسار لا يكونن له فتنة، فإن المرء المسلم البرئ من الخيانة لينتظر من الله إحدى الحسنيين: إما من عند الله فهو خير واقع، وإما رزق من الله يأتيه عاجل، فإذا هو ذو أهل ومال، ومعه حسبه ودينه.

المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام.

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن أحاديث البدع.

قال: نعم، سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إن أحاديث ستظهر من بعدي، حتى يقول قائلهم: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كل ذلك افتراء عليَّ.

والذي بعثني بالحق! لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة، كلها ضالة مضلة تدعوا إلى النار.

فإذا كان ذلك، فعليكم بكتاب الله عز وجل، فإن فيه نبأ ما كان قبلكم، ونبأ ما يأتي بعدكم، والحكم فيه بيِّن.

من خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وشفاؤه النافع. عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه. لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيتشعب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلقه كثرة الرد، هو الذي سمعته الجن، فلم تناه أو ولوا إلى قومهم منذرين قالوا: يا قومنا! (**..إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآَنًا**

عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ..)[1]. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم.

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن الفتنة، هل سألت عنها رسول الله؟!

قال: نعم، إنه لما نزلت هذه الآية من قول الله عز وجل: (الم **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)**[2]. علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله «صلى الله عليه وآله» حي بين أظهرنا.

فقلت: يا رسول الله! ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟!

فقال: يا علي! إن أمتي سيفتنون من بعدي.

قلت: يا رسول الله! أوليس قد قلت لي يوم أحد، حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحزنت على الشهادة، فشق ذلك عليَّ، فقلت لي: أبشر يا صديق! فإن الشهادة من ورائك.

فقال لي: فإن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا؟! وأهوى بيده إلى لحيتي ورأسي.

فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله! ليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر!

فقال لي: أجل، ثم قال لي: يا علي! إنك باق بعدي، ومبتلي

---

(1) الآيتان 1 و 2 من سورة الجن.

(2) الآيتان 1 و 2 من سورة العنكبوت.

بأمتي، ومخاصم يوم القيامة بين يدي الله تعالى، فأعدد جواباً.

فقلت: بأبي أنت وأمي! بيِّن لي ما هذه الفتنة التي يبتلون بها، وعلى ما أجاهدهم بعدك؟!

فقال: إنك ستقاتل بعدي: الناكثة، والقاسطة، والمارقة ـ وحلاهم وسماهم رجلاً رجلاً ـ ثم قال لي: وتجاهد أمتي على كل من خالف القرآن ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا رأي في الدين، إنما هو أمر من الرب ونهيه.

فقلت: يا رسول الله! فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة.

فقال: نعم، إذا كان ذلك فاقتصر على الهدى، إذا قومك عطفوا الهدى على العمى، وعطفوا القرآن على الرأي فتأولوه برأيهم، تتبع الحجج من القرآن بمشتبهات الأشياء الكاذبة عند الطمأنينة إلى الدنيا، والتهالك، والتكاثر، فاعطف أنت الرأي على القرآن إذا قومك حرفوا الكلم عن مواضعه عند الأهواء الساهية، والأمر الصالح، والهرج الآثم، والقادة الناكثة، والفرقة القاسطة، والأخرى المارقة. أهل الإفك المردي، والهوى المطغى، والشبهة الحالقة. فلا تنكلن عن فضل العاقبة، فإن العاقبة للمتقين.

وإياك يا علي أن يكون خصمك أولى بالعدل والإحسان، والتواضع لله، والإقتداء بسنتي، والعمل بالقرآن منك! فإن من فلج الرب على العبد يوم القيامة أن يخالف فرض الله أو سنة سنها نبي، أو

يعدل عن الحق ويعمل بالباطل، فعند ذلك يملي لهم فيزدادوا إثما. يقول الله. (..**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا..**)(1)، فلا يكونن الشاهدون بالحق، والقوامون بالقسط عندك كغيرهم.

يا علي! إن القوم سيفتنون ويفتخرون بأحسابهم وأموالهم، ويزكون أنفسهم، ويمنون دينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون عقابه، ويستحلون حرامه بالمشتبهات الكآبة(2)، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع. ويمنعون الزكاة، ويطلبون البر، ويتخذون فيما بين ذلك أشياء من الفسق لا توصف صفتها، ويلي أمرهم السفهاء، ويكثر تتبعهم على الجور والخطاء، فيصير الحق عندهم باطلاً، والباطل حقاً، ويتعاونون عليه، ويرمونه بألسنتهم، ويعيبون العلماء، ويتخذونهم سخرياً.

قلت: يا رسول الله! فبأية المنازل هم إذا فعلوا ذلك، بمنزلة فتنة، أو بمنزلة ردة؟!

قال: بمنزلة فتنة، ينقذهم الله بنا أهل البيت عند ظهورنا السعداء من أولي الألباب، إلا أن يدعوا الصلاة، ويستحلوا الحرام في حرم الله، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر.

يا علي! بنا فتح الله الإسلام، وبنا يختمه، بنا أهلك الأوثان ومن

---

(1) الآية 178 من سورة آل عمران.

(2) هذه الكلمة غير واضحة المعنى.

يعبدها، وبنا يقصم كل جبار وكل منافق، حتى إنَّا لنقتل في الحق مثل من قتل في الباطل.

يا علي! إنما مثل هذه الأمة مثل حديقة أطعم منها فوجاً عاماً، ثم فوجاً عاماً، فلعل آخرها فوجاً أن يكون أثبتها أصلاً، وأحسنها فرعاً، وأحلاها جنى، وأكثرها خيراً، وأوسعها عدلاً، وأطولها ملكاً.

يا علي! كيف يهلك الله أمة أنا أولها، ومهدينا أوسطها، والمسيح ابن مريم آخرها.

يا علي! إنما مثل هذه الأمة كمثل الغيث لا يدرى أوله خير أم آخره!! وبين ذلك نهج أعوج، لست منه وليس منى.

يا علي! وفي تلك الأمة يكون الغلول والخيلاء، وأنواع المثلات، ثم تعود هذه الأمة إلى ما كان خيار أوائلها، فذلك من بعد حاجة الرجل إلى قوت امرأته ـ يعني غزلها ـ حتى إن أهل البيت ليذبحون الشاة فيقنعون منها برأسها، ويولون ببقيتها من الرأفة والرحمة بينهم(1).

---

(1) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج16 ص183 ـ 197 عن وكيع. وراجع: متخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج6 ص315 ـ 331 ونهج السعادة ج1 ص372 فما بعدها، وجمع الجوامع للسيوطي ج2 ص129.

وذكر الشطر الأول من هذا الحديث في: الإحتجاج للطبرسي (ط بيروت) ج1 ص394 ـ 398 وتلخيص الشافي ج2 ص274 وبحار الأنوار ج32 ص221 ـ 223.

4 - وثمة نص آخر تقدمت مضامينه في الرواية الآنفة الذكر، ولكننا نورده لشدة التفاوت والإختلاف بينه وبينه، وهو التالي:

قال العلامة المجلسي: أقول: قال ابن ميثم، وابن أبي الحديد: هذا الخبر رواه كثير من المحدثين عن علي (عليه السلام) قال:

«**إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي:** إن الله كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين.

قال: فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي كتب [علي] فيها الجهاد؟

قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنة.

فقلت: يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟

قال: على الإحداث في الدين، ومخالفة الامر.

فقلت: يا رسول الله أنت كنت وعدتني الشهادة، فاسأل الله أن يعجلها لي بين يديك.

قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟!

أما إني قد وعدتك الشهادة، وستستشهد، تضرب على هذه، فتخضب هذه فكيف صبرك إذا؟

فقلت: يا رسول الله ليس هذا بموطن صبر، هذا موطن شكر.

قال: أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك تخاصم.

فقلت: يا رسول الله لو بينت لي قليلاً.

فقال: إن أمتي ستفتتن من بعدي، فتتأول القرآن وتعمل بالرأي، وتستحل الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، وتحرف الكتاب عن مواضعه.

وتغلب كلمة الضلال، فكن حلس بيتك حتى تُقَلَّدَها، فإذا قُلِّدتَها جاشت عليك الصدور، وقلبت لك الأمور، فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى.

فقلت: يا رسول الله، فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين؟ أبمنزلة فتنة! أم بمنزلة ردة؟

فقال: [أنزلهم] بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل.

فقلت: يا رسول الله، أيدركهم العدل منا: أم من غيرنا؟

قال: بل منا، فبنا فتح [الله]، وبنا يختم. وبنا ألف بين القلوب بعد الفتنة.

فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله»(1).

---

(1) بحار الأنوار ج 32 ص 243 وفي هامشه رواه ابن ميثم «رحمه الله» في آخر شرحه على المختار (156) من نهج البلاغة: ج 3 ص 265 ط 3 . وأما ابن أبي الحديد فهو أيضاً رواه في شرح المختار المذكور (ط بيروت) ج3 ص277 وفي (ط مصر) ج 9 ص 206 .

ونقول:

تضمن هذا النص والذي سبقه أموراً كثيرة مهمة، يحتاج استخلاصها إلى توفر تام، ووقت طويل.. وقد يحتاج إلى تأليف مستقل، وحيث إن ذلك غير ميسور لنا في هذا الظرف بالذات، فإننا سنعقد لهذه التوضيحات والإستفادات والمناقشات فصلاً مستقلاً وهو الفصل التالي..

الفصل السابع:

وقفات مع ايضاحات علي ×..

الصلاة الجامعة ثلاثة أيام:

إن أول ما يطالعنا في هذه الرواية المطولة أنها تقول: إنه «عليه السلام» أمر بأن ينادى في الناس: ان الصلاة الجامعة لثلاثة أيام.. أي أنه «عليه السلام» أراد فور انتهائه من حرب الجمل، والجرح لمّا يندمل، ولم تهدأ النفوس، ولم تنس الأهوال بعد، ولم تصبح من الماضي ـ أراد ـ «عليه السلام» أن يسارع إلى ترميم ما تهدم وإعادة تأهيل الناس للمواطنة الصالحة، وإصلاح الخلل الذي أوردته حرب الجمل على اعتقادات الناس، ومفاهيمهم، وعلاقاتهم، وعلى مجمل حياتهم، وأن يصحح مسارهم، ويقتلع من نفوسهم تلك الخبائث التي أنبتتها الحرب الظالمة، وغذتها الشائعات المغرضة، والإعلام المسموم، والشبهات والأضاليل..

لقد أراد «عليه السلام» على مدى ثلاثة أيام أن يزيل غشاوات الأحقاد، عن عيون الناس، وأن يقتلع الشبهات من عقولهم، وأن يعيد

الصفاء إلى قلوبهم، والطمانينة والسكينة إلى نفوسهم.. وتنقيتها وتطهيرها من الشوائب التي علقت بها، وبث نور الهداية فيها، من خلال اوبتها إلى الحق، وتوبتها مما اقترفه..

وهذه هي سمات الأنبياء والاوصياء الذين لا يريدون أن يحكموا الناس بالجبرية والقهر، وإنما يريدون صنع إنسانيتهم، بالوسائل المرضية عند الله، وتصفية نفوسهم، وتطهير أرواحهم وفق شرع الله..

الحضور الإلزامي لماذا؟!:

وقد صرحت الرواية بأنه «عليه السلام» قد الزم الناس بالحضور إلى الصلاة الجامعة، وتهددهم على التخلف. وهذا هو ما تفعله الأم بطفلها، الذي ترى أن الداء يفتك به وهو يأبى العلاج، أو يرفض شرب الدواء، فتأخذه تلك الأم برفق، وتسقيه الدواء، وتعالجه بما ينبغي له بالرغم عنه..

وهذا الإكراه لا ينافي تلك الرأفة والرحمة، بل هو شعبة منها..

الغيب في خطاب علي ×:

وقد تحدث «عليه السلام» مطولاً عما جرى وسيجري على البصرة، فذكر لهم أنها ائتفكت ـ أي انقلبت ـ بأهلها ثلاث مرات، وأخبر عن أن الرابعة آتية أيضاً..

ثم أخبر عن أمور أخرى ستحصل في البصرة، او بالقرب منها..

وبعضها لا يحصل في زمانه، أو في القريب منه، بل سيأتي بعد قرون وقرون.. ربما ليؤكد لهم على أنه «عليه السلام» وحده الذي اختصه رسول الله صلى الله عليه وآله بالعلوم التي لا تكون إلا لنبي أو وصي نبي..

إنه يريد أن يكرس هذا الأمر في الناس، ويفهمهم أن خلافته «عليه السلام» ليست على حد خلافة غيره، وإنما هي خلافة النبوة، وإمامة ربانية بالمعنى الدقيق للكلمة..

المطلوب هو نشر أخبار الغيب:

وقد طلب «عليه السلام» منهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب عنهم، لكي ينتشر ذلك في كل بلد، وليتداوله الناس كابراً عن كابر، ربما لأجل نفس السبب الذي ذكرناه، وهو أن يبلغهم بذلك إمامته، وتظهر للحاضر والغائب، ولمن سوف يأتي من الأجيال.. لأن إمامته لا ينحصر دورها أثرها بزمان دون زمان، ولا بفئة دون أخرى، ولا بجيل دون آخر..

وليكن هذا من وسائل إثبات إمامته لهم، وهذا غاية الرفق بهم، والرعاية لحالهم..

وكما يعطي هذا المزيد من الوضوح لمفهوم الإمامة، فإنه يؤكد ارتباطها بالوحي الإلهي، وانطلاقها منه، وانتهائها إليه..

كما أنه يضفي عليها معنى القداسة، ويدعوهم الالتزام بها، وإلى

الطاعة لها، وبذل الجهد في الذب عنها..

شهيدهم بمنزلة شهداء بدر:

وإذا نظرنا إلى الأمور بموضوعية وتجرد، فإننا ندرك أن المطلوب هو حفظ هذا الدين للأمة، وللأجيال، وعدم التفريط به.

وانجاز هذا المهم قد يحتاج إلى تضحيات كبيرة وخطيرة، وقد تصل الأمور فيه إلى الحد الذي يصبح مصير أهل الحق على المحك: إما النصر أو الشهادة.

تماماً كما كان الحال بالنسبة لأهل بدر في مواجهة المشركين..

وهذه اللحظات هي أعظم ما يمكن أن يواجهه البشر في حياتهم، ولها ثوابهاالعظيم الذي يتنامى ويزداد بمقدار ازدياد احتمالات الشهادة لديهم، وبما أن هذه الإحتمالات كانت عالية جداً في حرب بدر، فإن ثواب أهل بدر كان عظيماً، وعظيماً جداً..

وقد أخبر «عليه السلام» أن المؤمنين من أهل البصرة سيواجهون اعداءهم بمثل ما واجه به أهل بدر أعداءهم.. وستصل احتمالات الشهادة إلى المستويات التي بلغتها في حرب بدر أيضاً، فمن الطبيعي أن يكون ثواب أولئك المؤمنين في جهادهم في مثل هذه الحالات مماثلاً لثواب هؤلاء..

تفسير بضع كلمات:

التارات: جمع تارة، وهي المرة والمرات.

الدجال الأكبر: إشارة إلى وجود دجالين كثر.

الجوع الأغبر: اي الذي يوجب شحوب الوجه لشدته.

التوبيخ.. والثناء:

وقد تضمنت الرواية المتقدمة توبيخاً وذماً منه «عليه السلام» لأهل البصرة، ثم عقبه بالثناء عليهم، بما لا مزيد عليه..

وحيث إن ذلك قد يوهم أن هذا من التناقض الذي يتنزه عنه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد بادر «عليه السلام» إلى إيضاح الامر، لكي لا تتسرب الشبهة إلى القلوب، فبيّن «عليه السلام» في نفس هذه الخطبة أن التوبيخ كان اجراءً وقائياً يهدف إلى منعهم من تكرار الخطأ الذي ارتكبوه بخروجهم عليه مع الناكثين..

كما أن الثناء لم يكن سببه الخوف منهم، ولا الطمع بشيء من قبلهم..

ولعلك تقول:

إن التدقيق في مضمون كلامه «عليه السلام» يعطي أن الثناء على أهل البصرة، قد تجاوز الحدود بحسب ظاهر الأمر، فقد فضلهم في عدد من الأمور التي ذكرها على جميع من عداهم..

وقد يجاب: بأن من الممكن فهم الكلام بطريقة أخرى، تبقيه ضمن الحدود المعقولة والمقبولة.. بأن يقال: المراد بقسم من الفقرات هو الثناء على أشخاص منهم، وهم قارئ، وزاهد، وعابد، مثلاً، ولا يريد

أن يثني على فئات وجماعات موصوفة بهذا الوصف أو بذاك..

أما سائر الفقرات، فهي لا توجب لهم كبير فضل، وان كانت تتحدث عن نعم متميزة فازوا بها على من سواهم..

أما وصفهم بأنهم أحرص الناس على الصلاة في جماعة فلعله يشير إلى فضيلة لهم في ذلك..

ولكنها فضيلة لا تعني الشيء الكثير، إذا لم يثبت أنهم كانوا ينتفعون بهذه الجماعة بالنحو الذي يريده الله سبحانه وتعالى لهم.. وليس في كلامه «عليه السلام» ما يشير إلى شيء من ذلك..

إيضاحات يسيرة:

ومن المفردات التي تحتاج إلى توضيح، نذكر ما يلي:

قال المجلسي «رحمه الله»:

فلان ذو عارضة: أي ذو جلد وصرامة، وقدرة على الكلام. ذكره الجوهري.

وقال: قال الأصمعي: الترهات: الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها. الواحدة: ترهة. فارسي معرب، ثم استعير في الباطل.

وقال: يقال: بينهما قيس رمح، وقاس رمح: أي قدر رمح. والعتيد: الحاضر المهيأ(1).

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص223.

أهل البيت هم المرجعية الحقيقية:

إن أول ما ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» في جواب هذا السائل أمور هي:

الأول: طلبه من السائل فهم ما يلقيه إليه بدقة وتبصر، مما يعني: أن سؤاله كان عن أمر دقيق وحساس. فيحتاج إلى التدقيق في مرامي الإجابة التي سوف يسمعها منه «عليه السلام».

الثاني: ثم أفهمه أن الإجابة التي سيسمعها منه ستكون جامعة ودقيقة، وستغنيه عن سؤال أي كان من الناس..

الثالث: إن هذا يدل على أنه «عليه السلام» هو المرجعية الحقيقية للناس في أمور معاشهم ومعادهم، وفي كل ما يعنيهم. لأنه من أهل الذكر الذين قال الله عنهم: (..**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**)[1].

الرابع: إن هذا يؤيد مضمون الكلام المروي عن الإمام الباقر «عليه السلام» حيث قال: «فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم الا هيهنا»[2].

---

(1) الآية 43 من سورة النحل.

(2) راجع: بصائر الدرجات ص29 و 30 والكافي ج1 ص51 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج27 ص18 و 19 و (الإسلامية) ج18 ص8 ومستدرك الوسائل ج17 ص273 و 274 والإحتجاج للطبرسي ج2 ص69

والمروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «فليشرق الحكم [بن عتيبة] وليغرب. أما والله لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل»(1).

والمراد: أنه نزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي هو سيد أهل البيت، فاستفادوا علومهم منه «صلى الله عليه وآله».

ومن الواضح: أن الذي يستغني بعلمه عن كل أحد هو صاحب العلم الصحيح المطابق للواقع..

الخامس: إن هذا يشير بنحوٍ أو بآخر: إلى أن علومهم «عليهم السلام» هي مما اختصهم الله تعالى بها دون سائر البشر. فكانوا هم دون سواهم ورثة علم النبوة..

السادس: إنه يدل أيضاً على عصمتهم عن الخطأ في تلقيِّ العلوم والمعارف، وفي تبليغها وأدائها للناس..

والمحتضر ص29 ومنية المريد ص188 والفصول المهمة للحر العاملي ج1 ص521 وبحار الأنوار ج2 ص65 و 91 وج23 ص101 وج42 ص142 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج10 ص168.

(1) راجع: بصائر الدرجات ص29 والكافي ج1 ص399 و 400 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج27 ص69 و (الإسلامية) ج18 ص47 ومستدرك الوسائل ج17 ص274 وبحار الأنوار ج2 ص91 وج46 ص335 وتفسير نور الثقلين ج1 ص33 و 34.

الإحتجاج بالنص:

وقد تضمنت إجابته «عليه السلام» على السؤال المتعلق بأهل الجماعة: تصريحاً بأن جوابه ليس اجتهاداً من عنده، ولا ادعاء لأمر غامض. وإنما هو التزام وبيان، أو تذكير بما ورد عن الله ورسوله. فإذا وجد النص والبيان من الله ورسوله لم يبق مجال للإجتهاد والرأي من أي كان من الناس.. وهذا ما أشار إليه بقوله: «وذلك الحق عن أمر الله ورسوله».

وبذلك يبطل ما يقوله الآخرون، من أن أتباع معاوية، وأتباع عائشة وغيرهما من المخالفين لعلي «عليه السلام» هم أهل الجماعة. لأن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: إن الذين يخالفون علياً «عليه السلام» ويخالفون أتباعه وشيعته الآخذين عنه هم أهل البدعة، لأنهم يخالفون أمر الله وأمر رسوله فيه..

الكثرة والقلة:

وقد صرح «عليه السلام»: بأن المعيار في السنة والجماعة ليس هو كثرة الناس وقلتهم، بل هو اتِّباع أمر الله ورسوله في علي «عليه السلام» وفي شيعته، فمن رضي وأطاع أمر الله وأمر رسوله فيه، فهو من أهل الجماعة والسنة وإن قلوا عدداً. أما أهل البدعة والفرقة، فهم مخالفوه وإن كثروا عدداً.

وقد لوحظ: أن المخالفين له «عليه السلام»، والمناوئين له منذ

استشهاد الرسول «صلى الله عليه وآله» وإلى يومنا هذا هم الأكثر عدداً.

وقد أخبر «عليه السلام» أنه ستأتي بعده أفواج منهم. وقد تحقق ما أخبر به.

وهذا إخبار غيبي منه، قد شهدنا، ولا زلنا نشهد صدقه عبر الأجيال إلى يومنا هذا..

لأهل البدعة خصوصية:

والمتأمل في كلامه «عليه السلام»، يجد: أنه اقتصر في التعريف بقسمي أهل الجماعة، وأهل الفرقة على ذكر المخالفة لأمر الله، وأمر رسوله «صلى الله عليه وآله»، أو موافقتهما. واقتصر في تعريفة لأهل السنة على اتِّباع ما سنه الله ورسوله.

ولكنه في القسم الرابع، وهم أهل البدعة أضاف إلى مخالفة الله تعالى ومخالفة رسوله أمرين آخرين هما مخالفة الكتاب والعمل بالرأي والهوى. وربما كان ذلك من أجل أن أوامر الله ورسوله منها ما هو تشريع وبيان حكم، ومنها ما هو أمر ولائي وتدبيري، يقصد به إصلاح أمورهم الآنية بحسب ما تقتضيه الظروف والأحوال، كأمره «صلى الله عليه وآله» للرماة في حرب أحد بأن لا يغادروا الثغرة التي كانوا عليها حتى لو رأوهم يقتلون..

وكأمره «صلى الله عليه وآله» لهم بحفر الخندق.. ونحو ذلك.

وكذا الحال بالنسبة لطالوت حين نهاهم عن الشرب من النهر حين يصلون إليه.. فلعله «صلى الله عليه وآله» أراد أن يفهمهم أن العمل بالرأي والهوى، ومخالفة الكتاب، مشمول لمعنى البدعة.. ولا تقتصر البدعة على التشريع وحسب.

لماذا الجرأة؟!:

وقد لفت نظرنا: أن الناس من أصحاب أمير المؤمنين ومن غيرهم كانوا يصارحونه «عليه السلام» بكل شيء، ويواجهونه بكل ما يخطر على بالهم.. مما لو واجهوا به غيره من الخلفاء والملوك والسلاطين، والأمراء، أو رؤساء القبائل، أو أياً من أصحاب النفوذ مهما كان ضعيفاً لوجدوهم مسارعين إلى البطش بهم، والتماس الوسائل للإنتقام منهم، وإيذائهم بأي شيء تناله أيديهم.

ويكفي أن نتذكر قولهم: إن درة عمر التي يضرب بها الناس بحق وبغير حق أهيب من سيف الحجاج..

ولكن علياً «عليه السلام» يبقى كالجبل الراسخ والكهف المنيع الذي يأمن عنده الخائفون، والمدرسة التي تعلم الناس الأدب والدين، والمنارة للعلم والمعرفة، الذي يتخذ من جرأتهم عليه ذريعة لتعليمهم، وسبيلاً لتفهيمهم، بالكلمة الطيبة، والبيان الرصين والواضح..

ولذلك نجد: أن عبَّاد بن قيس يتهمه بالباطل، ويقول له، مقسماً بالله: ما قسمت بالسوية، ولا عدلت بالرعية.. فيعرض «عليه السلام»

عن جوابه، وكأنه لم يسمع شيئاً، ويواصل حديثه ونصائحه للناس في اتجاه آخر، لا ربط له بحسب الظاهر بهذا الكلام الجارح..

ولكن عبَّاداً يمعن في التعدي والتجريح، فيقول: «جئنا نطلب غنائمنا، فجاء بالترهات».

وإذ بأمير المؤمنين يواجه مرة أخرى الإساءة بالإحسان، فقال «عليه السلام»: إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى يدركك غلام ثقيف..

فلما سئل «عليه السلام» عن غلام ثقيف، أجابهم بما دل على أنه من الطغاة والجبارين..

فيلاحظ هنا:

أولاً: إنه «عليه السلام» لم يتهم هذا المتجرئ عليه بالكذب بصورة حاسمة، بل ساق كلامه على سبيل التقدير والإفتراض.

ثانياً: إنه لم يعط لنفسه الحق في عقوبة هذا المتجرئ عليه والمعتدي، كما أنه لم يقل له: إني أسأل الله أن يبتليك بغلام ثقيف فينكل بك.. بل تحدث عن مجرد إدراكه له..

ثالثاً: إنه إذا أدرك غلام ثقيف، فسيجد البون الشاسع بين علي «عليه السلام» وهو الإنسان الإلهي، وبين سائر الناس، فما بالك بالطغاة وأهل المعاصي الذين يعتدون على حرمات الله تعالى..

رابعاً: إنه «عليه السلام» قد بيَّن لهذا المتجرئ: أنه يعتدي على رجل ليس فقط لا ينتهك حرمات الله، بل هو أيضاً ممن اختصه الله تعالى، ورسوله «صلى الله عليه وآله» بعلوم غيبية خاصة، ليست

لدى أي كان من الناس. وإخباره إياه عن غلام ثقيف شاهد صدق على ذلك. وهل يختص الله ورسوله بهذه الأسرار الدقيقة التي تشمل أدق التفاصيل إلا الخلَّص وأهل الكرامة من عباده؟!

لماذا لم يسترق ولم يقسم الأموال؟!:

وبعد أن أثبت له أنه يتكلم من موقع العالم، المطلع على حقائق الأمور، العالم بالغيوب بأدق تفاصيلها، وأن عمله ليس مجرد استنسابات، أو حدسيات، أو ظنون وآراء. انتقل إلى بيان منطلقاته الشرعية فيما أقدم عليه من تصرفات وسياسات. ليوقفه على هذه الأحكام الشرعية من خلال هذه المنطلقات. وعلى أساس معاييرها وضوابطها العقلية، والشرعية والإيمانية التي لا مجال للمراء فيها، فلاحظ ما يلي:

أولاً: لقد ذكر «عليه السلام» أربع قواعد:

1 ـ إنه لا يجوز أخذ الصغير بذنب كبير..

2 ـ أن أموالهم كانت لهم بحكم الشرع والدين قبل الفرقة.

3 ـ كان زواجهم صحيحاً.

4 ـ وولد لهم أولاد على فطرة الإسلام.

فإذا ارتكب أحدهم جرماً، فإنه يعاقب بجرمه، ويصادر كل ما استعان به في تنفيذ جريمته، وهو هنا ما حوى عسكرهم.

وأما ما عدا ذلك، فهو ملك لهم قبل الجريمة، فهو إذن ميراث

لأزواجهم وذرياتهم، لأن الزوجة ترث زوجها، والولد يرث أباه، فلا معنى لحرمان الوارث من إرثه، لأن الوارث لم يرتكب ذنباً، وهو على ملة الإسلام، والمال مال مورثه. كما أن الزوجة مسلمة، وزواجها صحيح شرعاً. ولم تشارك في الجريمة. فلا يصح أن نحمِّل الزوجة ذنب زوجها، وأن نحمِّل الولد ذنب أبيه.

ثانياً: قد يتوهم متوهم: أن هذا الذي ذكره «عليه السلام» هو مجرد اجتهاد منه، فدفع «عليه السلام» هذا الوهم بأن قدَّم نموذجاً عملياً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في فتح مكة، حيث قسَّم ما حوى العسكر، ولم يتعرض لما سوى ذلك. وإنما اتبع «عليه السلام» أثر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حذو النعل بالنعل..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» أعطى قاعدة جامعة، وهي: أن دار الحرب ـ يعني الحرب مع الكافرين ـ يحل ما فيها. أما دار الإسلام، التي يجب أن يهاجر إليها كل مسلم، فإنه يحرم ما فيها..

رابعاً: استدل «عليه السلام» بدليل حاسم يظهر التناقض في مواقفهم.. وذلك حين بيَّن لهم: أنه لو أخذ بقاعدتهم التي تقول بلزوم استرقاق من بقي من محاربيه حياً، ولزوم أخذ أموال الأموات، وسبي نسائهم. لوجب أن يسترقوا أم المؤمنين عائشة، لأنها هي التي كانت تتزعم تلك الحرب وتمسك بزمام القيادة فيها..

فإن لم يفعلوا ذلك، فلا بد من بيان سبب استثنائها من تلك القاعدة التي استحلوا بموجبها سبي سائر النساء والذرية، وأخذ أموالهم..

قال العلامة العسكري «رحمه الله»:

إنما التبس الأمر عليهم في ذلك لما كانوا قد شاهدوه من سيرة أول الخلفاء مع من حاربه، ممن امتنعوا من أداء الزكاة إليه، فإنه لم يفرق بينهم وبين غيرهم من القبائل العربية التي ارتدت في الجزيرة العربية بعد رسول الله وسائر المشركين، وعامل الجميع معاملة واحدة(1).

أدركها رأي النساء:

وقد تحدث «عليه السلام» عن عائشة، فلم يَقْسُ عليها كما ربما يتوقعه الناس من أي إنسان يريد أن يتكلم عن عدوه المحارب له، فكيف بمن كان سبباً في قتل عشرات الألوف من المسلمين.. بل كان «عليه السلام» رفيقاً بها، لأنه يريد أن يحفظ بها حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فاقتصر في خطبته هذه على الإشارة إلى أمور، هي التالية:

1 ـ ذكر أنها أدركها رأي النساء، فإن رأيهن يكون في الغالب قاصراً وضعيفاً، وقد ورد: إياكم ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن (أي ضعف) وعزمهن إلى وهن(2).

ولعل هذا الأمر كان مفهوماً ومتداولاً بين الناس آنئذ.. وقد يكون

---

(1) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص252.

(2) راجع: أحاديث أم المؤمنين عائشة ج1 هامش ص247.

من أسباب ضعف رأيهن: أنهن ينسقن في آرائهن مع عواطفهن وميولهن، ومصالحهن الشخصية.

وهذا ما أثبته «عليه السلام» في الفقرة التالية، التي فيها: أن من أسباب اندفاعها إلى شن تلك الحرب، هو: أن شيئاً يغلي في جوفها كالمرجل. (يلاحظ: أنه لم يقل: حقداً أو غلاً، بل أوكل ذلك إلى فهم السامع أو القارئ).

2 - ذكر «عليه السلام»: أنها لو دعيت لتنال من غيره ما أتت به إليه، لم تفعل..

وهذا في حقيقته، كالدليل على ما ذكره من خطل رأيها وضعفه وفساده.. لأن الرأي الصواب والمرتكز على مبررات متينة لا بد أن يطبق على كل الموارد المشابهة. فإذا صار التطبيق انتقائياً، علم أن هناك مؤثرات أخرى غير عقلائية وراء ذلك الرأي.

3 - ثم إنه «عليه السلام» بيَّن: أن الحرمة التي اكتسبتها من زوجيتها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لا تزال باقية لها، لأن هذه الزوجية باقية بعد الحرب كما كانت قبل الحرب.. فكما كان يحرم الزواج منها قبل الحرب بسبب كونها زوجة الرسول «صلى الله عليه وآله» وأماً للمؤمنين، فإن هذا الحكم باق بعد الحرب، لأن الزوجية باقية ولم تذهب عنها..

4 - ثم جاء قوله «عليه السلام»: «والحساب على الله، يعفو عمن يشاء، ويعذب من يشاء»، ليقرر: أن زوجيتها لرسول الله «صلى الله

عليه وآله»، وكونها أماً للمؤمنين يحرم عليهم الزواج منها، لا يعني أن كل ذنبها مغفور، وكل سعيها مشكور، حتى لو قتلت عشرات الألوف من المسلمين، وحاربت إمامها، وانتهبت بيوت الأموال وما إلى ذلك.. لأن موضوع حرمة الزواج منها إكراماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يعدو كونه حكماً شرعياً يجب على الناس الإلتزام به في جميع الظروف والأحوال.. سواء أحسنت أو أساءت.

وأما ما تأتيه من ذنوب، فأمرها فيه إلى الله، فهو تعالى يحاسبها عليه، فيعفو عمن يشاء، ويعذب من يشاء..

فوجوب رعاية حرمة الرسول فيها لا يلازم عفو الله تعالى عنها.. ولا صيرورتها مغفورة الذنب..

أسباب بغض عائشة لأمير المؤمنين ×:

تقدم قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن عائشة كانت تحقد عليه، وأن في صدرها شيء يغلي مثل المرجل.. ولم يفصل لنا أسباب حقدها هذا.. وقلنا هناك: إنه لم يصرح هنا حتى بكلمة حقد، بل استبدلها بكلمة شيء، لأنه كان خطاباً عاماً، ولم يكن يريد أن يتداول الناس حتى الأوباش والأراذل هذه التعابير الحادة، لأن ذلك يجرؤهم على ما هو أبعد وأسد.. ولكنه ذكر تفصيل ذلك في مورد آخر. ونحن نذكر هنا ما ذكره «عليه السلام» من أسباب، فقد روي عن عمر بن أبان قال:

لمّا ظهر عليّ «عليه السلام» على أهل البصرة جاءه رجال منهم، فقالوا: ما السبب الذي دعا عائشة بالمظاهرة عليك، حتّى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت؟! وهي امرأة من النساء، لم يكتب عليها القتال، ولا رخص لها في الخروج من بيتها، ولا التبرج بين الرجال؟!

فقال عليّ «عليه السلام»: سأذكر أشياء مما حقدتها عليّ، ليس في واحد منها ذنب إليها، ولكنها تجرّمت بها عليّ:

أحدها: تفضيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» لي على أبيها، وتقديمه إيّاي في مواطن الخير عليه، فكانت تضطغن ذلك عليَّ، فتعرفه منه فتتبع رأيه فيه.

ثانيها: لمّا آخى بين أصحابه آخى بين أبيها وبين عمر بن الخطاب، واختصّني بأخوته، فغلظ ذلك عليها وحسدتني منه(1).

ثالثها: أوصى النبيّ بسدّ أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه إلاّ بابي، فلما سد باب أبيها وصاحبه، وترك بابي مفتوحاً في المسجد،

---

(1) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج2 ص150 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص22 وسنن الترمذي ج5 ص595 والمستدرك للحاكم ج3 ص14 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص184 - 189 وعمدة عيون صحاح الأخبار ص166 - 175 وكفاية الطالب ج2 ص194 وذخائر العقبى ص66 ووفاء الوفاء ج1 ص268 ونهج الحق ص217 - 218 وإحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص461 - 468.

تكلّم في ذلك بعض أهله.

فقال النّبيّ «صلى الله عليه وآله»: «ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب عليّ، بل الله عزّ وجلّ سد أبوابكم وفتح بابه»(1).

فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه، وتكلّم في أهله بشيء سمعته منه ابنته، فاضطغنته عليّ.

[رابعها:] وكان النّبيّ «صلى الله عليه وآله» أعطى أباها الراية يوم خيبر، وأمره ألا يرجع حتّى يفتح أو يقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم.

فأعطاها في الغد عمر بن الخطاب، وأمره بمثل ما أمر صاحبه، فانهزم ولم يلبث، فساء رسول الله ذلك، وقال لهم ظاهراً معلناً: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه(2).

---

(1) لاحظ: مسند أحمد ج4 ص369 وفضائل الصحابة ج2 ص581 - 582 وخصائص النسائي ص98 والمستدرك للحاكم ج3 ص125 وحلية الأولياء ج4 ص153 ومناقب ابن المغازلي ص257 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص190 وعمدة صحاح عيون الأخبار ص175 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص173 وكفاية الطالب ص203 و 204 ونهج الحق ص217 وإحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص540 - 586.

(2) انظر: مسند أحمد ج1 ص99 وصحيح البخاري ج5 ص76 وسنن الترمذي ج5 ص596 وخصائص النسائي ص54 والمستدرك للحاكم ج3 ص38 وحلية الأولياء ج1 ص62 ومناقب ابن المغازلي ص176 - 189

فأعطاني الراية، فصبرت حتى فتح الله على يدي.

فغم ذلك أباها وأحزنه، فاضطغنه علي، وما لي إليه ذنب في ذلك، فحقدت لحقد أبيها.

[خامسها:] وبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أباها ليؤدي سورة براءة، وأمره أن ينبذ العهد للمشركين، وينادي فيهم، فمضى حتى انحرف، فأوحى الله إلى نبيه «صلى الله عليه وآله»: أن يرده، ويأخذ الآيات فيسلمها إلي، فعرف أباها بإذن الله عز وجل، وكان فيما أوحى الله عز وجل إليه: أن لا يؤدي عنك إلا رجل منك(1)، فكنت من رسول الله، وكان مني.

فاضطغن لذلك عليَّ أيضاً، واتبعته ابنته عائشة في رأيه.

[سادسها:] وكانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد، وتشنؤها شنآن الضرائر، وكانت تعرف مكانها من رسول الله «صلى الله عليه

وعمدة صحاح عيون الأخبار ص139 - 160 ونهج الحق ص216 وإحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص368 - 468.

(1) راجع: مسند أحمد ج1 ص3 و 151 وفضائل الصحابة ج2 ص562 وسنن الترمذي ج5 ص256 - 257 وخصائص النسائي ص144 - 149 وجامع البيان ج10 ص47 والمستدرك للحاكم ج3 ص51 والتبيان ج5 ص169 وعمدة عيون صحاح الأخبار ص160 والتفسير الكبير ج15 ص218 ونهج الحق ص214 - 215.

وآله»، فيثقل ذلك عليها، وتعدى مقتها إلى ابنتها فاطمة، فتمقتني وتمقت فاطمة وخديجة!! وهذا معروف في الضرائر.

[سابعها:] ولقد دخلت على رسول الله ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب على أزواجه، وكانت عائشة بقرب رسول الله، فلما رآني رحب بي، وقال: أدن مني يا علي. ولم يزل يدنيني حتي أجلسني بينه وبينها، فغلظ ذلك عليها، فأقبلت إليَّ وقالت بسوء رأي النساء ـ وتسرعهن إلى الخطاب ـ: ما وجدت لإستك يا علي موضعاً غير موضع فخذي؟!

فزجرها النبي «صلى الله عليه وآله» وقال لها: «ألعلي تقولين هذا؟! إنه والله أول من آمن بي وصدقني، وأول الخلق وروداً علي الحوض، وهو أحق الناس عهداً إلي، لا يبغضه أحد إلا أكبه الله على منخره في النار»(1)، فازدادت غيظاً عليَّ!!

[ثامنها:] ولما رميت بما رميت اشتد ذلك على النبي «صلى الله عليه وآله»، واستشارني في أمرها، فقلت: يا رسول الله، سل جاريتها بريرة واستبرئ الحال منها؛ فإن وجدت عليها شيئاً فخل سبيلها، فإن

---

(1) راجع: أمالي الطوسي ج2 ص215 واليقين ص134 و 195 و 202 و 203 وكشف الغمة ج1 ص342 وكشف اليقين ص273 - 274 وبحار الأنوار ج22 ص241 - 242 وج37 ص297 و 303 وإحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص18 وقارن بشرح نهج البلاغة ج9 ص194.

النساء كثيرة.

فأمرني رسول الله أن أتولى مسألة بريرة، وأن أستبرئ حالها منها، ففعلت ذلك، فحقدت عليَّ، ووالله ما أردت بها سوءً، لكني نصحت لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله»(1).

وأمثال ذلك، فإن شئتم فاسألوها، ما الذي نقمت عليَّ! حتى خرجت مع الناكثين لبيعتي، وسفكت دماء شيعتي، وتظاهرت بين المسلمين بعداوتي للبغي والشقاق، والمقت لي بغير سبب يوجب ذلك في الدين؟! والله المستعان.

فقال القوم: القول والله ما قلت يا أمير المؤمنين، ولقد كشفت الغمة؛ ولقد نشهد أنك أولى بالله ورسوله ممن عاداك.

فقام الحجاج بن عمرو الأنصاري فمدحه في أبيات نكتفي بما ذكرناه من هذه الجملة منها عن إيرادها(2).

ونقول:

إننا بعد بيان أن المقصود بقوله «عليه السلام» عن أبي بكر: فمضى حتى انحرف: أنه سار حتى غاب عن الأنظار، نشير إلى ما يلي:

---

(1) قارن بشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص194.

(2) الجمل للمفيد ص409 - 412 و (ط مكتبة الداوري) ص218 - 220.

تأثير العاهات النفسية:

إن هذه الرواية قد فتحت الباب أمام الباحثين ليدرسوا العوامل النفسية التي تدعو بعض الناس للإقدام على أمور خطيرة، تصل إلى حد سفك دماء عشرات الألوف من الناس.. وهي تشير إلى خطورة الحسد، والبغض، والعصبيات الشخصية على الأفراد والجماعات، وتحتم على من بيدهم الأمور معالجة هذه العاهات، أو محاصرتها للتخفيف من شرورها.

الإفك على عائشة!!:

تضمنت الرواية المتقدمة: إشارة إلى حديث الإفك، وأن الإفك كان على عائشة، وأنه «عليه السلام» أشار على النبي «صلى الله عليه وآله» بسؤال خادمتها بريرة عن حالها.

مع أن هذا غير ظاهر الوجه، لأسباب عديدة:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في كل ما ينزل به من أمور يعرف ما ينبغي له أن يصنع، ولم يكن بحاجة إلى استشارة أحد حتى علي «عليه السلام»..

ثانياً: إن المفروض: أن حديث الإفك حسب قولهم: كان سبب ما جرى في غزوة المريسيع.. والحال: أن جارية عائشة لم تكن معها حين تخلفت عن الجيش في تلك الغزوة، وكان صفوان بن المعطل قد تخلف عن الجيش، فوجدها، فجاء بها.

فسؤال بريرة لا يجدي في استبراء الحال.

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يحتفظ بنسائه لإشباع غريزته الجنسية الطاغية، ليقول له علي «عليه السلام»: «فخلّ سبيلها فإن النساء كثير».

رابعاً: إن أية شهادة من جاريتها لا تجوّز ترتيب الآثار عليها، لأن هذا الأمر لا يثبت بشهادة النساء، فكيف يثبت بشهادة امرأة واحدة؟!

وكيف يطلقها لشهادة جارية، وطلاقه إياها يؤكد صحة الشائعات في حقها؟!

خامساً: إذا كان علي «عليه السلام» قد سأل الجارية فبرأتها، فلماذا تحقد عليه؟! فإن ذلك كان في صالحها. بل المفروض هو أن تشكره، لأنه بمشورته هذه قد ازال الشبهة عنها، أو ساعد في ذلك.

فنحن بعد هذا كله أمام احتمالين:

الأول: أن تكون هذه الفقرة قد زيدت في الرواية. وهذا بعيد.. إذ لا حاجة إلى مثل هذه الزيادة، لأن الأسباب السبعة التي سبقتها كانت تكفي في إثبات مطلوبه «عليه السلام».

الثاني: أن تكون قصة بريرة قد حصلت في أمر آخر لا ربط له بموضوع الإفك. فقد احتفظ التاريخ والحديث لنا بمشكلات كثيرة تسببت بها عائشة، ولعل هذا هو الإحتمال الأقرب والأصوب.

الفصل الثامن:

ناجون أم هالكون؟!

سيرة علي × في أهل البصرة:

قال الكلبي:

قلت لأبي صالح: كيف لم يضع علي «عليه السلام» السيف في أهل البصرة يوم الجمل بعد ظفره؟!

قال: سار فيهم بالصفح والمن الذي سار به رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أهل مكة يوم الفتح، فإنه أراد أن يستعرضهم بالسيف، ثم منَّ عليهم، وكان يحب أن يهديهم الله(1).

وروى الكليني عن عبد الله بن شريك، عن أبيه قال: لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: لا تتبعوا مولياً، ولا تجهزوا على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن.

فلما كان يوم صفين قتل المقبل والمدبر، وأجهز على الجريح.

فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك: هذه سيرتان مختلفتان؟!

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص247 و 248.

فقال: إن أهل الجمل قتل طلحة والزبير، وإن معاوية كان قائماً بعينه. وكان قائدهم[(1)].

ونقول:

1 - لقد أوضحت الروايات هذا المعنى، وبينت الفرق في التعامل بين أهل صفين وأهل الجمل، فعن أبي الحسن الثالث في أجوبة يحيى بن أكثم: «إن أهل الجمل قتل إمامهم، ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين، ولا مخالفين، ولا منابذين. ورضوا بالكف عنهم. فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم، والكف عن أذاهم، إذ يطلبوا عليه أعواناً.

وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة، وإمام يجمع لهم السلاح والدروع، والرماح والسيوف، ويسني لهم العطاء، ويهيء لهم الأنزال. ويعود مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم، ويكسوا حاسرهم. ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم. فلم يساو بين الفريقين في الحكم..»[(2)].

---

(1) قضاء أمير المؤمنين للتستري «عليه السلام» ص233 والكافي ج5 ص33 وتهذيب الأحكام ج6 ص156 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص75 و (ط الإسلامية) ج11 ص55 وبحار الأنوار ج33 ص446 وج97 ص27 ورجال الكشي ص142 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص656 وإختيار معرفة الرجال ج2 ص482.

(2) تحف العقول ص116 و (ط جماعة المدرسين سنة 1404هـ) ص480 و

لماذا الكف والمن؟!:

وقد شرحوا «عليهم السلام» سبب المن على أصحاب الجمل، فقد روي عن أبي عبد الله «عليه السلام» قوله: لسيرة علي «عليه السلام» في أهل البصرة كانت خيراً لشيعته مما طلعت عليه الشمس. إنه علم أن للقوم دولة، فلو سباهم لسبيت شيعته.

قلت: فأخبرني عن القائم «عليه السلام»، يسير بسيرته؟!

قال: لا، إن علياً «عليه السلام» سار فيهم بالمن لما علم من دولتهم. وإن القائم يسير فيهم بخلاف تلك السيرة، لأنه لا دولة لهم[1].

عمار يسأل أصحاب الجمل:

وروى عبد الله بن رباح مولى الأنصار، عن عبد الله بن زياد

---

481 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص75 و (ط الإسلامية) ج11 ص56 والإختصاص للمفيد ص95 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص509 وبحار الأنوار ج10 ص390 وج33 ص443 و 444 وج50 ص170.

(1) علل الشرايع ص81 و 200 و 61 و 62 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص150 وبحار الأنوار ج33 ص442 وحلية الأبرار ج2 ص344 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص76 و (ط الإسلامية) ج11 ص56 و 57 و 58 و 59 عن الكافي، وتهذيب الأحكام، والمحاسن ص320 وعن الغيبة للنعماني ص121.

مولى عثمان بن عفان قال: خرج عمار بن ياسر يوم الجمل إلينا، فقال: يا هؤلاء، على أي شيء تقاتلونا؟!

فقلنا: نقاتلكم على أن عثمان قتل مؤمناً.

فقال عمار: نحن نقاتلكم على أنه قتل كافراً.

قال: وسمعت عماراً يقول: والله لو ضربتمونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنَّا على الحق وأنكم على الباطل.

وسمعته يقول: والله ما نزل في تأويل هذه الآية إلا اليوم: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)**[1]»[2].

ونقول:

1 - هكذا قرر عمار مصير أصحاب الجمل. وقال: إنه على يقين من أنه على حق، وأنهم على باطل.. وأن الغلبة في ميدان القتال. لا تؤثر شيئاً في تغيير هذه الحقيقة، كما أن الشدة والغلظة والبطش الهائل لا يعني أن الحق مع من يفعل ذلك، لأن ذلك لا يستند إلى مبرر

---

(1) الآية 54 من سورة المائدة.

(2) الجمل للمفيد ص366 و (ط مكتبة الداوري) ص195 وفي هامشه عن: وقعة صفين ص322 والشافي ج4 ص355 وتلخيص الشافي ج4 ص157 والإستيعاب ج2 ص479. وذكر في وقعة صفين، والإستيعاب: أن عماراً قال هذا الكلام في يوم صفين.

ديني، أو اعتقادي، إذ لعله لحنق شخصي، أو لرعونة غير مبررة، أو لغير ذلك من أسباب..

2 ـ وقال عمار: إن الذي يدور الحق والباطل مداره هو النص الإلهي، والنبوي، والبرهان القاطع، والدليل الواضح والساطع..

ولأجل ذلك قال «رحمه الله»: «والله، لو ضربتمونا حتى نبلغ سعفات هجر لعملنا أنا على الحق، وأنكم على الباطل».

3 ـ ثم بيَّن «رحمه الله»: أن هذا اليقين الوجداني ليس عشوائياً، ولا أهوائياً، بل مستند إلى النص القرآني وإلى المعايير الشرعية، والإيمانية. وقد ذكر واحداً من تلك الدلائل، وهو آية الإرتداد عن الدين.

4 ـ لا ندري إن كان عمار يكفر عثمان ليقينه بأن عثمان قد خالف النص الذي سمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولمعرفته اليقينية بأن عثمان كان يعرف ما قاله الله تعالى في كتابه، ولكنه تعمد مخالفته في مقام العمل بصورة صريحة، فصار بمثابة الكافر الذي يخالف أحكام الله مع درايته بالمخالفة.

فالمراد بقوله: إن عثمان كافر: هو الكفر العملي، كالذي ذكره الله عن تارك الحج، فكما أن الكافر يعلم: أن ما يفعله مرفوض عند رسول الله، ثم يفعله، فإن عثمان أيضاً يعلم: أن ما يفعله مرفوض شرعاً، ولكنه يفعله أيضاً. وليس المراد بكفر عثمان: أنه خارج عن ملة الإسلام، بحسب ما يراه عمار.

5 ـ إننا سوف نشير فيما يلي إلى المراد بكفر الخارجين على الإمام «عليه السلام»، فإنه في بعض وجوهه لا يخرج عن هذا المعنى، فلاحظ ما يلي:

نجا القادة، وهلك الأتباع:

لقد لخص العلامة العسكري بعض أقوال غير الشيعة في أصحاب الجمل، فقال، مع بعض التقليم والتطعيم:

قالت الخوارج: إن عائشة وطلحة والزبير كفروا بمقاتلتهم علياً، وقالوا: إن علياً كان يوم ذاك على الحق، ولكنه كفر بعد التحكيم(1).

ولعنوا علياً في تركه اغتنام أموالهم، وسبي ذراريهم ونسائهم(2).

وقال فريق من المعتزلة بفسق كلا الفريقين من أصحاب حرب الجمل، وأنهم خالدون مخلدون في النار(3).

وقال آخرون منهم: إن أحد الفريقين فاسق لا محالة، وأقل درجات الفريقين: أنه لا تقبل شهادته(4). وأن لو شهدوا جميعاً على باقة بقل لم

---

(1) التبصير ص41 والملل والنحل ج1 ص185 والفصل لابن حزم ج4 ص153 والفرق بين الفرق ص55 ـ 56 ويقصدون بالتحكيم: تحكيم أبي موسى وعمرو بن العاص بعد واقعة صفين.

(2) الملل والنحل ج1 ص176 والتبصير ص27 والفرق ص58.

(3) التبصير ص42 عن عمرو بن عبيد.

(4) الملل والنحل ج1 ص65 عن واصل بن عطاء، والفصل لابن حزم ج4

يقبل(1).

وقال فريق ثالث منهم: كل أهل الجمل هالكون إلا من ثبتت توبته، وكذلك طلحة والزبير، أما عائشة فإنها اعترفت لعلي يوم الجمل بالخطأ، وسألته العفو(2).

قال المعتزلي: «ولولا التوبة لحكم لهم بالنار، لإصرارهم على البغي»(3).

وروى الجاحظ عن بعض السلف: أنهم كانوا يقولون: إذا ذكروا يوم الجمل: «هلكت الأتباع، ونجت القادة»؟!(4).

وقال أكثر الأشاعرة: إن أصحاب الجمل أخطأوا، ولكنه خطأ مغفور، كخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع. ولا يلزم به الكفر، ولا الفسق، ولا التبري ولا العداوة(5).

ص153 والتبصير ص41.

(1) التبصير ص41 وقال ابن الأثير في لغة (العمري) من اللباب ج2 ص152: «والى عمرو بن عبيد المعتزلي البصري وكان قدرياً.. ويقول: إنه لو شهد علي وطلحة والزبير (رض) على شيء لم تقبل شهادتهم».

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص396 وفي ج2 ص448 منه يشير إشارة عابرة إلى ذلك. و (ط جديد) ج14 ص24.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص9.

(4) العثمانية للجاحظ (ط دار الكتاب بمصر سنة 1374 هـ) ص 246.

(5) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص266 و (ط جديد) ج14 ص24.

وقال قسم منهم: إن عائشة وطلحة رجعا عن الخطأ[1].

وقال غيرهم: إنهم اجتهدوا فلا إثم عليهم، ولا نحكم بخطأهم وخطأ علي وأصحابه. (ونسبه المعتزلي إلى قوم من الحشوية والعامة)[2].

وإن أكرم القول في أم المؤمنين وأطيبه: ما قاله فيها علي حيث قال: «ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله»[3]. انتهى كلام العلامة العسكري «رحمه الله»[4].

وقال المعتزلي أيضاً: «قالت الإمامية: كفر أصحاب الجمل كلهم: الرؤوساء والأتباع»[5].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

---

(1) التبصير ص41.

(2) الملل والنحل ج1 ص144 والفصل لابن حزم ج4 ص153 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص24.

(3) نهج البلاغة ج2 ص63 وكنز العمال ج8 ص215 - 217 ومنتخبه ج5 ص315 - 331.

(4) أحاديث أم المؤمنين عائشة ج1 ص252 و 253.

(5) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص24.

نجاة القادة وهلاك الأتباع:

1 ـ أما ما زعمه المعتزلي وغيره من توبة عائشة، فإن سبها لعلي «عليه السلام» بعد حرب الجمل في أكثر من مرة، وبقيت على هذا الحال إلى أن وصلت إلى المدينة، وشماتتها بموته حسبما ذكرناه في العديد من المواضع في هذا الكتاب لا يسمح لنا بالإعتقاد بتوبتها.

وأما بكاؤها إذا ذكرت حرب الجمل حتى تبل خمارها، فقد لا يكون بكاء توبة، بل بكاء غيظ وقهر من الفشل الذي منيت به.

ولو أنها حققت مرادها وانتصرت، هل كانت تبكي حتى تبل خمارها؟! أو أنها كانت تفرح، وتسرح وتمرح، وتضحك وتمزح؟!

وأما تمنيها لو كان لها عشرة أولاد، كلهم مثل عبد الرحمان بن الحارث وثكلتهم، ولم يكن يوم الجمل.. وقولها: يا ليتني مت قبل يوم الجمل.

فيرد عليه نفس السؤال، بل نفس الأسئلة السابقة. وهو: أن ظاهر عداوتها المتواصلة لأمير المؤمنين، وتحاملها المستمر عليه «عليه السلام»، وشماتتها بموته، وتسميتها عبدها بعبد الرحمان حباً بعبد الرحمان بن ملجم، وغير ذلك يدل: أن سبب هذه التمنيات: هو وطأة القهر والغضب الذي نالها من نتائج حرب الجمل.

ولو أنها نجحت فيها بعض نجاح، لاتخذت يوم الجمل عيداً لها تحيي ذكراه في كل عام بالفرح والسرور، والوجد والحبور.

2 ـ أما حال الزبير وطلحة، فقد ظهر مما قدمناه حين الحديث عن مقتلهما في حال الهزيمة.

وما نقله المعتزلي عن إرسال طلحة ببيعته لعلي «عليه السلام»، مع أحد الفرسان غير صحيح، ولأجل ذلك لم يلتفت إليه علي «عليه السلام»، وبقي يعلن بإدانته لطلحة والزبير وعائشة في خطبه، ويرسل بهذه الإدانة القوية إلى البلاد والعباد..

كما أن المطلوب: هو إثبات صحة هذه الرواية المدعاة في ذلك.

ثم إثبات صدق ذلك المدعي لهذه البيعة. وغير ذلك من أمور لا مجال لصرف النظر عنها وتجاوزها لأجل دعوى شاذة من هذا القبيل..

3 ـ والأغرب من ذلك: حكمهم بنجاة ثلاثة هم الذين أمروا وشاركوا في قتل عثمان، ثم حاربوا علياً «عليه السلام»، وتسببوا بقتل عشرات الألوف من القتلى، وهلاك جميع أهل الجمل.. الأحياء منهم والقتلى على حد سواء.. فما أرخص الأتباع وما أغلى القادة!!.

4 ـ أما قول علي «عليه السلام» عن عائشة: إن لها بعد حرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى فلا يعني: أنه «عليه السلام» يحكم لها بالنجاة، بل هو يؤكد بذلك عدم نجاتها، لأنه يقول: إن ما فعلته سوف تحاسب عليه، وليس ذنباً مغفوراً.

وإثبات الحرمة لها لا يعني براءتها من هذا الذنب، لأن هذه الحرمة إنما هي لأجل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويدل على ما نقول:

سائر ما كان يذكره «عليه السلام» للناس في خطبه، ويكتبه في رسائله عنها، وعما فعلته في تلك الحرب..

5 - أما حكم الإمامية بكفر من خرج على علي «عليه السلام»، فلا يراد به الخروج عن الملة والدين، بل يراد به: الكفر العملي.. الذي يستتبع العقوبة الإلهية والخلود بالنار، كخلود من قتل مسلماً.

محاربوا علي × بين الهلاك والنجاة:

ونستطيع أن نختصر الكلام في موضوع الهلاك والنجاة، والكفر والإيمان، أو الإسلام، كما يلي:

إن قادة حرب الجمل، وكبار القوم فيهم، مثل: طلحة والزبير، ومروان، وعبد الله بن الزبير وأضرابهم، وكذلك زعماء حرب صفين، مثل: معاوية وعمرو بن العاص، هم من المحاربين لإمامهم، والمفسدين في الأرض، لأنهم عرفوا الحق فحاربوه.

أما الأتباع فهم على أقسام:

أولهما: من اشتبه عليهم الحال لوجود عائشة وطلحة، والزبير، وانخداعهم بشائعة: أن علياً «عليه السلام» قتل عثمان، مع قصورهم عن معرفة الحق، فهؤلاء ليسوا محاربين ولا بغاةً، ولكنهم يضمنون الدماء والأموال التي يتلفونها.

الثاني: الأتباع الذين خدعوا بالشائعات، ووقعوا تحت تأثير

الأشخاص مع تقصيرهم في البحث عن الحق والحقيقة، وقدرتهم على الوصول إليها، فهؤلاء فسقة وبغاة على الإمام.

الثالث: المتعمدون للظلم والعدوان ومخالفة الله ورسوله، فهؤلاء هالكون كما هو ظاهر لا يخفى.

أما القسمان الأولان فإن احتجاجات أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه قد أخرجتهم عن دائر القصور والتقصير.

وقد يسأل سائل عن سبب عفو أمير المؤمنين «عليه السلام» عن أولئك القادة، بما فيهم مروان، وابن الزبير، وعمرو بن العاص وغيرهم، مع أن حكم من يسعى في الأرض فساداً كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار، وهو ثابت في القرآن وعلى لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأنه يمكن أن يكون هذا العفو من خصوصيات الإمام المعصوم، حين يكون الخروج عليه، والمحاربة له..

ثانياً: لعله «عليه السلام» قد راعى في هذا الأمر قاعدة الأهم والمهم، حيث رأى: أن هذا المورد هو من موارد العفو، تماماً كما كان الحال حين فتح مكة، فإنه «صلى الله عليه وآله» عفا عن المشركين لمصلحة أعظم وأهم من قتلهم.

وكذلك فعل أمير المؤمنين «عليه السلام» حفظاً منه لأهل الحق بعده، لكي لا يتعرضوا للاستئصال، كما أوضحته الروايات التي

أشرنا إلى بعضها فيما سبق تحت عنوان: «لماذا الكف والمن»؟!

أما فيما يرتبط بالكفر والإيمان، فنقول:

1 - إن المحارب لإمامه كافر، لقوله «صلى الله عليه وآله»: حربك يا علي حربي، وسلمك سلمي[1]، وحرب النبي كفر.. كما أن هذا المحارب ناصب للعداء، كاشف بذلك عن بغضه. ولا يفرق في تحقق معنى النصب بين كون فاعل ذلك قاصراً، أو مقصراً، أو متعمداً، أو معانداً. والكافر نجس، سواء أكان قاصراً أم مقصراً.

وقد يقال: كيف يكون الناصبي كافراً، ونحن نرى الإمام السجاد «عليه السلام» قد تزوج بخارجية تسب علياً «عليه السلام»، فلما علم بها طلقها؟!

فكيف يصح أن يباشر الإمام امرأة محرمة عليه واقعاً؟! فإن

(1) راجع: مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص50 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج18 ص24 وينابيع المودة ص85 و 71 وكنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج2 ص179 وبحار الأنوار (ط مؤسسة الوفاء) ج37 ص72 وج40 ص43 و 177 و 190 وروضة الواعظين ج1 ص113 وتلخيص الشافي ج2 ص135 وراجع: ميزان الإعتدال ج2 ص75 ولسان الميزان ج2 ص483، ففيهما حديث معناه ذلك أيضاً، والأمالي للطوسي ج1 ص374 وج2 ص100 والأمالي للصدوق ص343 وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص440 وج4 ص258 وج7 ص296 وج13 ص70 عن مصادر كثيرة.

المفروض: هو أن يكون مصاناً عن مثل هذا الأمر، كما هو مصان عن أكل النجس والحرام الواقعيين..

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأن موضوع الكفر والإيمان شيء، وموضوع الطهارة والنجاسة، والحلال والحرام الواقعيين شيء آخر. فإن الكفر والإيمان أمران إعتقاديان، يرتبطان بالنفس والقلب، ولا ينتقلان بالعلقة، ولا بالمباشرة الزوجية ومعالجة آثارهما والعصمة منهما يمكن أن تتم عبر التربية الروحية. والتطهير والتزكية القلبية..

وأما حلية وحرمة الطعام والشراب، والطهارة والنجاسة، فأمران واقعيان، لهما آثار وضعية تدخل في موضوع التكوين، فمعالجة هذه الآثار تحتاج إلى عمل يرتبط بالتكوين، والتأثيرات الحسية.

أما الكفر والإيمان، فلا يعالج بذلك. ولذلك لم يمنع من تزويج الأنبياء بنساء يعلم بأنهن سوف يتركن المآثم والعظائم، ولو بعد الزواج.. كما هو الحال في امرأة نوح ولوط..

ثانياً: من قال إن المرأة التي تزوجها الإمام السجاد «عليه السلام» كانت خارجية من أول الأمر، فلعلها تغيرت بعد العقد عليها، فلما أظهرت ذلك طلقها؟!

ثالثاً: من قال: إن الأمر بين الإمام السجاد وتلك المرأة الخارجية قد تجاوز إجراء صيغة العقد، إلى المضاجعة، أو المباشرة مهما كانت ضئيلة وعارضة.. فلعل المفارقة حصلت قبل حصول شيء من ذلك.

وقد تزوج النبي «صلى الله عليه وآله» بعض النساء، فحسدتها بعض نسائه «صلى الله عليه وآله» فعلَّمتها أن تتكلم بكلام لا يليق بمقام النبي «صلى الله عليه وآله»، حين تدخل عليه، فكان ذلك سبباً في طلاقها قبل حصول المباشرة..

2 ـ بالنسبة للذين لا يعتقدون بإمامة علي «عليه السلام»، لأجل عدم سماعهم النص، أو لأجل شبهة عرضت لهم في معناه، فهم مسلمون، طاهرون، معصومة دماؤهم وأموالهم.

3 ـ وبالنسبة لمن لا شبهة لهم، لا في أصل النص، ولا في دلالته، مع علمهم بصدوره، فهم مكذِّبون لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحكمهم معلوم بالبداهة.

الفصل التاسع:

سامري هذه الأمة

علي × والحسن البصري:

1 - يذكر الرواة والمؤرخون هنا: أنه «عليه السلام» بعد فراغه من قتال أهل البصرة خطبهم وذم أحوالهم، ثم نزل يمشي.. يقول ابن عباس:

فمشينا معه، فمر بالحسن البصري، وهو يتوضأ، فقال: يا حسن، أسبغ الوضوء.

فقال: يا أمير المؤمنين، لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، يصلون الخمس، ويسبغون الوضوء.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: قد كان ما رأيت، فما منعك أن تعين علينا عدونا؟!

فقال: والله لأصدقنك يا أمير المؤمنين، لقد خرجت في أول يوم، فاغتسلت، وتحنطت، وصببت علي سلاحي، وأنا لا أشك في أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من

الخريبة، نادى منادٍ: يا حسن ارجع، فإن القاتل والمقتول في النار.

فرجعت ذَعِراً، وجلست في بيتي..

(ثم ذكر الحسن: أنه خرج في اليوم التالي أيضاً).

قال: فناداني مناد من خلفي: يا حسن، إلى أين مرة بعد أخرى، فإن القاتل والمقتول في النار..

قال علي: صدقت. أفتدري من ذاك المنادي؟!

قال: لا.

قال: ذاك أخوك إبليس.. وصدقك: أن القاتل والمقتول منهم في النار.

فقال الحسن البصري: الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكى(1).

2 ـ في نص آخر: أن الحسن كان ذا وسوسة، فصب على أعضائه ماءً كثيراً، فقال له «عليه السلام»: أرقت ماءً كثيراً يا حسن!!

فقال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر.

قال: أوساءك ذلك؟!

---

(1) الإحتجاج ج1 ص402 و 403 وبحار الأنوار ج32 ص225 و 226 عنه وج42 ص141.

قال: نعم.

قال: فلا زلت مسوءاً.

قالوا: فما زال الحسن عابساً، قاطباً، مهموماً إلى الممات(1).

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: قال الفيروزآبادي: الخريبة كجهينة، موضع بالبصرة، تسمى بالبصرة الصغرى(2).

مناقشة السند والمضمون:

وقد ناقش بعضهم في سند هذه الرواية ومضمونها على حد سواء، فلاحظ ما يلي:

1 - قال المعلق على البحار حول سند الحديث الأول: إنه حديث مرسل، لم يعلم رواته، فلا يمكن الإستدلال به على إثبات شيء أو نفيه بلا قرينة قطعية على صدقه، أو كذبه، ولا يمكن جعله دليلاً على انحراف الحسن البصري، لا سيما مع قيام شواهد كثيرة على حسن حاله، وأنه كان يدافع عن علي «عليه السلام»، ويذكر خصائصه، وأنه كان على الحق، وأن من خالفه كان على الباطل.

والحق: أن الرجل لم يكن من المنحرفين عن أهل البيت «عليهم

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص95 وراجع: بحار الأنوار ج42 ص143.

(2) بحار الأنوار ج32 ص226.

السلام»، وإن لم يكن من حوارييهم[1].

2 ـ لقد حاول البعض نسبة هذه القضية إلى الحسن بن علي «عليه السلام» فوصفه بأنه كان عثمانياً، بل ربما غالى في عثمانيته، ثم ذكر هذه القصة التي رواها البلاذري وغيره[2]..

ونقول:

إننا بالنسبة للسند نشير إلى ما يلي:

أولاً: إن الشواهد الكثيرة التي أشار إليها المستدل على استقامة الحسن البصري، لا تمنع من صدق هذه الرواية، فلعل الحسن البصري كان أول أمره منحرفاً عن أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم ظهرت له دلائل أعادته إلى طريق الصواب كما دلت عليه نفس هذه الرواية، لتصريحها: بأن الحسن قد قال بعد ما أخبره «عليه السلام» بأن المنادي هو إبليس: «الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكى»..

إلا أن يقال: إن قول أمير المؤمنين «عليه السلام» له: بأن

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص225.

(2) راجع الفتنة الكبرى، قسم (علي وبنوه) ص176 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج3 ص12 و (ط أخرى) ج5 ص81 وراجع: الإمام الحسن بن علي للشيخ محمد حسن آل يس ص50 وسيرة الأئمة الاثني عشر ج1 ص543.

المنادي هو أخوه إبليس، يمنع من صحة هذا القول، لأن من يكون إبليس أخاه، لا يكون من أهل الإنصاف ولا قابلاً للهداية بهذه السرعة، فلعل الحسن أراد بقوله هذا: التخلص من المأزق الذي وضع نفسه فيه..

ثانياً: إن عدم صحة السند لا يعني كذب القضية من أساسها، وإن كان يمنع من الإحتجاج بها على الإثبات أو النفي القطعي..

ثالثاً: إن وجود الرواية حتى لو كانت ضعيفة السند يبرر إطلاق احتمال حدوث مضمونها. وإن كان تأكيد حدوثه يحتاج إلى القرائن والمؤكدات..

رابعاً: إن الرواية التي حكم بأرسالها هي رواية الإحتجاج.. مع أن صاحب الإحتجاج يقول في مقدمته: ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده، إما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلت العقول إليه، ولاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف، إلا ما أوردته عن أبي محمد الحسن العسكري «عليه السلام»، فإنه ليس في الإشتهار على حد ما سواه، وإن كان مشتملاً على مثل الذي قدمناه، فلأجل ذلك ذكرت أسناده في أول خبر من ذلك دون غيره، إلخ..[1].

(1) الإحتجاج ج1 ص4 مقدمة المؤلف.

الحسن البصري كان منحرفاً عن علي ×:

أما الحديث عن أن الحسن البصري كان منحرفاً عن علي «عليه السلام» أو لم يكن كذلك، فمن الواضح: أن الرجل لم يكن يأخذ دينه وفقهه عن علي وأهل بيته «عليهم السلام»، بل كان من علماء الفئة الأخرى، بل قال المعتزلي: «ومما قيل عنه: أنه كان يبغض علياً «عليه السلام» ويذمه: الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد..»[1].

ولعل مما يشير إلى ذلك: ما رواه البعض، من أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أخرجه من المسجد، ونهاه عن التكلم[2].

كما أنه كان إذا جلس، فتمكن في مجلسه ذكر عثمان، فترحم عليه ثلاثاً، ولعن قتلته ثلاثاً، ويقول: لو لم نلعنهم لَلُعِنَّا.

ثم يذكر علياً «عليه السلام»، فيقول: لم يَزَل أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» مظفراً مؤيداً حتى حَكَّم، ثم يقول: ولم تحكم والحق معك؟! ألا تمضي قدماً لا أباً لك؟![3].

بل لقد اشتهر بغضه لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فحاول أن

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص95.

(2) راجع: التراتيب الإدارية ج2 ص272 وعن نظام الحكومة النبوية للكتاني ج2 ص272.

(3) العقد الفريد ج2 ص235 والكامل للمبرد ج3 ص216.

يبرئ نفسه من ذلك، فقد قالوا: إنه جاء رجل إليه، فقال له: «أبا سعيد، إنهم يزعمون: أنك تبغض علياً، فبكى»..

ثم تذكر الرواية تبرئته لنفسه من ذلك، ومدحه لأمير المؤمنين «عليه السلام»(1).

وفي نص آخر: أن ذلك الرجل قال له: «بلغنا أنك تقول: لو كان عليٌّ بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيراً له مما صنع، فقال له الحسن الخ..»(2).

وقال المعتزلي: «روي عن حماد بن سلمة أنه قال: لو كان علي يأكل الحشف في المدينة لكان خيراً له مما دخل فيه.

وروي عنه: أنه كان من المخذلين عن نصرته»(3).

وقال عنه الكشي: «كان يلقى كل أهل فرقة بما يهوون، ويتصنع للرياسة»(4).

وسئل الإمام الباقر «عليه السلام» عن الحديث الذي رواه الحسن البصري، حول الصيرفي وعمله، فقال «عليه السلام»: «كذب الحسن

---

(1) العقد الفريد ج2 ص229 وفي هامشه عن الأمالي ج3 ص194.

(2) البيان والتبيين ج1 ص108.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص95.

(4) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص97 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص315.

إلخ..»[1].

وروى الطبرسي ـ كما سنرى ـ عن أبي يحيى الواسطي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال عن الحسن البصري: «أن هذا سامري هذه الأمة»[2].

ما يستوقفنا في الرواية:

لكن ما قلناه لا يعني أننا نعتبر هذه الرواية التي نحن بصددها سليمة وقويمة، لأن لنا عليها بعض المآخذ أيضاً.

فأولاً: لم نفهم سبب تصدي إبليس لمنع الحسن من معونة أهل الجمل على علي «عليه السلام»، فإن ما فعله الناكثون موافق لمرام إبليس، ويدل على ذلك: ما روي عن علي «عليه السلام» نفسه، من أن الشيطان دخل منخري الزبير، فأورده في النار[3].

---

(1) من لا يحضره الفقيه ج3 ص159 وبحار الأنوار ج14 ص429 وج42 ص143 والكافي ج5 ص 113 و 114 والإستبصار ج3 ص64 وتهذيب الأحكام ج6 ص363 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج17 ص139 و (الإسلامية) ج12 ص99 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص271 وتفسير نور الثقلين ج3 ص245 ومعجم المحاسن والمساوئ ص309.

(2) الإحتجاج ج1 ص404 و (ط دار النعمان) ج1 ص251 وبحار الأنوار ج4 ص141 ج28 ص158 وج42 ص142 وتفسير نور الثقلين ج3 ص392.

(3) بحار الأنوار ج32 ص200 عن الإحتجاج (ط بيروت) ج1 ص162 و (ط

ونحو هذا قال «عليه السلام» عن طلحة، فراجع[1].

إلا إن كان مراد إبليس: إلقاء الشبهة في الأذهان بنحو يوهم أتباع أمير المؤمنين «عليه السلام» بأنهم أيضاً على باطل، توطئة لإحداث انقسام جديد فيهم.

ولكن هذا لا ينسجم مع قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن مراد إبليس: أن القاتل والمقتول من أتباع عائشة في النار، إلا إن كان على قاعدة: كلمة حق أريد بها باطل.

ثانياً: إن الحسن البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر[2]،

دار النعمان) ج1 ص239 تحت عنوان: إحتجاج أمير المؤمنين على الزبير وطلحة.

(1) الكافئة للشيخ المفيد ص25 وبحار الأنوار ج32 ص201 عنه.

(2) وفيات الأعيان (ط سنة 1310 هـ.) ج1 ص129 وسنن الترمذي ج4 ص104 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص447 وعمدة القاري ج1 ص210 والتمهيد لابن عبد البر ج6 ص301 وتخريج الأحاديث والآثار ج4 ص272 ونصب الراية ج1 ص149 و 151 وتفسير الثعالبي ج1 ص78 و 79 والطبقات الكبرى لابن سعد ج7 ص156 و 157 والتاريخ الصغير للبخاري ج1 ص282 وج2 ص289 والثقات لابن حبان ج4 ص123 ومشاهير علماء الأمصار ص142 وتهذيب الكمال ج6 ص96 وسير أعلام النبلاء ج4 ص564 وأخبار القضاة ج2 ص3 ووفيات الأعيان ج2 ص72 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص288.

وحرب الجمل كانت سنة ست وثلاثين. فعمر الحسن هذا كان في حرب الجمل حوالي أربع عشرة أو خمس عشرة سنة، فهو غلام في مقتبل العمر، لم يكن عبقري زمانه، ولا فريد عصره وأوانه، ليتجرأ على أمير المؤمنين «عليه السلام» على النحو الذي ذكرته هذه الروايات.

بل في بعض روايات هذه القضية بالذات، ما يشير إلى أن الحسن لم يكن بهذه المثابة، فقد روى المفيد «رحمه الله» وغيره عن الحسن أنه قال:

لما قدم علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» البصرة، مر بي، وأنا أتوضأ، فقال: يا غلام، أحسن وضوءك يحسن الله إليك.

ثم جازني، فأقبلت أقفوه أثره، فحانت منه التفاتة، فنظر إليَّ، فقال: يا غلام، ألك حاجة؟!

قلت: نعم، علمني كلاماً ينفعني(1).

ومما يدل على أن الحسن قد كان في أول أمره مخالفاً لعلي «عليه

---

(1) الأمالي للمفيد ص118 و 119 وبحار الأنوار ج74 ص422 وأشار إليه في ج77 ص310 وتيسير المطالب ص177 و 178 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج10 ص363 ونهج السعادة ج1 ص344 والخرائج والجرائح ص547 الحديث رقم 8.

السلام»: قول سليم بن قيس: «فكان أول من لقيت من بعد قدومي البصرة الحسن البصري، وهو يومئذ متوار عن الحجاج، والحسن يومئذ من شيعة علي «عليه السلام»، من مفرطيهم، نادم متلهف على ما فاته من نصرته، والقتال معه يوم الجمل»(1).

فهذا يدل على أنه كان في أول أمره مخالفاً، ثم صار في آخر أمره موافقاً ومحباً.

ولكنه لم يكن من شيعة علي «عليه السلام» بالمعنى الأخص، بل كان من الفريق الآخر، وقد روي عن الامام الصداق «عليه السلام» قوله: هذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصري له أصحاب(2).

وقد سأله أبان بن أبي عياش عن علي «عليه السلام»، فأثنى عليه، فقال له: «فما هذا الذي يقال عنك أنك قلته في علي «عليه السلام»؟!

فقال: يا ابن أخي، أحقُنُ دمي من هؤلاء الجبابرة، لولا ذلك

(1) كتاب سليم بن قيس (طبعة في جزء واحد ـ تحقيق الأنصاري) ص126 وبحار الأنوار ج2 ص77.

(2) الكافي ج2 ص223 وبحار الأنوار ج47 ص372 وج72 ص74 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج9 ص55 والإثنا عشرية للحر العاملي ص171.

لسالت بي الخشب»[1].

وروى محرز بن هشام، عن إبراهيم بن سلمة، عن محمد بن عبيد الله، قال: قال رجل للحسن: ما لنا لا نراك تثني على علي «عليه السلام»، وتفر منه؟!

قال: كيف! وسيف الحجاج يقطر دماً؟! إنه لأول من أسلم. وحسبكم بذلك[2].

الحسن البصري سامري هذه الأمة:

قال الطبرسي «رحمه الله»:

عن أبي يحيى الواسطي قال: لما افتتح أمير المؤمنين «عليه السلام» البصرة اجتمع الناس عليه، وفيهم الحسن البصري، ومعه الألواح، فكان كلما لفظ أمير المؤمنين «عليه السلام» بكلمة كتبها، فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام» بأعلى صوته: ما تصنع؟!

فقال: نكتب آثاركم لنحدث بها بعدكم.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أما إن لكل قوم سامري،

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص96 وبحار الأنوار ج34 ص294 و 295.

(2) العثمانية للجاحظ ص293 وقاموس الرجال ج3 ص201 عن الإسكافي في نقض العثمانية، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص231 والغدير ج3 ص234.

وهذا سامري هذه الأمة، أما إنه لا يقول: لامساس، ولكن يقول: لا قتال(1).

ونقول:

1 - إن تشبيه الحسن البصري بـ «السامري» ليس في جميع خصوصيات السامري وحالاته لأن السامري أضل بني اسرائيل بواسطة العجل الذي صنعه لهم، ولم يصنع الحسن عجلاً لهذه الأمة ليضلها به..

وإنما اشبه الحسن البصري السامري في أمر آخر صرح به أمير المؤمنين للناس، وهو أن قوله: لا قتال قد أشبه قول السامري: لا مساس.. بالرغم من أن قول السامري قد جاء على أساس العقوبة التي قررها موسى «عليه السلام»، حيث عاقبه بالطرد، والمنع من التعامل مع المجمتع الإنساني، وحضر عليه أي ارتباط أو تماس بهم، فقال له: «إذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس».

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» قال له: «في الحياة» ولم يقل «في حياتك» ربما ليشير إلى أن السامري سيبقى مدى الحياة يقول: لا مساس لأن الضلال الذي نشره لا يقف عند حد، ولكنها ستكون حياة

---

(1) الإحتجاج ج1 ص404 و (ط دار النعمان) ج1 ص251 وبحار الأنوار ج42 ص141 و 142 عنه، ومستدرك سفينة البحار ج9 ص29 والإثنا عشرية للحر العاملي ص172.

مريرة وصعبة بالنسبة للسامري لأنها سوف، تفسد من راحته بمقدار ما يفسد الضلال الذي نشره في الناس الذي أضلهم، ثم ينتهي الأمر إلى الآخرة، حيث يواجه العذاب الإلهي فيها أيضاً.

2 ـ ان المبرر لهذا التشبيه بالسامري، هو أن ما فعله السامري قد أريد له أن يفسد عقيدة أهل الايمان، ويمنعهم من طاعة الله تعالى، ومن عبادته، ويريد لهذه الحالة أن تستمر فيهم وفي غيرهم، وأن تتسع لتشمل سائر الناس في كل زمان، تماماً فاقتضى ذلك أن يعاقب السامري بأن يبقى محجوباً عن الناس، في كل زمان..

3 ـ لو أن مرام الحسن تحقق، ولم ينفر الناس لحرب الناكثين والمفسدين لتمكن الضلال في النفوس ولكان قد انتشر فيهم بحيث لا يمكن مواجهته ولا الحد من طغيانه.. ولكانت الأمور قد استقرت على هذا المنوال إلى ما شاء الله.. ويريد السامري بقوله لا مساس استمرار هذه الحالة التي هو فيها إلى ما شاء الله أيضاً..

أيهما السامري: الأشعري، أم الحسن البصري؟!:

وهنا سؤال يقول:

ذكرت الروايات أن أبا موسى الأشعري أيضاً هو سامري هذه الأمة، فهل يكون للأمة سامريان؟!

أحدهما: أبو موسى الأشعري..

والآخر: الحسن البصري؟!

فقد روى المفيد «رحمه الله» مسنداً عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: تفترق أمتي ثلاث فرق..

إلى أن قال: وفرقة من هذه على ملة السامري.. لا يقولون: لا مساس، لكنهم يقولون: لا قتال، إمامهم عبد الله بن قيس الأشعري(1).

وروى ابن طاووس خبراً طويلاً عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وفيه أنه قال: شر الأولين والآخرين اثنا عشر..

إلى أن قال: «السامري، هو عبد الله بن قيس أبو موسى..

قيل: وما السامري؟!

قال: قال: لا مساس. وهو قال: لا قتال»(2).

ويجاب:

بأن رواية المفيد لا تدل على أن أبا موسى سامري الأمة، بل هي تقول: إنه إمام فرقة هي على ملة السامري.

---

(1) الأمالي للمفيد (ط دار المفيد) ص30 وراجع: الملاحم والفتن لابن طاووس ص231 و 232 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص99 والإيضاح لابن شاذان ص62 والتعجب للكراجكي ص152 وبحار الأنوار ج28 ص9 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص463.

(2) اليقين لابن طاووس ص167 و (بتحقيق الأنصاري سنة 1413هـ) ص444 وبحار الأنوار ج30 ص207 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص386.

أما رواية ابن طاووس، فاكتفت بوصفه بالسامري.. ولعلها تريد أنه ينتسب إلى السامري في الرأي الذي ذهب إليه، والنهج الذي اختاره لنفسه.

هل يكون السامري غلاماً؟!:

أما السؤال الأهم هنا فهو: إن الحسن البصري كان آنئذ غلاماً لم يتجاوز عمره في حرب الجمل الخمس عشرة سنة، ولم يكن له آنئذٍ شأن يذكر، ولا كان له أثر، ولا خطر، فكيف يصفه «عليه السلام» بأنه سامري هذه الأمة؟!

كما أنه لم يعرف له بعد ذلك نشاط خارق للعادة، في تأسيس ونشر الضلالات، ولا عرف عنه أنه ابتدع منها ما يستحق أن يقاس بما عمله السامري في بني إسرائيل..

فكيف يمكن أن نفهم كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» في حقه؟! ولماذا لا يكون حاله هذا قرينة أو شاهداً ودليلاً على أن هذه الرواية مختلقة من الأساس؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن بعض الأمور قد يتوافق مظهرها مع مخبرها، فهي ظاهرة البشاعة والقبح والسوء، أو أنها ذات مظهر مخيف، ثم يكون ما تحدثه من أثر مشبهاً لظاهرها هذا في حجمه وفي سوئه، أو في قبحه وبشاعته. فمثلاً للوحش الكاسر والأسد الخادر رهبته الظاهرة التي

تتوافق مع ما يصدر عنه من فتك في فريسته، وبشاعة في نتائج عمله..

كما أن بعض الأمور تكون بالعكس، فقد لا يدل مظهرها على واقعها، فتبدو لك ضعيفة، وصغيرة وحقيرة، وموهونة، ولكن يكون أثرها هائلاً وعظيماً وقاصماً، فقطرة من سم أو لسعة من حية صغيرة، قد تقتل عشرات الرجال، وحفنة مادة متفجرة تدمر جسراً عظيماً، أو تهدم ناطحة سحاب.

وهكذا الحال فيما يرتبط بالهدايات والضلالات، فلربما تحتاج هداية شخص واحد إلى بذل الجهد أشهراً وأعواماً، وقد تهتدي أمة من الناس بفعل كلمات يسيرة، أو جهد محدود.

وقد يضل السامري جماعة من الناس بصنع العجل لهم.. ولكن شخصاً آخر قد يطلق كلمة تحمل شبهة توجب من الضلال والفساد والحروب والفتن المتواصلة ما يهدم أركان أمة بأسرها، وقد تبقى آثارها وتفاعلاتها تتواصل إلى الأحقاب والدهور..

فمن الذي قال: إن الحسن البصري بإطلاقه كلمة: «لا قتال» لم يكن أول من أثار هذه الشبهة التي مكنت للضلال وأهله، وأثارت الفتن، وتسببت بالكوارث والإنحرافات التي بقيت سيئاتها وآثارها إلى يومنا هذا، لتكون كلمته هذه أضر على الأمة من عجل السامري، الذي أنتج «لا مساس» التي استمرت عبر الأحقاب والأجيال!!

فيكون الحسن البصري سامري هذه الأمة، كما كان لبني إسرائيل

سامريهم!

السامري كان سخياً:

وقد يقول قائل: إذا كان السامري هو السبب في إضلال بني إسرائيل، فقد كان ينبغي لموسى أن يقتله، فما معنى بقائه حياً على مدى الدهور والأزمان، حتى إن بعض الناس إلى يومنا هذا لا يزالون يرونه، ويسمعونه، وهو يقول: «لا مساس»! «لا مساس»! «لا مساس»!!

فهل كان هذا مكافأة له على عمله السيء والعياذ بالله؟!

ونجيب:

بأنه لا مانع من أن يكون ذلك قد جاء على أساس قوله تعالى: **(أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)**[1].

وقد ورد: أن موسى «عليه السلام» أراد أن يقتل السامري عقوبة له على ما فعل، فأوحى الله إليه: أن لا تقتله فإنه سخي[2].

---

(1) الآية 195 من سورة آل عمران.

(2) راجع: بحار الأنوار ج13 ص 208 و 210 و 212 و 246 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص510 ومجمع البيان ج7 ص54 وراجع: تفسير القمي ج2 ص63 وتفسير نور الثقلين ج3 ص391 وتفسير الثعلبي ج6 ص258 والجامع لأحكام القرآن ج11 ص241 وقصص الأنبياء للجزائري ص305 و 316 .

بل إن الله قد أنظر إبليس إلى يوم يبعثون، ربما لأنه قد عبد الله مع الملائكة ستة آلاف سنة، لا يدرى أهي من سني الدنيا أو من سني الآخرة، فلعله لو لم ينظره الله ـ يأتي لوم القيامة، ويدعي أن الله قد أضاع حقه، وظلمه فيها!!

السامري لا يزال حياً:

وأقول، وأنا جعفر مرتضى الحسيني العاملي: أن ثمة قصة حدثت لي في أيام الصبا، وقد اقترح عليّ بعض العلماء الأبرار، أن أوردها في بعض مؤلفاتي، وملخصها:

إنني قد رأيت السامري في أيام الصبا في بلدة تدعى: «دير قانون رأس العين» على بعد حوالي خمسة أميال إلى الجنوب الشرقي من مدينة صور في جنوب لبنان.. وكان ذلك في الخمسينيات من القرن العشرين..

وتفصيل هذه القصة: أنني كنت أسير على الطريق من «رأس العين» إلى بلدة «دير قانون رأس العين» عند غروب شمس أحد الأيام، وكان بعض أهلي يسيرون بعيدين عني حوالي خمسين متراً أو أكثر.. وإذ بي أسمع كلمة: «لا مساس» تتردد بصورة رتيبة، فالتفت إلى جهة الصوت ـ وكنت على ظهر جبل، وإذ بي أرى رأس رجل يطل عليَّ من قلب الوداي صاعداً نحوي، ثم يتكامل ظهور ذلك الرجل، وهو يتقدم نحوي بقدم ثابتة، حتى مر من أمامي بحيث لا يبعد عني أكثر من أربعة إلى خمسة أمتار..

ولكنه يسير ولا ينظر يمنة ولا يسرة.

ونظرت إليه ـ وكان ضخماً جداً بحجم منارة مسجد ـ فرأيته حافي القدمين، وهو أسمر اللون، ولم يكن لباسه فضفاضاً، بل كان سرواله ملتصقاً ببدنه، وقد بلغ إلى نصف ساقه، وكان طرفه الأسفل كأنه مربع يلتف حول ساقه، وهذا المربع بمقدار خمسة سنتيمترات تقريباً..

وكان يلبس على رأسه خوذة تستر أكثر جبهته أيضاً.. وقد مر من أمامي، ونزل إلى الجهة التي على يميني باتجاه الوادي الآخر.. فمر في طريقه على حقل فيه شجر زيتون كبير قديم، وقد بدا لي: أن ذلك الزيتون الضخم لا يصل إلى نصف ساقه، وكانت فروع أشجاره ترتد عن ساقيه يميناً وشمالاً وصوت حفيفها مسموع بوضوح، وكان يسير بينها، وكأنه يسير في حقل قمح.

ثم بلغ الوادي فسار فيه، وإن كتفه ليوازي قمة الجبل، ورأسه فوقه، وكنت لا أزال أسمعه يردد كلمات: «لا مساس» حتى غاب عن ناظري..

ما يحتاج إلى تفسير:

وقد تملكني الخوف مما رأيت، لكن الذي لم أستطع تفسيره، هو: أن قامته حين مر من أمامي كانت بحجم منارة مسجد تقريباً، فكيف صار حين وصل إلى الوادي وسار فيه أطول من الجبل وأضخم بكثير مما كان عليه حين مر من أمامي مباشرة؟!

ولفت نظري أيضاً: أنني قد رأيته أنا وحدي، ولم يره غيري من أهلي الذين كانوا يسيرون خلفي على بعد خمسين متراً أو أكثر؟!

فهل هو قادر على ستر نفسه عن هذا، وإظهارها لذاك؟!

وهل هو يتصرف في أحجام نفسه، كبراً وصغراً، وفق ما يرتئيه؟! تماماً كما هو حال الجن إذا أرادوا الظهور لبعض البشر؟!

وهل حياة السامري تختلف عن حياة سائر الناس؟!

أي إن الحياة التي أعطاه الله تعالى إياها كانت برزخية، فهو ليس بميت فيقبر، ولا هو حي كسائر الناس، بمعنى: أن الله تعالى قد أعطاه درجة من الحياة، لا تصل به إلى القبر، ولا تسمح له، بل لا تجعله قادراً على الحياة الطبيعية مع سائر الناس؟!

الباب الخامس عشر:

الطلاق.. أو الرحيل..

الفصل الأول: علي × وعائشة..

الفصل الثاني: علي × يهدد عائشة بالطلاق..

الفصل الثالث: طلاق عائشة في رواية الأشعري..

الفصل الرابع: رحيل عائشة..

الفصل الأول:

علي × وعائشة..

ابن عباس أولاً:

1 - قال الكشي:

عن جعفر بن معروف، قال: حدثني الحسين بن علي بن النعمان، عن أبيه، عن معاذ بن مطر، قال: سمعت إسماعيل بن الفضل الهاشمي، قال: حدثني بعض أشياخي، قال: لما هزم علي بن أبي طالب «عليه السلام» أصحاب الجمل، بعث أمير المؤمنين «عليه السلام» عبد الله بن عباس «رحمة الله عليهما» إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلة العرجة.

قال ابن عباس: فأتيتها وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة قال: فطلبت الإذن عليها، فلم تأذن، فدخلت عليها من غير إذنها، فإذا بيت قفار لم يعد لي فيه مجلس، فإذا هي من وراء سترين.

قال: فضربت ببصري، فإذا في جانب البيت رجل عليه طنفسة، قال: فمددت الطنفسة فجلست عليها، فقالت من وراء الستر: يا ابن عباس، أخطأت السنة دخلت بيتنا بغير إذننا، وجلست على متاعنا

بغير إذننا، فقال لها ابن عباس «رحمة الله عليهما»: نحن أولى بالسنة منك ونحن علمناك السنة، وإنما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فخرجت منه ظالمة لنفسك غاشية لدينك عاتية على ربك عاصية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلا بإذنك ولم نجلس على متاعك إلا بأمرك، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلة العرجة.

فقالت: رحم الله أمير المؤمنين، ذلك عمر بن الخطاب.

فقال ابن عباس: هذا والله أمير المؤمنين، وإن تزبدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس.. أما والله لهو أمير المؤمنين، وأمس برسول الله رحماً، وأقرب قرابة، وأقدم سبقاً، وأكثر علماً، وأعلى مناراً، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر.

فقالت: أبيت ذلك.

فقال: أما والله إن كان إباؤك فيه لقصير المدة، عظيم التبعة، ظاهر الشؤم بين النكل، وما كان إباؤك فيه إلا حلب شاة حتى صرت لا تأمرين ولا تنهين، ولا ترفعين ولا تضعين، وما كان مثلك إلا كمثل ابن الحضرمي بن نجمان أخي بني أسد، حيث يقول:

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركتهم كأن قلوبهم في كل مجمعة طنين ذباب

قال: فأراقت دمعتها، وأبدت عويلها، وتبدّى نشيجها، ثم قالت:

أخرج والله عنكم فما في الأرض بلد أبغض إلى من بلد تكونون فيه، فقال ابن عباس «رحمه الله»: فوالله ماذا بلاءنا عندك ولا بضيعتنا إليك، إنا جعلناك للمؤمنين أماً وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة.

فقالت: يا ابن عباس، تمنون علي برسول الله؟!

فقال: ولم نمن عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننتنا به، ونحن لحمه ودمه ومنه وإليه، وما أنت إلا حشية من تسع حشايا خلفهن بعده لست بأبيضهن لوناً، ولا بأحسنهن وجهاً، ولا بأرشحهن عرقاً، ولا بأنضرهن ورقاً، ولا بأطرأهن أصلاً، فصرت تأمرين فتطاعين، وتدعين فتجابين، وما مثلك إلا كما قال أخو بني فهر:

مننت على قومي فأبدوا عداوة فقلت لهم كفوا العداوة والشكرا

ففيه رضا من مثلكم لصديقه وأحج بكم أن تجموا البغي والكفرا

قال: ثم نهضت وأتيت أمير المؤمنين «عليه السلام» فأخبرته بمقالتها وما رددت عليها، فقال: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك(1).

2 - وقال ابن أعثم:

ثم دعا علي «رضي الله عنه» بعبد الله بن عباس، فقال له: اذهب

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص57 - 60 و (ط مؤسسة آل البيت) ص277 - 279.

إلى عائشة، فقل لها أن ترتحل إلى المدينة كما جاءت، ولا تقيم بالبصرة.

فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن، ثم التفت، فإذا راحلة عليها وسائد، فأخذ منها وسادة وطرحها، ثم جلس عليها.

فقالت عائشة: يا بن عباس! أخطأت السنة، دخلت منزلي بغير إذني!

فقال ابن عباس: لو كنت في منزلك الذي خلفك فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما دخلت عليك إلا بإذنك، وذلك المنزل الذي أمرك الله عز وجل أن تقري فيه، فخرجت منه عاصية لله عز وجل ولرسوله محمد «صلى الله عليه وآله».

وبعد.. فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالارتحال إلى المدينة، فارتحلي ولا تعصي.

فقالت عائشة: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب!

فقال ابن عباس: وهذا والله أمير المؤمنين، وإن رغمت له الأنوف، واربدَّت له الوجوه!

فقالت عائشة: أبيت ذلك عليكم يا بن عباس!

فقال ابن عباس: لقد كانت أيامك قصيرة المدة، ظاهرة الشؤم، بيِّنة النكد. وما كنت في أيامك إلا كقدر حلب شاة حتى صرت ما

تأخذين وما تعطين، ولا تأمرين ولا تنهين. وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد حيث يقول:

ما زال إهـــداء الـــقصائد بيننا شـتم الصـديق وكثـرة الألقـاب
حتــى تـركت كأن قولك عندهم فــي كـــل محتفـل طنـــيــــن ذبـاب

قال: فبكت عائشة بكاء شديداً، ثم قالت: نعم، والله أرحل عنكم! فما خلق الله بلدا هو أبغض إلي من بلد أنتم به يا بني هاشم!

فقال ابن عباس: ولم ذلك؟! فوالله ما هذا بلاؤنا عندك يا بنت أبي بكر!

فقالت عائشة: وما بلاؤكم عندي يا بن عباس؟!

فقال: بلاؤنا عندك أننا جعلناك أم المؤمنين، وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقاً، وهو ابن أبي قحافة. وبنا سميت أم المؤمنين لا بتيم وعدي.

فقالت عائشة: يا بن عباس! أتمنون علي برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال: ولم لا نمن عليك، برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولو كانت فيك شعرة منه، أو ظفر لمننت علينا وعلى جميع العالمين بذلك!

وبعد.. فإنما كنت تسع إحدى حشايا (الصحيح: إحدى تسع حشايا) من حشاياه، لست بأحسنهن وجهاً، ولا بأكرمهن حسباً، ولا بأرشحهن عرقاً، وأنت الآن تريدين أن تقولي ولا تعصين، وتأمري ولا

تخالفين، ونحن لحم الرسول «صلى الله عليه وآله» ودمه، وفينا ميراثه وعلمه.

فقالت عائشة: يا ابن عباس! ما باذلك (كذا) عليك علي بن أبي طالب!

فقال ابن عباس: إذاً والله أقر له، وهو أحق به مني وأولى، لأنه أخوه وابن عمه، وزوج الطاهرة ـ ابنته، وأبو سبطيه، ومدينة علمه، وكشاف الكرب عن وجهه.

وأما أنت، فلا والله ما شكرت نعماءنا عليك، وعلى أبيك من قبلك!

ثم خرج وسار إلى علي، فأخبره بما جرى بينه وبين عائشة من الكلام(1).

علي × يواجه عائشة:

قال: فدعا علي ببغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاستوى عليها، وأقبل إلى منزل عائشة، ثم استأذن ودخل، فإذا عائشة جالسة وحولها نسوة من نساء أهل البصرة، وهي تبكي وهن يبكين معها.

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص335 و 338 و (ط دار الأضواء) ج2 ص486 و 487 وراجع: مروج الذهب ج2 ص368.

وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص229.

قال: ونظرت صفية بنت الحارث الثقفية امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي إلى علي، فصاحت هي ومن كان معها هناك من النسوة، وقلن بأجمعهن: يا قاتل الأحبة، يا مفرق بين الجميع، أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله بن خلف!

فنظر إليها علي، فعرفها، فقال: أما إني لا ألومك أن تبغضيني، وقد قتلت جدك في يوم بدر، فقتلت عمك يوم أحد، وقتلت زوجك الآن، ولو كنت قاتل الأحبة كما تقولين لقتلت من في هذا البيت، ومن في هذه الدار.

قال: فأقبل علي على عائشة، فقال: ألا تنحين كلابك هؤلاء عني، أما إنني قد هممت أن أفتح باب هذا البيت فأقتل من فيه، وباب هذا البيت فأقتل من فيه(1)، ولولا حبي للعافية لأخرجتهم الساعة، فضربت أعناقهم صبراً.

قال: فسكتت عائشة، وسكتت النسوة، فلم تنطق واحدة منهن.

قال: ثم أقبل على عائشة، فجعل يوبخها ويقول: أمرك الله أن تقري في بيتك، وتحتجبي بسترك، ولا تبرجي. فعصيته وخضت

(1) وكان فيه ناس من الجرحى، التجأوا إلى عائشة.. وفيهم مروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عامر، وغيرهم.

راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص540 و (ط الأعلمي) ج3 ص544 ومروج الذهب ج2 ص369.

الدماء، تقاتليني ظالمة، وتحرضين عليَّ الناس، وبما شرفك الله وشرف آباءك من قبلك، وسماك أم المؤمنين، وضرب عليك الحجاب.

قومي الآن، فارحلي، واختفي في الموضع الذي خلفك فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أن يأتيك فيه أجلك(1).

[وفي الطبري: أنه «عليه السلام» قال لها: استفززت الناس وقد فزوا، فألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً.. في كلام كثير.

فقالت عائشة: يا ابن أبي طالب، ملكت فاسجح. نعم ما أبليت قومك اليوم الخ..](2).

قال ابن أعثم:

«ثم قام علي فخرج من عندها.

قال: فلما كان من الغد بعث إليها ابنه الحسن، فجاء الحسن فقال لها: يقول لك أمير المؤمنين: «أما والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة! لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين»(3).

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص338 و 339 و (ط دار الأضواء) ج2 ص483 و 484.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص509 و (ط الأعلمي) ج3 ص520.

(3) الفتوح لابن أعثم ج2 ص339 و (ط دار الأضواء) ج2 ص484 وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص397 وبحار الأنوار ج38 ص74.

علي × وعائشة برواية الطبري:

قال الطبري:

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: ودخل علي البصرة يوم الإثنين، فانتهى إلى المسجد، فصلى فيه، ثم دخل البصرة، فأتاه الناس، ثم راح إلى عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة. وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي.

فلما رأته قالت: يا علي، يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه!

فلم يرد عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها وقعد عندها، وقال لها: جبهتنا صفية.. أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم.

فلما خرج علي أقبلت عليه، فأعادت عليه الكلام، فكف بغلته وقال: أما لهممت ـ وأشار إلى الأبواب من الدار ـ أن أفتح هذا الباب، وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه ـ وكان أناس من الجرحى قد لجأوا إلى عائشة، فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم ـ فسكتت.

فخرج علي، فقال رجل من الأزد: والله لا تفلتنا هذه المرأة.

فغضب وقال: صه، لا تهتكن ستراً، ولا تدخلن داراً، ولا تهيجن امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف؛ ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن، وإنهن لمشركات، وإن الرجل ليكافئ المرأة، ويتناولها بالضرب، فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس.

ومضى علي، فلحق به رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، قام رجلان ممن لقيت على الباب، فتناولا من هو أمض لك شتيمة من صفية.

قال: ويحك، لعلها عائشة؟!

قال: نعم. قام رجلان منهم على باب الدار، فقال أحدهما:

جزيت عنا أمنا عقوقاً

وقال الآخر:

يا أمنا توبي فقد خطئت

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين، فقال: أضرب أعناقهما. ثم قال: لأنهكنهما عقوبة.

فضربهما مائة مائة، وأخرجهما من ثيابهما.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي الكنود قال: هما رجلان من أزد الكوفة، يقال لهما: عجل وسعد ابنا عبد الله(1).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص539 و 540 و (ط الأعلمي) ج3 ص543 و

تهديد عائشة بنسوة من بكر:

ولا بد من فهم المقصود من تهديد علي «عليه السلام» لعائشة بنسوة من بكر بن وائل.. فإنها بمجرد سماعها لهذا التهديد رضيت بالمسير وبادرت إليه.

ولعله «عليه السلام» أراد أن يقول لها: إنها ليس لها خيار في هذا الأمر، وإن امتناعها سيجعله يوكل بها نسوة لا تستطيع أن تنتصف منهن، ولن يعاملنها بالإحترام، بل بما يمليه عليهن الواجب والتكليف الصادر لهن بكل شدة، وحدة، ودقة، ولن ينفعها زجرهن وسبهن، لأنهن سوف يعاملنها بالمثل، ولن تستطيع أن تدعي: أنه «عليه السلام» هتك حرمتها بتسليط الرجال عليها، والسماح لهم بإيذائها. كما أنها لن تستطيع أن تعرض أمرها على أي كان من الناس، لأن ذلك سيكشف للناس خطأها، ومجانبتها للحق.

أخطأت السنة:

لا أدري كيف تجرأت عائشة على مطالبة ابن عباس بمراعاة السنة، وقد نسيت عائشة:

أولاً: أنها لم تكن في منزلها، الذي أوجب الله عليها أن تكون فيه..

ثانياً: إنها رأت ما ظنته شعرة هنا، ولم تر جبلاً هائلاً من

.544

المخالفات للآيات والأوامر النبوية الصريحة، وهذا الجبل الذي تسلقت عليه عبر عشرين ألف قتيل كانت السبب في ذبحهم في يومها ذاك. هذا عدا عشرات الألوف من الجرحى أيضاً.

بنت أم رومان:

1 - وقد بيَّن كلام ابن عباس مع عائشة: أنها لم تكن من بيت رفيع، ومرموق في قريش والعرب لا من ناحية الأم، ولا من ناحية الأب.. بل كانت من بيت قليل وذليل كما تقدم بيانه حين ذكرنا قول عمير بن الأهلب، وهو أحد أنصارها: «وهل تيم إلا أعبد وإماء»؟!

وقد دلنا على ذلك: أنها حين أنكرت أن يكون لبني هاشم أي فضل عليها، قال لها ابن عباس:

بلاؤنا عندك أننا جعلناك أم المؤمنين، وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة، [حامل قصاع الودك لابن جذعان إلى أضيافه]، وبنا سميت أم المؤمنين، لا بتيم وعدي.

2 - إن حب عائشة للرياسة والنفوذ لم يكن خافياً على أحد. مع أنها ـ كما يقول ابن عباس ـ مجرد واحدة من بين تسع نساء من نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، ليست «بأحسنهن وجهاً، ولا بأكرمهن حسباً، ولا بأرشحهن عرقاً».

وتقدم قول عمير بن الأهلب: أنها كانت في حرب الجمل تريد أن تكون هي أميرة المؤمنين..

لست بأبيضهن لوناً، ولا بأحسنهن وجهاً:

وقد أشار ابن عباس إلى أن عائشة لم يكن لها أية ميزة تميزها عن نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، فهي لا تمتاز عنهن في شيء من الحسن، أو بياض اللون..

بغلة رسول الله ' أم جمل عائشة؟!:

وقد ذهب علي «عليه السلام» إلى عائشة راكباً بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، ليفهمها ويفهم الناس: أن غاية ما عندها هو أن تُدِلَّ بزوجيتها من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأين هذه الخصوصية من خصوصية أخوة علي «عليه السلام» للرسول «صلى الله عليه وآله»، وكونه وصيه، ووارثه، وخليفته من بعده، وابن عمه، وزوج ابنته، وأبي سبطيه وغير ذلك مما لا بد أن يتذكره الناس فيه بمجرد رؤيتهم ركوبه بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وقد رأينا حضور بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وملازمتها له «عليه السلام» في مختلف مفاصل حرب الجمل، من ابتدائها إلى انتهائها، ربما ليقارن الناس بينها وبين جمل عائشة، فإنه كان جمل فتنة، وكان شيطاناً.. ولا بد أن يعقر، ثم يحرق، ثم يذرى رماده في الريح..

أما بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد كانت مباركة

مرضية، تشيع السلام والسلامة، والأمن والكرامة.. كما أنها كانت للهدى سمة وعلامة..

نظر إليها فعرفها:

وقد يراود خاطر البعض سؤال عن جواز أن يتأمل «عليه السلام» في وجه زوجة ابن خلف ـ وهي امرأة أجنبية ـ حتى عرفها.. وعن السبب في إظهار تلك المرأة وجهها أيضاً..

وكذلك عن قول ابن عباس في السابق لعائشة: «لست بأبيضهن لوناً، ولا بأحسنهن وجهاً..»، فهل كان من اللائق بهؤلاء الأخيار أن ينظروا في وجوه النساء، لا سيما وأن إحداهن زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فإذا جوزنا ذلك لابن عباس، لأنه لم يكن معصوماً، فكيف جوزناه لعلي «عليه السلام» وهو الإمام المعصوم، وهو أسوة وقدوة وحجة للناس في أقواله وأفعاله؟!

ونجيب:

1 ـ بالنسبة لابن عباس وعائشة نقول:

أولاً: إن ابن عباس ولد سنة الهجرة أو قبلها بثلاث سنوات، فلا مانع من أن يكون قد رأى عائشة وغيرها من النساء في أيام طفولته..

ثانياً: إذا كان ضرب الحجاب على النساء بصورة تامة قد حصل بعد عدة سنوات من الهجرة، فإن معنى ذلك: أن يكون الناس قد رأوا

وجه عائشة وغيرها، وعرفوا ما ذكره ابن عباس عنها، وعنهن..

ثالثاً: إن من يراجع النصوص الواردة عن الأئمة المعصومين «عليهم السلام»، يجد: أنها لا تصرح بإيجاب ستر الوجه، بل هي تتجه نحو نهي الرجال عن النظر إلى النساء، وأن المسموح به هو فقط النظرة الأولى العفوية. وأما الثانية التي تستبطن التلذذ والريبة فمحرمة بلا ريب..

ولعل هذا هو ما تفرضه الحاجة ويقتضيه واقع الأمور على كثير من النساء اللواتي يحتجن إلى طلب الرزق، مع اضطرارهن للتردد في الحاجات المختلفة، وفيهن العاجزات والمسنات، بالإضافة إلى وجود نساء غير مسلمات، وفيهن المتبرجات، اللواتي لا تنتهين إذا نهين..

بالإضافة إلى ظروف أخرى.. تجعل من فرض ستر الوجه على جميع النساء أمراً غير عملي، وبعيد المنال.

ولكن ذلك لم يمنع ذوي العفه والغيرة، والشعور بالمسؤولية من الرجال والنساء من مراعاة لجانب الحيطة في الحجاب، طلباً لثواب الله، وسعياً لتحاشي كل ما يساعد على إثارة الشهوات في المجتمع، فظهر الإلتزام بالستر والحجاب التام في شرائح كثيرة في المجتمعات المتدينة. ولا شك في أن هذا مطلوب ومحبوب للشارع الكريم والحكيم.

وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله

عليه وآله»: أن هذا الأمر كان سائداً أيضاً في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى إن حرب بني قينقاع قد حصلت لأجل أن بعض اليهود قد تطفلوا على بعض النساء المسلمات في سوقهم، وأرادوها على كشف وجهها فامتنعت، ثم تطور الأمر إلى العبث الذي أدى إلى انكشاف ما سترته من جسدها.. وانطلقت الشرارة، فكانت الحرب، وأُجلي بنو قينقاع عن المدينة..

2 ـ أما بالنسبة لزوجة عبد الله بن خلف التي نظر إليها علي «عليه السلام» فعرفها، فنقول:

أولاً: ليس في الرواية تصريح بتأمله لها، بل هي تقول: نظر إليها فعرفها، ومن المعلوم: أن كل من يسمع صيحة، أو صوتاً عالياً من قائل، فلا بد أن ينظر إلى الجهة التي يأتيه منها الصوت. فإذا التفت «عليه السلام»، فرأى مصدر الصوت، فعرف صاحب الصوت بمجرد وقوع نظره عليه، فلا يعني ذلك: أنه قد تعمد النظر إلى الأجنبية، ليرد هذا الإشكال. وليس في الرواية أنه تأملها أو أحد النظر إليها، أو ما إلى ذلك..

ثانياً: لا يحرم النظر إلى المرأة المسنة التي أجاز لها الشارع أن تضع ثيابها، وذلك لقوله تعالى: (**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ**

بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(1).

ألا تنحين كلابك عني!!:

وهنا أمور يحسن لفت النظر إليها، وهي التالية:

ألف: قد يتوهم البعض: أن من غير المناسب أن يصف أمير المؤمنين النسوة اللاتي كن عند عائشة بالكلاب، حين قال لعائشة: «ألا تنحين كلابك هؤلاء عني»؟! فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولم يكن سباباً.. وعلي «عليه السلام» لا يخالف خطة النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك، ولا في غيره..

ونجيب:

ليس المقصود السب ولا الشتم، بل المقصود بيان: أن هؤلاء النسوة، قد أشبهن الكلاب في تصرفهن مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإن الكلب يستقبل الوافد بالهجوم عليه، لمصلحة صاحب الكلب.. ولا يهتم ولا يعرف ذلك الكلب عواقب فعله..

والنسوة هنا بادرن إلى الهجوم على علي «عليه السلام» بغير حق، وشرعن بالدعاء على أبنائه بما فيهم ابن الحنفية والحسنان «عليهما السلام»، وزينب وغيرهم.. إرضاءً منهن لعائشة، مع أن عائشة هي سبب ما جرى لرجالهن، ولم يسألن علياً «عليه السلام» عن أسباب ما جرى، ولماذا كان القتال، ومن الذي بدأ القتال.. ومَن

---

(1) الآية 60 من سورة النور.

المحق ومَن المبطل..

ب: وقد دل قوله «عليه السلام»: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت، ومن في هذه الدار، بمثابة الدليل على كذب هؤلاء النسوة في أقوالهن، وأنه «عليه السلام» إنما كان يقاتل من يقاتله.. فإذا دفع شره عفا عنه. والشاهد على ذلك: أنه ومع علمه بوجود أعدائه في قبضته، فإنه لا يبادر إلى قتلهم.. وهو قادر على ذلك..

وهذا يدل على أن الذين قتلوا في الميدان كانوا هم الذين جنوا على أنفسهم، ولو لم يخرجوا لقتاله لم يصبهم شيء..

ج: إن حديثه «عليه السلام» عن إخراج المختبئين في تلك البيوت وقتلهم صبراً يدل على استحقاقهم للقتل، ولكنه «عليه السلام» يعفو عنهم تكرماً.. وليس لعائشة ولا لغيرها أن يعترض عليه في ذلك..

د: إن هذا الذي جرى يدل على أنه «عليه السلام» لم يكن غافلاً عن تحركات أعدائه، وكان يعرف مواضعهم فرداً فرداً.. ولكنه كان مصمماً على التعامل معهم بالصفح والعفو، وعدم تتبعهم في مواضعهم..

عقوبة من وقع في عائشة:

أما الرواية التي ذكرها الطبري عن سيف، حول قول عجل وسعد ابني عبد الله الأزدي لعائشة: «جزيت عنا أماً عقوقاً..». وقولهما: «يا

أمنا توبي فقد خطيت..». وأن علياً «عليه السلام» أراد أن يضرب أعناقهما، ثم ضربهما مئة مئة.. فهي رواية مكذوبة بلا ريب، ويتضح ذلك بملاحظة الأمور التالية:

1 ـ إن ما قاله المقاتلون من أرجاز في ساحة القتال: قد تضمن بعضه نفس هذه المعاني، ولم نجده «عليه السلام» قد غضب لذلك، أو اشتد عليه.. فمن تلك الأرجاز:

يـــا أم، يا أم، عققـــت فاعلموا والأم تـــغدو ولـــدها وترحـــم

ومنها قوله:

يـــا أمنـــا أعـــق أم نـــعلم ....

2 ـ قلنا فيما سبق: أن القعقاع ـ كما يقول العلامة العسكري ـ شخصية وهمية اخترعها سيف.

3 ـ إن طلب التوبة ممن أخطأ ليس قبيحاً، ولا حراماً.. وقد طلب الله تعالى من عائشة وحفصة التوبة، فقال: (**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**)(1).

فلماذا إذن يريد علي «عليه السلام» قتل من قال لعائشة: «يا أمنا توبي فقد خطيت»؟! أم يعقل أن يكون علي «عليه السلام» يرى أن عائشة مصيبة فيما أقدمت عليه، ولا تحتاج إلى التوبة؟!

---

(1) الآية 4 من سورة التحريم.

أو أنها تحتاج إلى التوبة، لكن لا يجوز طلبها منها؟!

4 - لم نفهم معنى قول الراوي: «وأخرجهما من ثيابهما».. وهل الإخراج من الثياب من أنواع العقوبات التي كان «عليه السلام» يمارسها مع المذنبين؟!

إلا أن يكون المراد: أنه عاقبهما بعد نزع ثيابهما، لأن العقوبة على الجسد مباشرة أشد إيلاماً مما لو كانت من فوق الثياب.

5 - والأغرب من ذلك كله: توعده لهما بالقتل، ثم عدوله إلى ضربهما مئةً مئةً، فإن كان حكمهما القتل، فلماذا اكتفى بالضرب؟! وإن كان حكمهما الضرب، فلماذا هددهما بالقتل؟! وإن كان لا يدري بالحكم الحقيقي لهما فتلك مصيبة، وإن كان يدري، فلماذا التردد فيه؟!

6 - هل يعد طلب التوبة شتيمة؟!

طلاق عائشة في فصل مستقل:

أما بقية الرواية التي تحدثت عن مجيء الإمام الحسن «عليه السلام» إلى عائشة برسالة من أبيه: «لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك ما تعلمين».

فسيأتي الحديث عنه في الفصل الذي يلي هذا الفصل.

النص الأقرب إلى القبول:

روى فرات بن إبراهيم، عن عبيد بن كثير، معنعناً عن أصبغ بن نباتة قال: لما هزمنا أهل البصرة جاء علي بن أبي طالب «عليه

السلام» حتى استند إلى حائط من حيطان البصرة، فاجتمعنا حوله وأمير المؤمنين راكب والناس نزول، فيدعو الرجل باسمه، فيأتيه. ثم يدعو الرجل باسمه، فيأتيه. ثم يدعو الرجل باسمه، فيأتيه. حتى وافاه منا ستون شيخاً، كلهم قد صغروا اللحى وعقصوها، وأكثرهم يومئذ من همدان.

فأخذ أمير المؤمنين «عليه السلام» طريقاً من طرق البصرة ونحن معه، وعلينا الدرع والمغافر، متقلدي السيوف، متنكبي الأترسة، حتى انتهى إلى دار قوراء، فدخلنا، فإذا فيها نسوة يبكين، فلما رأينه صحن صيحة واحدة وقلن: هذا قاتل الأحبة.

فأمسك عنهن [أمير المؤمنين] ثم قال: أين منزل عائشة؟!

فأومأن إلى حجرة في الدار.

فحملنا علياً عن دابته فأنزلناه، فدخل عليها، فلم أسمع من قول علي شيئاً، إلا أن عائشة كانت امرأة عالية الصوت، فسمعنا [قولها] كهيئة المعاذير: إني لم أفعل.

ثم خرج علينا أمير المؤمنين، فحملناه على دابته، فعارضته امرأة من قبل الدار.

فقال: أين صفية؟!

قالت: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: ألا تكفِّين عني هؤلاء الكلبات التي يزعمن أني قاتل الأحبة؟!

لو قتلت الأحبة لقتلت من في تلك الدار ـ وأومى بيده إلى ثلاث حجر في الدار.

[قال:] فضربنا بأيدينا على قوائم السيوف، وضربنا بأبصارنا إلى الحجر التي أومى إليها، فوالله ما بقيت في الدار باكية إلا سكنت، ولا قائمة إلا جلست.

قلت: يا أبا القاسم، فمن كان في تلك الثلاث حجر؟!

قال: أما واحدة فكان فيها مروان بن الحكم جريحاً، ومعه شباب قريش جرحى.

وأما الثانية فكان فيها عبد الله بن الزبير، ومعه آل الزبير جرحى.

وأما الثالثة فكان فيها رئيس أهل البصرة، يدور مع عائشة أين ما دارت.

قلت: يا أبا القاسم، هؤلاء أصحاب القرحة، فهلا ملتم عليهم بهذه السيوف؟!

قال: يا ابن أخي، أمير المؤمنين كان أعلم منك. وسعهم أمانه، إنَّا لما هزمنا القوم نادى مناديه: «لا يدفف على جريح، ولا يتبع مدبر. ومن ألقى سلاحه فهو آمن» سنة يستن بها بعد يومكم هذا.

ثم مضى ومضينا معه حتى انتهينا إلى المعسكر، فقام إليه ناس من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، منهم: أبو أيوب الأنصاري، وقيس بن سعد، وعمار بن ياسر، وزيد بن حارثة، وأبو

ليلى.

فقال: ألا أخبركم بسبعة [هم] من أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى؟!

قال أبو أيوب: بلى والله، فأخبرنا يا أمير المؤمنين، فإنك كنت تشهد ونغيب.

قال: فإن أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى سبعة من بني عبد المطلب، لا ينكر فضلهم إلا كافر، ولا يجحد إلا جاحد.

قال عمار بن ياسر «رضي الله عنه»: ما اسمهم يا أمير المؤمنين فلنعرفنهم؟!

قال: إن أفضل الناس يوم يجمع الله الخلق [و] الرسل محمد، وإن من أفضل الرسل محمداً «عليهم الصلاة والسلام».

ثم إن أفضل كل أمة بعد نبيها وصي نبيها حتى يدركه نبي، وإن أفضل الأوصياء وصي محمد «عليهما الصلاة والسلام».

ثم إن أفضل الناس بعد الأوصياء، الشهداء. وإن أفضل الشهداء حمزة وجعفر بن أبي طالب، ذا جناحين يطير بهما مع الملائكة، لم يحل بحليته أحد من الآدميين في الجنة شيء شرفه الله به.

والسبطان الحسنان سيدا شباب أهل الجنة.

والمهدي يجعله الله من أحب منا أهل البيت.

ثم قال: أبشروا ـ ثلاثاً ـ **(وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ**

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا)[1]»[2].

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

لا تشويش في الرواية:

قد يقال: إن في هذه الرواية بعض التشويش، فهي تقول تارة: إن علياً استند إلى حائط من حيطان البصرة، ثم تقول مباشرة: فاجتمعنا حوله وأمير المؤمنين راكب والناس نزول..

فكيف يكون مستنداً إلى حائط وهو راكب؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن المراد: أنه «عليه السلام» قد وقف بجانب ذلك الحائط، وكان راكباً، والناس حوله، ربما لأنه أراد أن يستظل بذلك الحائط من حر الشمس.

صغروا اللحى وعقصوها:

1 - وقد ذكرت الرواية: أنه «عليه السلام» قد اختار ستين شيخاً

---

(1) الآيتان 69 و 70 من سورة النساء.

(2) تفسير فرات الكوفي ص111 - 113 وبحار الأنوار ج32 ص272 - 274 عنه، وراجع: دعائم الإسلام ج1 ص394

ذهب بصحبتهم إلى المنزل الذي فيه عائشة.. ربما ليشهدوا ما يجري له هناك، فلا يدَّعي مدَّعٍ أنه أساء القول معها، أو مع من هم حولها.. وليروا أنهم هم الذين يعتدون على علي «عليه السلام»، ويسمعونه قواذع القول، وهو يصفح عنهم، بل إنهم يخفون عنه أعداءه، وقتلة أصحابه، وهو يعرف ذلك، ويتغافل، ويعفو، ويصفح.

2 - إن الذين اختارهم كانوا شيوخاً كبار السن، لا يتهمون بالحماس، وهم من المعروفين بالإستقامة والتقوى، فلا يتجنون على أحد، ولا يتهمون أحداً جزافاً.

3 - إنهم قد صغروا لحاهم وعقصوها.. وهذا يشير إلى أنهم من العقلاء ومعتدلي المزاج، ولو أنهم كانوا يطيلون لحاهم لكان ذلك من علامات الحمق وعدم الإتزان فيهم.

حملنا علياً × فأنزلناه:

إن حمل علي «عليه السلام» وإنزاله عن دابته، ثم حمله على دابته، لا يعني أنه «عليه السلام» كان يلقى كله على الناس تكبراً، وتعززاً.. لأن علياً «عليه السلام» أجلُّ من أن يفعل ذلك، وكيف ينسب إلى ذلك، وهو الذي نهى الناس عن أن يكلموه بما تكلم به الجبابرة؟![1]. كما أنه لم يرض من حرب بن شرحبيل الشبامي أن

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص201 والكافي ج8 ص356 وبحار الأنوار ج27 ص253 وج34 ص186 وج41 ص154 وج74

يمشي معه وهو راكب، وقال له: ارجع، فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي، ومذلة للمؤمن(1).

بل المقصود: أنهم بادروا إلى مساعدته على ركوب الدابة، ومساعدته في النزول عنها، حباً منهم له «عليه السلام»، وتبركاً به، ورغبة في الثواب عند الله، ولم يكن «عليه السلام» ليحرم الناس من ذلك..

زيد بن حارثة:

ذكرت الرواية زيد بن حارثة في جملة الصحابة الذين كانوا مع علي «عليه السلام» في حرب البصرة، وليس المراد به زيد بن حارثة بن شراحيل، والد أسامة بن زيد، فإنه قد استشهد في مؤتة في سنة ثمان للهجرة..

بل المراد به: زيد بن حارثة آخر، قال الشيخ الطوسي في رجاله:

ص358 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص101.

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج4 ص77 (قسم الحكم) الحكمة رقم 322 وصفين للمنقري ص532 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص62 و (ط الأعلمي) ج4 ص45 وبحار الأنوار ج32 ص554 و 619 وج72 ص357 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج8 ص148 والمعيار والموازنة للإسكافي ص193 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج19 ص234 والكامل في التاريخ ج3 ص325.

وليس بأبي أسامة بن زيد(1).

ويحتمل: أن يكون المراد زيد بن جارية بن مجمع بن العطاف الأنصاري الأوسي، أخو مجمع بن جارية، وهذا قد استشهد في صفين مع علي «عليه السلام»(2).

سبعة من أفضل الخلق:

وحين عاد أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى المعسكر، لم يذكر لهم ما جرى بينه وبين عائشة، ولا حدثهم عن الذين خبأتهم عندها، وهم من أعدى أعدائه، وفيهم رئيس البصرة، ورؤوس الناكثين من قريش، مثل: مروان، وشباب قريش جرحى، وابن الزبير، وآل الزبير جرحى، وهم أصحاب القرحة الذين يستحقون القتل بما اقترفوه، وهم رأس الأفعى، الذين سوف لا يكفون عن أذاه، وأذى كل من يلوذ به أو ينتسب إليه..

كما أنه «عليه السلام» لم يحدثهم عن شؤون الحرب، ولا عن التدابير والإجراءات التي يريد أن يتخذها لإعادة الأمور إلى نصابها، ولا عن المشكلات التي ينوي معالجتها، بل صرف النظر إلى اتجاه آخر.. فذكر لهم: أن ثمة سبعة سوف يبعثهم الله يوم القيامة هم من

(1) راجع: رجال الطوسي ص64 وإختيار معرفة الرجال (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص193.
(2) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج1 ص556 و (ط دار الجيل) ج2 ص541.

أفضل الخلق..

وقد لاحظنا في حديثه عن هؤلاء السبعة أموراً عديدة نذكر منها ما يلي:

1 - إنهم كانوا كلهم من بني عبد المطلب. كما صرح به «عليه السلام» .

وهذا معناه: أنه ليس لبني أمية نصيب في هذا الفضل..

2 - إن ثلاثة من هؤلاء كانوا قد ماتوا، وهم: النبي «صلى الله عليه وآله»، وحمزة، وجعفر بن أبي طالب.. وثلاثة لا يزالون على قيد الحياة، وهم: علي والحسن والحسين «عليهم السلام». وهم الذين تشن الحرب عليهم عائشة، وهي من بني تيم، ومن معها من الزبيريين، والقرشيين..

3 - إنه «عليه السلام» قد وجه خطابه هنا لجماعة من الصحابة. وفيهم من أعيانهم، كبارهم أمثال عمار الذي شهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» له شهادات شاعت وذاعت حتى لا يكاد يجهلها أحد.. وفيهم: أبو أيوب، وقيس بن سعد، وزيد بن حارثة كما صرحت به الرواية.

4 - إنه بمجرد أن علموا بأنه «عليه السلام» راغب بإخبارهم عن سبعة هم من أفضل الخلق بادر أبو أيوب لحثه على ذلك، على اعتبار أنه إنما يروي لهم ذلك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان «عليه السلام» يحضر عنده دونهم.. ولم ينف «عليه السلام» ذلك،

حيث لم يقل له: أنا لا أخبرك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنما أخبرك عن اجتهادي ورأيي. بل هو قد أيد ما فهمه أبو أيوب وغيره، وعرفهم: بأنه يخبرهم عن أمر غيبي متصل بيوم القيامة، الذي لا يعرف بالإجتهاد والرأي، بل بالنقل عن متصل بالغيب، ولا يكون ذلك إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسدد والمؤيد بالوحي الإلهي..

5 ـ ثم زاد «عليه السلام» في تأييد ذلك، حين بيَّن: أن ثمة حكماً شرعياً إلهياً، لا يعرف أيضاً إلا من قبل صاحب الشريعة، وهو أن من ينكر فضل هؤلاء فهو كافر، أو جاحد..

ومن الواضح: أنه ليس على وجه الأرض ولا في الخلق أحد من الناس يكون من ينكر فضله كافراً وجاحداً غير علي والحسنين «عليهم السلام».

6 ـ إن هذا الحديث يتضمن الحكم منه «عليه السلام»، إستناداً إلى قول الرسول «صلى الله عليه وآله»، الذي لا ينطق عن الهوى، بكفر وجحود الذين حاربوه، ومن سوف يحاربونه بما فيهم معاوية والقاسطون، والمارقون.

7 ـ إنه «عليه السلام» قد أعلم الناس كلهم: أنه ومعه الحسن والحسين «عليهم السلام» أفضل الخلق، ثم بشر من معه بأنهم أهل الطاعة لله وللرسول، وبأنهم **(مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ**

مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا)[1].

ولازم ذلك: أن يكون محاربوه مع الفرقاء الآخرين المقابلين لهذا الفريق..

(1) الآيتان 69 و 70 من سورة النساء.

الفصل الثاني:

علي × يهدد عائشة بالطلاق..

صورة عائشة في سدافة من حرير:

وعن علي بن مسهر [من رجال الصحاح الست]، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني رأيتك في المنام مرتين: أرى جملاً يحملك في سدافة من حرير، فقال: هذه امرأتك. فاكشفها، فإذا هي أنت(1).

ونقول:

1 - إن هذا التحذير لم يأت في قوالب لفظية، وعلى شكل أقوال وبيانات، وأوامر وزواجر.. بل هو حديث لرؤيا رآها «صلى الله عليه وآله» في منامه تجسد له عائشة، في صورة لا يريد لها أن تكون عليها..

2 - إن هذه الرواية تدل: على أن المقصود بهذه الرؤيا النبوية هو

---

(1) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة للمفيد ص36 وبحار الأنوار ج32 ص285 والجمل لابن شدقم ص42.

تحذير عائشة من أمر سوف تقدم عليه.. وهذا التحذير لها وإن كان قد تكرر منه «صلى الله عليه وآله» في مناسبات عديدة، ولكنه قد جاء في هذه المرة بصورة فريدة من نوعها، من شأنها أن تثير الإهتمام بما تضمنه من تصوير حي لما سوف يكون منها..

3 ـ إن هذا المنام قد تكرر ظهوره له، ربما للتأكيد على أن مضمونه حاصل لا محالة، وإن المطلوب هو إيصال رسالة لمن يعنيه الأمر، فلا يتوهمن أحد أنه مجرد منام عرض له «صلى الله عليه وآله»، لا يدرى سببه، بل هو يريد أن يرمز إلى معنى أو مفهوم تجريدي، وليس له أثر في حركة الواقع العملي..

4 ـ إن من المعلوم: أن منامات الأنبياء لا يمكن أن تكون أضغاث أحلام، بل هي رؤية للواقع، ومن الوحي الإلهي الذي لا ريب فيه، ولا شبهة تعتريه.

5 ـ واللافت جداً في هذا الأمر: هو أن عائشة نفسها هي التي تروي هذه الحادثة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. كما أن من يرويها عنها هم أهلها وذووها، وأتباعها ومحبوها، فلا مجال للريب ولا للشك فيها، ولا لاحتمال الرغبة في إدانتها أو التحامل عليها..

6 ـ قد يبدو للناقد البصير، والباحث الخبير: أن عائشة لم تتنبَّه لمغزى ما نقلته عن الرسول إلا بعد فوات الأوان، فحاولت أن تروي الرواية مرة أخرى بطريقة تفقدها معناها ومغزاها، وتحولها من تحذير لها إلى وسام، ومدح وثناء، فلم تذكر فيها صورة

الركوب على الجمل، واكتفت بأن الملك جاء بصورتها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في سدافة أو سرقة من حرير، ليخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنها ستكون زوجة له.. فراجع[1].

لكنها قد ضمنت روايتها هذه ما ينقضها، وهو أنه «صلى الله عليه وآله» لما رأى صورتها قال: إن يك من عند الله يمضه، مع أن هذه الإضافة التشكيكية لا تنسجم مع حقيقة: أن رؤيا الأنبياء غير قابلة للتشكيك.

النبي ' يخبر عائشة بالتفاصيل:

وقد روي: عن الصادق «عليه السلام» عن آبائه «عليهم السلام» في خبر الطير: أنه جاء علي «عليه السلام» مرتين، فردته عائشة، فلما دخل في الثالثة وأخبر النبي «صلى الله عليه

(1) صحيح البخاري (ط سنة 1309 هـ) ج3 ص153 وراجع: كتاب التعبير من البخاري باب 20 و 21 ومناقب الأنصار باب 44 وصحيح مسلم (ط دار الحديث سنة 1412 هـ) ج4 ص1889 و 1890 وسنن الترمذي ج5 ص363 وأسد الغابة ج5 ص503 والبداية والنهاية ج3 ص161 والوافي بالوفيات ج16 ص342 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص246 وسير أعلام النبلاء ج2 ص140 وشرح مسند أبي حنيفة ص254 وصحيح ابن حبان ج16 ص6 ومسند ابن راهويه ج3 ص650 والمعجم الكبير للطبراني ج23 ص20 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص165 والسيرة النبوية لابن كثير ج2 ص140 ومسند أحمد ج6 في مواضع عديدة.

وآله» به قال النبي «صلى الله عليه وآله»: أبيت إلا أن يكون الأمر هكذا يا حميراء، ما حملك على هذا؟!

قالت: يا رسول الله، اشتهيت أن يكون أبي أن يأكل من الطير.

فقال لها: ما هو أول ضغن بينك وبين علي، وقد وقفت على ما في قلبك لعلي إن شاء الله تعالى لتقاتلينه!!

فقالت: يا رسول الله، وتكون النساء يقاتلن الرجال؟!

فقال لها: يا عائشة، إنك لتقاتلين علياً، ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي، فيحملونك عليه.

وليكونن في قتالك أمر يتحدث به الأولون والآخرون، وعلامة ذلك: أنك تركبين شيطاناً تبتلين [به] قبل أن تبلغي إلى الموضع الذي يقصد بك إليه، فتنبح عليك كلاب الحوأب، فتسألين الرجوع، فيشهد عندك قسامة أربعين رجلاً: ما هي كلاب الحوأب.

فتصيرين إلى بلد أهله أنصارك، وهو أبعد بلاد في الأرض من السماء، وأقربها إلى الماء.

ولترجعن وأنت صاغرة غير بالغة ما تريدين، ويكون هذا الذي يردك مع من يثق به من أصحابه، وإنه لك خير منك له.

ولينذرنك ما يكون به الفراق بيني وبينك في الآخرة، وكل من فرق علي بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز.

فقالت له: يا رسول الله ليتني مت قبل أن يكون ما تعدني؟!

قال: فقال لها: هيهات هيهات، والذي نفسي بيده ليكونن ما قلت حتى كأني أراه(1).

ونقول:

لا مكافآت بلا عمل:

لو أغمضنا عن لزوم التسليم والقبول بما يريده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن أن تمام الإيمان هو أن يحب المؤمن ما يحبه الله ورسوله، ولا يدخل فيه شيئاً من هواه ورغباته.. فإننا قد نعذر من يرغب بأن يحصل لبعض أحبائه على ما يرى أن غيره قد ناله.

ولكننا لا بد أن نشترط عليه في هذه الحالة أن يكون من يريد له نيل ذلك قد بذل جهداً، أو عمل عملاً يبرر طلب ذلك له.. حتى لو لم يكن عمله بالمستوى المطلوب واللائق..

ولكن عائشة أرادات أن تنيل أباها أمراً على خلاف رغبة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولعل أباها لم يكن قد بذل جهداً من شأنه تبرير طلب وصول هذا الأمر إليه والحصول عليه..

بل هي أرادت حرمان مستحقه منه، رغم أنه إنما استحقه بعمله، وبجهده وجهاده، وأن تبذله لمن لا يستحقه، لا بعلم ولا بعمل.

---

(1) الإحتجاج ج1 ص471 - 472 و (ط دار النعمان) ج1 ص293 و 294 وبحار الأنوار ج32 ص277 و 278 وج38 ص349 و 350.

بل لقد تجاوز الأمر ذلك إلى حد أنها لم تكن تريد أن تنيل أباها هذا الشرف لمجرد حبها له، بل لأنها ـ كما تقول الرواية ـ كانت تنطلق من ضغن وحقد كانت تحمله لعلي «عليه السلام»..

وقد أخبرها «صلى الله عليه وآله»: أنه قد عرف بضغنها هذا، ووقف عليه.

بل لقد أخبرها «صلى الله عليه وآله»: بأنه لم يكن أول ضغن انطوت عليه على علي «عليه السلام»..

ولم تنكر عائشة ذلك، ولا شككت فيه. بل تعاملت معه على أنه أمر واقع، بلا ريب..

عائشة لا تنكر حقدها على علي ×:

قلنا: إن عائشة ـ حسب ما تفيده هذه الرواية ـ لم تنكر أن تكون حاقدة على علي «عليه السلام»، ربما لأنها أدركت أن تصرفاتها تجاهه، وكلماتها فيه وعنه «عليه السلام» كانت ظاهرة الدلالة على ذلك..

كما أنها كانت تعرف أن النبي «صلى الله عليه وآله» مسدد بالوحي.

ولعل مواجهات النبي «صلى الله عليه وآله» لها بالحقيقة، وتصريح القرآن بما دل على ما كانت تضمره وتبطنه، وتحاول إخفاءه، كما جرى لها في قضية إفشائها سر الرسول «صلى الله عليه

وآله»، حتى نزلت سورة التحريم لتسجل فضيحة كبرى في هذا الأمر، لتكون قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، وقد كان هذا درساً مراً، لا يمكن لها أن تنساه. بل لا مجال لحمل الناس على نسيانه، وهم يتلون القرآن.

أيقاتل النساء الرجال؟!:

إن عائشة سألت الرسول «صلى الله عليه وآله»، متعجبة، وبإظهار قدر من البراءة والسذاجة، فقالت: «وتكون النساء يقاتلن الرجال»؟!

فجاءتها الإجابة المرة التي صرحت بأدق التفاصيل. لتسجل ذلك كوثيقة غيبية لا يمكن إلا أن يكون مصدرها الوحي الإلهي، المطلع على الغيب بكل تفاصيله.

وقد ذكر لها علامات قابلة للرصد من كل أحد.. ومنها: ركوبها شيطاناً يمر بها على مكان معروف للناس كلهم، وهو ماء الحوأب، ثم تنبحها كلابه، ثم تشهد لها قسامة شهادة زور على أنه ذلك الماء ليس ماء الحوأب الخ..

إن ما ذكره «صلى الله عليه وآله» لها من أمور سيشهدها الناس، لن تستطيع التستر عليها وإخفاءها. والأمر الأصعب والأهم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبرها بما هو أكثر مرارة وألماً لها، وهو أن هذا الأمر سيتحدث به الأولون والآخرون..

التهديد بالفراق بالآخرة:

وقد صرحت الرواية المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعل لعلي «عليه السلام» صلاحية أن يفرق بينه «صلى الله عليه وآله»، وبين نسائه في الآخرة، وأوصاه أن يفعل ذلك بالنسبة لعائشة حين تخرج عليه «عليه السلام».

وهذا يدل: على أن للزوجية في الدنيا آثاراً في الآخرة، وأن هذه الآثار قابلة للزوال. وهي قد تزول تلقائياً بسبب أعمال تكون في الدنيا، وقد يزيلها النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه بقرار منه، كما أنه يمكن أن يمكن أن يجعل لوصيه صلاحية إزالتها.

وقد يؤيد ذلك: ما دل على أن المرأة الصالحة إذا كانت تعاني في الدنيا من بعض المتاعب من زوجها، فإنها في الآخرة يكون لها الخيار في اختياره زوجاً لها في الجنة، وفي تركه(1).

ويشهد لذلك أيضاً:

أن زوجتي نوح ولوط ليس لهما في الآخرة حظ أو حق في أن يكنَّ في الجنة مع زوجيهما نوح ولوط «عليهما السلام»..

ومن الواضح: إعلان الفراق بين النبي «صلى الله عليه وآله»، وأي زوجة من زوجاته «صلى الله عليه وآله» في الآخرة يعتبر

---

(1) راجع: المعجم الكبير للطبراني ج24 ص16 ومجمع الزوائد ج4 ص308 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج16 ص338.

كارثة معنوية بالنسبة لها، لأنه يمثل سقوطاً من أوج العزة والكرامة إلى حضيض المذلة، والمهانة.. ولا ترضى بذلك أية امرأة لنفسها مهما كانت.. ولأجل ذلك انزعجت عائشة من هذا الأمر.

من هم أهل بيته ' ؟!:

ولكن في الرواية مشكلة تحتاج إلى حل، وهي أنها صرحت بأن الذين يكونون مع عائشة في حرب الجمل هم من أهل بيته وأصحابه «صلى الله عليه وآله»..

ولم نعرف أحداً من أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» كان معها في تلك الحرب.. فلعل في الرواية تحريفاً. وتكون كلمة «أهل بيتي» مقحمة فيها. أو أن فيها سقطاً. والأصل: ليس فيهم أحد من أهل بيتي، والأقرب في الجواب: هو أن يكون المقصود: معنى أوسع من المعنى الذي تقرر في حديث الكساء، بان يكون المراد بأصحابه وأهل بيته: كل من يدعي أنه من أتباع النبي أو من أصحابه «صلى الله عليه وآله».. ولو لأجل كونه من البيت القرشي.

فيريد بكلمة «أهل بيتي»: أنهم من بيته في العشيرة بالمعنى الأعم، على حد قول عمر يوم السقيفة للأنصار: نحن أولياؤه وعشيرته.

جعل لعلي × طلاق نسائه ' :

1 ـ ذكرت الروايات: أن أنساً قد صدَّ علياً «عليه السلام» عن

الدخول على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حديث الطائر المشوي..

وروى الطبري حديث الطائر المشوي, وفيه: أن عائشة ردَّت علياً «عليه السلام» وصدته عن الدخول على النبي «صلى الله عليه وآله» مرتين، ثم دخل في الثالثة، فلما سألها «صلى الله عليه وآله» عن سبب ذلك, فقالت: إنها اشتهت أن يكون أبوها هو الذي يأكل معه «صلى الله عليه وآله» من ذلك الطائر.

ثم أخبرها «صلى الله عليه وآله» بتفاصيل عما يكون منها في حق علي «عليه السلام».

إلى أن قال: «ولينذرنك ما يكون به الفراق بيني وبينك في الآخرة, وكل من فرق علي بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز»[1].

وقد ذكرت روايات أخرى: أن أنساً هو الذي صد علياً «عليه السلام» عن الدخول[2].

---

(1) الإحتجاج ج1 ص198 و (ط دار النعمان ـ النجف) ج1 ص292 ـ 294 وبحار الأنوار ج32 ص277 و 278 وج38 ص348 ـ 350 عنه، ومدينة المعاجز ج1 ص388 ـ 392 والصراط المستقيم ج1 ص195 و 196.

(2) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص46 ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص141 و 142 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص328.

ولا مانع من تعدد الحادثة.. أو أن تكون عائشة قد استبدلت بأنس رفقاً بها، وحفاظاً عليها، وإحساناً لها.

2 ـ قال ابن أعثم: قال: فلما كان من الغد بعث إليها ابنه الحسن [فجاء الحسن] فقال لها: يقول لك أمير المؤمنين: «أما والذي خلق الحبة, وبرأ النسمة، لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين».

قال: وعائشة في وقتها ذلك قد ضفرت قرنها الأيمن, وهي تريد أن تضفر الأيسر. فلما قال لها ما قال وثبت من ساعتها, وقالت: رحلوني.

فقالت لها امرأة من المهالبة: يا أم المؤمنين، جاءك عبد الله بن عباس, فسمعناك وأنت تجاوبيه حتى علا صوتك, ثم خرج من عندك وهو مغضب. ثم جاءك الآن هذا الغلام برسالة أبيه فأقلقك, وقد كان أبوه جاءك فلم نر منك هذا القلق والجزع.

فقالت عائشة: إنما أقلقني لأنه ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله», فمن أحب رسول الله «صلى الله عليه وآله», فلينظر إلى هذا الغلام.

وبعد, فقد بعث إلي أبوه بما قد علمت, ولا بد من الرحيل.

فقالت لها المرأة: سألتك بالله وبمحمد «صلى الله عليه وآله» إلا أخبرتني بماذا بعث إليك علي «رضي الله عنه»؟![1].

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص339 و 340 و (ط دار الأضواء) ج2 ص484.

[زاد ابن شهرآشوب قوله: قالت: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعل طلاق نسائه بيد علي, فمن طلقها في الدنيا بانت منه في الآخرة. وفي رواية](1).

فقالت عائشة: ويحك، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصاب من مغازيه نفلاً, فجعل يقسم ذلك في أصحابه، فسألناه أن يعطينا منه شيئاً، وألححنا عليه في ذلك، فلامنا علي «رضي الله عنه»، وقال: حسبكن، أضجرتن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فتجهمناه، وأغلظنا في القول.

فقال: **(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)**(2).

فأغلظنا له أيضاً في القول وتجهمناه.

فغضب النبي «صلى الله عليه وآله» من ذلك، وما استقبلنا به علياً، فأقبل عليه، ثم قال: يا علي، إني جعلت طلاقهن إليك، فمن طلقتها منهن، فهي بائنة.

ولم يوقت النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك وقتاً في حياة ولا موت. فهي تلك الكلمة. وأخاف أن أبين من رسول الله «صلى الله عليه

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج2 ص134 و (ط المكتبة الحيدرية ـ النجف) ج1 ص397 وبحار الأنوار ج38 ص74 و 75.

(2) الآية 5 من سورة التحريم.

وآله»(1).

3 ـ وعن الأصبغ بن نباتة، قال: بعث علي «عليه السلام» يوم الجمل إلى عائشة: ارجعي، وإلا تكلمت بكلام تبرين من الله ورسوله(2).

4 ـ وعن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف، عن حسان، عن أبي داود، عن يزيد بن شرحبيل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي بن أبي طالب «عليه السلام»: هذا أفضلكم حلماً، وأعلمكم علماً، وأقدمكم سلماً.

قال أبو مسعود: يا رسول الله، فضلنا بالخير كله؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: ما علمت شيئاً إلا وقد علمتَه، وما أعطيت شيئاً إلا وقد أُعطيتَه، ولا استودعت شيئاً إلا وقد استودعته.

قالوا: فأمر نسائك إليه؟!

قال: نعم.

قالوا: في حياتك؟!

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص339 و 340 و (ط دار الأضواء) ج2 ص484 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص134 وبحار الأنوار ج38 ص75.

(2) مناقب آل أبي طالب ج2 ص134 و (ط دار الأضواء) ج2 ص397 وبحار الأنوار ج32 ص275 وج38 ص74 والكافئة للمفيد ص31.

قال: نعم. من عصاه فقد عصاني، ومن أطاعه فقد أطاعني، فإن دعاكم، فاشهدوا[1].

5 ـ قال المعتزلي تعليقاً على ما ورد في بعض كتبه إلى معاوية: «فإن قلت: فما معنى قوله «عليه السلام»: «لولا بعض الإستبقاء»؟! وهل كانت الحال تقتضي أن يستبقي؟! وما تلك القوارع التي أشار إليها؟!

قلت: قد قيل: إن النبي «صلى الله عليه وآله» فوض إليه أمر نسائه بعد موته، وجعل إليه أن يقطع عصمة أيتهن شاء إذا رأى ذلك، وله من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك، فقد كان قادراً على أن يقطع عصمة أم حبيبة، ويبيح نكاحها الرجال، عقوبة لها، ولمعاوية أخيها، فإنها كانت تبغض علياً «عليه السلام» كما يبغضه أخوها. ولو فعل ذلك لانتهس لحمه.

وهذا قول الإمامية، وقد رووا عن رجالهم: أنه «عليه السلام» تهدد عائشة بضرب من ذلك، وأما نحن فلا نصدق هذا الخبر إلخ..»[2].

---

(1) بحار الأنوار ج38 ص88 وج36 ص144 وج31 ص593 وبصائر الدرجات ج2 ص61 و 62 و (ط سنة 1374هـ وسنة 1404هـ) ص314 وراجع: تفسير فرات الكوفي ص496.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج18 ص64 و 65 شرح الكتاب رقم 73 وبحار الأنوار ج38 ص85.

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «أقول: يظهر من كلامه: أن هذا من المشهورات بين الشيعة حتى وقف عليه مخالفوهم ونسبوهم إليه»(1).

وقال ابن شهرآشوب: «وأنه «عليه السلام» جعل طلاق نسائه إليه.

أبو الدرعل (الدرعلي)، وصالح مولى التومة عن عائشة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» جعل طلاق نسائه إلى علي»(2).

6 - في رواية سعد بن عبد الله الأشعري عن القائم «عليه السلام» قال: قلت له: يا مولانا وابن مولانا، روي لنا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعل طلاق نسائه إلى أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، حتى إنه بعث يوم الجمل رسولاً إلى عائشة وقال: «إنك أدخلتي الهلاك على الإسلام وأهله بالغش الذي حصل منك، وأوردتي أولادك في موضع الهلاك للجهالة، فإن امتنعت وإلا طلقتك».

فأخبرنا يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فوض حكمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

فقال «عليه السلام»: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي

---

(1) بحار الأنوار ج38 ص89.

(2) مناقب آل أبي طالب ج2 ص133 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص397 وبحار الأنوار ج38 ص74.

فخصهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله: يا أبا الحسن، إن هذا شرف باق ما دمن لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك، فطلقها [فأطلق لها في الأزواج]، وأسقطها من شرف أمهات [أمومة] المؤمنين(1).

7 - وعن محمد بن علي بن نصر، عن عمر بن سعد [الأسدي]: أن أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» دخل على عائشة لما أبت الخروج، فقال لها: يا شقيرا، ارتحلي وإلا تكلمت بما تعلمينه!!

فقالت: نعم ارتحل.

---

(1) بحار الأنوار ج38 ص87 و 88 وج52 ص82 و 83 وج13 ص65 وج64 ص178 وج44 ص223 وج23 ص68 وج32 ص267 و 268 عن الإحتجاج (ط بيروت) ج2 ص462 و (ط سنة 1413 هـ) ج2 ص527 و (ط دار النعمان ـ النجف) ج2 ص271 وعن غيره، وكمال الدين ج2 ص459 ودلائل الإمامة ص511 و 512 والخرايج والجرايح ج1 ص481 وراجع: مدينة المعاجز (ط حجرية) ص594 و (ط مؤسسة المعارف) ج8 ص55 وتأويل الآيات الظاهرة ج1 ص299 وراجع: الثاقب في المناقب ص585 و 534 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص572 والتفسير الصافي ج4 ص167 ونور الثقلين ج4 ص238 وج5 ص272 وتفسير الآلوسي ج21 ص152 ومنتخب الأنوار المضيئة للسيد بهاء الدين النجفي ص271.

فجهزها وأرسلها ومعها أربعين امرأة الخ..[1].

8 - روي عن الباقر «عليه السلام» أنه قال: لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل، قال علي «عليه السلام»: والله ما أراني إلا مطلقها، فأنشد الله رجلاً سمع من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي» لما قام فشهد.

فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريان، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «يا علي، أمر نسائي بيدك من بعدي».

قال: فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها.

فقال علي «عليه السلام»: لقد أنبأني رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنبأ وقال: يا علي، إن الله يمدك بخمسة آلاف من الملائكة مسومين[2].

وقفات مع الروايات:

ونقول:

قد استبعد بعضهم حصول هذا الأمر، ومستنده في ذلك ما يلي:

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص375 والكافئة للشيخ المفيد ص31 .

(2) بحار الأنوار ج32 ص201 و 202 عن الإحتجاج ج1 ص164 و (ط دار النعمان) ج1 ص240 والإيضاح لابن شاذان ص556.

1 - أن الرواية في ذلك غير معتبرة..

2 - «المطابق للفهم العرفي: أن جملة من الأمور الإعتبارية، كالزوجية، والرئاسة، والملكية، والوكالة ونحوها تبطل وتعدم بموت الشخص. فإذا مات الزوج بطلت الزوجية.

وعدم جواز نكاح الزوجة قبل العدة أمر تعبدي لا يثبت الزوجية. ولذا يجوز للزوج تزوج أخت زوجته بعد موتها بلا فصل، كما يجوز له العقد على الرابعة بعد موت إحدى زوجاته الأربع.

وعليه.. فلا معنى لطلاق الزوجة بعد موت الزوج»**(1)**.

ونجيب

أولاً: بالنسبة لضعف سند الرواية، نقول:

إننا لا ننكر ضعف أسانيد هذه الروايات، لكن ذلك لا يدل على كذب مضمونها، كما أشار إليه نفس هذا القائل في مواضع من كتابه.

ثانياً: قد يمكن تقوية أسانيد هذه الروايات، إذا أخذنا بنظر الإعتبار ما يلي:

ألف: إذا تعددت طرق الروايات واختلفت مضامينها، من حيث دلالتها على وقائع مختلفة، فإن ذلك يخرج مضمونها عن درجة الضعف المسقط للإعتبار بالكلية، فكيف إذا أمكن تقوية سند بعض النصوص الدالة على المعنى المشترك بينها، وهو: أن من الممكن

---

(1) مشرعة بحار الأنوار ج2 ص51 و 52.

للمعصوم تطليق زوجة المعصوم الذي قبله، كما في الرواية الآتية حول تطليق الإمام الرضا «عليه السلام» أم فروة بنت إسحاق من أبيه «عليه السلام»، بعد استشهاد أبيه بيوم.

ب: إذا صحت استفادة العلامة المجلسي «رحمه الله» من كلام المعتزلي: أن من مذهب الإمامية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» فوض أمر طلاق نسائه بعد وفاته إلى علي «عليه السلام»، فإن رد مضمون الرواية يصبح أكثر صعوبة، إذ لا يعقل أن يصبح هذا الأمر من مذهب الإمامية إن لم يكن قد توفر له مستند يصح الإعتماد عليه عندهم..

ج: إن نفس رواية غير الشيعة لهذا الأمر، من دون تعليق منهم عليه سلباً أو إيجاباً كما رأينا فيما تقدم عن الفتوح لابن أعثم ـ يقوي من درجة اعتبار الرواية، لا سيما وأن رواية ذلك ليس من مصلحتهم، ولا هو مما تهش له نفوسهم.

ثالثاً: قول هذا البعض المتقدم برقم [2]: إذا مات الزوج تبطل الزوجية وتعدم، غير دقيق ومسلَّم، فإن الزوجية إذا كانت إعتبارية، فالأمر في بقائها وزوالها يرجع إلى المعتبر نفسه، فإن أبقاها بقيت، وإن أزالها زالت..

وليكن نفس هذا التفويض من النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» دليلاً على هذا الإبقاء في مورد بالنسبة لخصوص النبي «صلى الله عليه وآله».

وليكن ما روي عن أبي الحسن الرضا «عليه السلام» دليلاً على هذا الإبقاء بالنسبة للأئمة «عليهم السلام» مع بعضهم البعض أيضاً، فقد قال الصفّار: «حدثنا عباد بن سليمان، عن سعد بن سعد، عن أحمد بن عمر، قال: سمعته يقول ـ يعني أبا الحسن الرضا «عليه السلام» ـ: إني طلقت أم فروة بنت إسحاق في رجب، بعد موت أبي بيوم.

قلت له: جعلت فداك، طلقتها وقد علمت بموت أبي الحسن «عليه السلام»؟!

قال: نعم»(1).

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«يمكن أن يكون هذا من خصائصهم «عليهم السلام» لإزالة الشرف الذي حصل لهن بسبب الزواج. كما طلق أمير المؤمنين «عليه السلام» عائشة يوم الجمل، أو أراد تطليقها لتخرج عن عداد أمهات المؤمنين.

ولعله «عليه السلام» إنما طلقها(2) لعلمه بأنها ستريد التزويج، ولا يمكنه «عليه السلام» منعها من ذلك تقية. فطلقها ليجوز لها ذلك.

ويَحْتَمِل وجهين آخرين:

---

(1) يعني: أم فروة زوجة أبيه.

(2) مناقب آل أبي طالب ج2 ص134 و (ط المكتبة الحيدرية ـ النجف) ج1 ص397 وبحار الأنوار ج38 ص74 و 75.

الأول: أن يكون التطليق بالمعنى اللغوي. أي جعلت أمرها إليها تذهب حيث شاءت.

الثاني: أن يكون «عليه السلام» علم صلاحها في تزويجها قريباً، فأخبرها بالموت لتعتد عدة الوفاة. وطلقها ظاهراً لعدم تشنيع العامة في ذلك»(1). انتهى كلام العلامة المجلسي. ولنا معه كلام آخر فيما يرتبط بصحة الإحتمالات التي ذكرها.. لا حاجة للتعرض إليها هنا.

ثالثاً: إن بطلان الوكالة والرئاسة إنما هو لخصوصية فيهما. لقيام هذين الموضعين بنفس الشخص من حيث استحالة صدور جميع آثار بقائهما فيه منه بصورة دائمة ومستمرة لأن الموت يمنع من ذلك. فلا معنى لوكالة ورئاسة لا أثر لها على الإطلاق..

أما الزوجية فليست كذلك، لأن الموت لا يزيل جميع آثارها، ولذلك صح من أمير المؤمنين «عليه السلام» تغسيل الزهراء «عليها السلام» بعد موتها. ولو كانت الزوجية تعدم بالموت بصورة تامة لم يصح منه ذلك «عليه السلام», ولم يكن هناك من مبرر للفتوى بجواز أن يغسل الرجل زوجته وبالعكس بعد الوفاة(2).

كما أن الموت يوجب ترتيب بعض الآثار، كالإرث، وجواز الزواج للمرأة بعد انقضاء عدة الوفاة.. بل لو أن الميت عاد إلى الحياة

(1) بحار الأنوار ج48 ص235.
(2) تقدمت المصادر لهذا النص.

بمعجزة كإحياء عيسى «عليه السلام» له، وكما جرى لأهل الكهف أو غيرهم، فلا شيء يدل على حرمة عودة زوجته إليه.

ولا شيء يدل على الحاجة إلى عقد جديد، لكن لو وقع طلاق من نبي أو وصي لزوجة ذلك الذي أحياه الله، فإنه يحرم عليه بعد إحيائه أن يواقع زوجته السابقة، أو أن يلامسها.. وهذا ينطبق حتى على النبي «صلى الله عليه وآله» بعد أن أوصى علياً «عليه السلام» بطلاق نسائه، إن اقتضت الأمور ذلك.

ولا نريد من الطلاق هنا أكثر من ذلك, فإن المطلوب به هو رفع حرمة التزويج عنها, وإزالة عنوان أمومتها للمؤمنين, فإن هذا العنوان إنما لحق بها نتيجة لاعتبار الشارع, وللمعتبر أن يزيل اعتباره بالصورة التي يراها مناسبة.

فالذي كان بيد علي «عليه السلام» هو رفع وإزالة هذا الإعتبار, فإذا لم تعد أماً للمؤمنين جاز لها أن تتزوج, ولم يحرم على الناس أن يخطبوها..

وليس المطلوب بالطلاق تحريم مباشرتها على الرسول «صلى الله عليه وآله», فإنه متعذر بسبب الموت.. ولو أنه «صلى الله عليه وآله» عاد إلى الحياة، فمن الذي قال بحرمة مباشرته لزوجاته. ولكنها لو طلقت منه بالإصالة أو بالوكالة لم يجز له ذلك. لأن تحريم المباشرة من الآثار الحقيقية للطلاق، وليست من الآثار الحتمية للموت.

وقد يقال: إن الطلاق أبلغ أثراً في إبطال آثار الزوجية، لأن الموت لا يلغي كل الآثار بالنسبة للمرأة إلا بعد انقضاء العدة وإنشاء علقة زوجية أخرى. إذ لو رجع زوجها بمعجزة، فليس له أن يبطل زواجها. والحاصل أن الطلاق يلغي العلقة الزوجية كلياً، وتحرم الزوجة على الزوج وتصبح كأي امرأة أجنبية.. فإنا إن لم نجزم بأن من آثاره تحريم مباشرتها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بغض النظر عن الموت، فإنا على الأقل نشك في جواز هذه المباشرة خصوصاً مع إحلال الأزواج لها.

وطبعاً مع غض النظر عن كون النبي «صلى الله عليه وآله» أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وقد اعترف نفس هذا المعترض ببعض ما ذكرناه, فبعد أن ذكر حديث أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأمير المؤمنين «عليه السلام»:

يا أبا الحسن, إن هذا الشرف (يعني شرفة الأمومة للمؤمنين) باق لهن, ما دمن لله على الطاعة, فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك, فأطلق لها في الأزواج, وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين**(1)**.

---

(1) راجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص528 - 534 و (الإسلامية) ج2 ص713 - 717 «باب جواز تغسيل الرجل زوجته والمرأة زوجها، واستحباب كونه من وراء الثوب»، وجامع أحاديث الشيعة ج3 ص196 -

قال المعترض: «أقول: هذا توجيه حسن, لا إشكال عليه, إن وجد الدليل عليه إثباتاً. بل إسقاط شرف أمومة المؤمنين صحيح, وإن لم يوجد عليه دليل. وأي شرف لأم تفسد على المؤمنين دينهم ودنياهم، وتخالف ربها وزوجها رسول الله»؟!(1).

الإمام الحسن × غلام!!:

وفي رواية ابن أعثم المتقدمة: أن المرأة التي سألت عائشة عن سر تصرفاتها, قالت لها عن الإمام الحسن «عليه السلام»: ثم جاءك

---

208 «باب حكم تغسيل الرجل المرأة وبالعكس»، والكافي ج3 ص157 - 159 «باب الرجل يغسل المرأة والمرأة تغسل الرجل»، والإستبصار ج1 ص197 - 200 «باب جواز غسل الرجل امرأته والمرأة زوجها» وتهذيب الأحكام ج1 ص438 - 440 ومن لا يحضره الفقيه ج1 ص155 ومنتقى الجمان ج1 ص252 - 257 «باب تغسيل الرجل المرأة وعكسه»، والسنن الكبرى للبيهقي ج3 ص396 «باب الرجل يغسل امرأته إذا ماتت»، وج4 ص34 والمصنف لابن أبي شيبة ج3 ص137 - 138 «في الرجل يغسل امرأته» وعون المعبود ج8 ص337 و 238 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج4 ص1897 ونصب الراية ج2 ص298 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص686 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص185 وأسد الغابة ج5 ص524.

(1) مشرعة بحار الأنوار ج2 ص101 و 102.

الآن هذا الغلام برسالة أبيه إلخ..(1).

مع أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان رجلاً تام الأوصاف, لا ينقصه شيء من مظاهر الرجولة, ولم يكن خادماً ولا أجيراً عند أحد, فلماذا عبرت عنه بالغلام؟!

ولماذا وافقتها عائشة على هذا التعبير، ولم تعترض عليه؟!

ويجاب:

إن كلمة غلام تستعمل في معنيين متضادين. فيراد بها: من كان في مقتبل عمره, حيث يصبح ممتلئاً حيوية أو مراهقاً للبلوغ.. ويراد بها أيضاً: الكهل.. فهو نظير كلمة جون التي تستعمل في الأبيض والأسود على حد سواء..

ويجاب أيضاً:

بأن عائشة لم تكن محبة للإمام الحسن ولا لأبيه «عليهما السلام». وقد منعت جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» من أن تدفن إلى جنب الرسول «صلى الله عليه وآله».. وجاءت على بغلة، وهي تنادي: «نحوا ولدكم عن بيتي، ولا تدخلوا بيتي من لا أحب»(2).

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص340 و (ط دار الأضواء) ج2 ص484.

(2) راجع: الإرشاد للمفيد ج2 ص18 والخرائج والجرائح ج1 ص242 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص149 وبحار الأنوار ج44 ص153 و 154 و 157 والأنوار البهية ص92 والدرجات الرفيعة

فلعلها عبرت بهذه العبارة بهدف التصغير من شأنه، ومن كتم شيئاً ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

تهديد عبر المراسلة:

وهنا سؤال يراود الذهن حول ما ورد في رواية ابن أعثم، من أنه «عليه السلام» حين جاء بنفسه إلى عائشة, لم يذكر لها أمر طلاقها, ولكنه بعد أن رجع أرسل يتهددها به مع ولده الإمام الحسن «عليه السلام».. فلماذا لم يذكره لها مباشرةً..

ويمكن أن يجاب:

بأن من الجائز أنه «عليه السلام» لم يكن يريد أن يفاجئها هو بهذا الأمر الصعب, خوفاً من أن يجرها العناد واللجاج إلى المكابرة والتحدي, فتعمد إلى تكذيبه في أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد فوضه ذلك. أو تعلن عدم مبالاتها بحصول هذا الأمر, حتى لو أدى إلى الحكم عليها بما يؤدي إلى كارثة مدوِّية، قد لا تنتهي إلا بفتنة أشر وأضر من الفتنة التي أثارتها في حربها، وكان «عليه الصلاة والسلام» بصدد معالجة آثارها وذيولها.. فآثر التدرج في الموقف حسب الحاجة، فاكتفى بأمرها بأن ترحل وتعود إلى بيتها الذي أمرت

ص125 وقاموس الرجال ج12 ص300 وأعيان الشيعة ج1 ص576 والجمل للمفيد ص234 وكشف الغمة ج2 ص209 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص204 وراجع: روضة الواعظين ص168.

أن تقر فيه، فلما تلكأت أرسل لها بتلك الرسالة مع ولده الإمام الحسن «عليه السلام».

سبط النبي ' أقلقها:

ولم نستطع أن نفهم المبرر لقلق عائشة من مجيء سبط الرسول إليها, كما ورد في رواية ابن أعثم, إلا إن كانت أرادت التعمية على تلك المرأة بإيهامها أنها تفرق بين ابن بنت النبي «صلى الله عليه وآله», وبين علي «عليه السلام», فإن تمردها على علي «عليه السلام» وعداوتها له لا يعني أنها تعامل سبط النبي بنفس الطريقة, حتى لو كان ذلك السبط ابن علي «عليه السلام» بالذات.

ثم حشرت كلام علي «عليه السلام» لها في ظل هذا الجو الذي أثارته حول طريقتها في التعامل مع الأب وابنه..

ولكن تلك المرأة كانت من النباهة بحيث لم تفتها محاولة عائشة للتملص والتخلص من المأزق, فلاحقتها بالسؤال والقسم حتى اضطرتها للبوح بما حاولت التكتم عليه.

وقد أظهر الله بغض عائشة للإمام الحسن «عليه السلام» حين منعت من دفنه عند جده، وصرحت بأنه ممن لا تحب.

لماذا الإلحاح؟!:

وذكرت رواية ابن أعثم إلحاح الزوجات على رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأن يعطيهن من ذلك المال الذي كان يقسمه.

وهو أمر غير مقبول منهن على الإطلاق. فكان لا بد من كفهن عنه:

أولاً: لأنه «صلى الله عليه وآله» إن كان يرى أن لهن حقاً في ذلك المال, فإنه لن يمنعهن ذلك الحق. فلماذا المطالبة، ولماذا الإلحاح؟!

وإن كان يرى: أن إعطاءهن غير جائز, فإن هذا الإلحاح لن يغير قراره بمنعهن, إلا إن كن يرين أنه «صلى الله عليه وآله» قد يخالف أحكام الشريعة, والعياذ بالله..

وإن كن يرين: أنه يجوز له أن يعطيهن من ذلك المال لكنه يرى أن لا مصلحة في ذلك, فإن إلحاحهن أيضاً لا يبدل المصلحة إلى ضدها.. بل قد يؤكد عدم المصلحة في إعطاء من لديه هذا المستوى من الحرص والطمع.

وإن كن يعتقدن: أن نفس الإلحاح يجعل من الإعطاء مصلحة بعد أن لم تكن, فقد ظهر من إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» على منعهن أن هذا توهم باطل..

ثانياً: إن الله تعالى قد نهى البشر كلهم, عن التقدم بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأي شيء فقال: **(لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ)**[1].

(1) الآية 1 من سورة الحجرات.

وهل هناك تقديم بين يدي الله ورسوله أعظم من هذا الإلحاح؟! فكيف إذا رافقه تعدٍ سافر على من يحسن إليهن, وينهاهن عن ارتكاب هذه المعصية الظاهرة.

لماذا أغلظن القول لعلي ×؟!:

وذكرت رواية ابن أعثم أيضاً: أن زوجات الرسول «صلى الله عليه وآله» بما فيهن عائشة.. قد أغلظن لعلي «عليه السلام» مرتين..

وقد تأملنا فيما قاله علي «عليه السلام» لهن في المرتين معاً, فلم نجد فيه إلا الإحسان إليهن, والسعي لإبعادهن عن معصية الله ورسوله. في المرة الأولى, حيث اكتفى بأمرهن بالكف عما يحاولنه.

ثم زاد في البيان والإيضاح حين لفت نظرهن إلى الآثار السلبية التي ترتبت على تصرفهن, حين ذكر لهن: أنهن قد أضجرن رسول الله «صلى الله عليه وآله», فدل ذلك على أنه «صلى الله عليه وآله» قد تضايق وتأذى منهن, ومن فعلهن, حتى ظهرت آثار ذلك عليه بنحو كان ينبغي لهن أن يلتفتن إليه. وأن يكون ذلك كافياً لارتداعهن عن فعلهن.

فعلي «عليه السلام» كان يعمل بواجبه الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث كان هو المكلف بالتصدي لهن، لأن ذلك أوقع وأبعد أثراً.. ولا سيما إذا تدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين يظهر العناد والإصرار.

ولكن جوابهن له كان من مفردات مبادلة الإحسان بالإساءة كما قلنا..

فلما ظهر له «عليه السلام» إصرارهن على هذا السلوك بادر إلى تحذيرهن من عواقب هذا الإصرار فذكرهن بأن النتيجة التي سيصلن إليها هي الطلاق والفراق.

ولم يذكر لهن ذلك اجتهاداً منه, لكي لا يتوهم متوهم أنه قد أخطأ فيه, بل ذكر لهم آية صريحة في ذلك, وهي قوله تعالى: **(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)**(1).

وقد جاء موقفه «صلى الله عليه وآله» قوياً ومدوياً, يؤكد فيه لهن صحة قول علي «عليه السلام», حيث فوض إليه أمر طلاقهن في كل حين..

وقد دلنا هذا الموقف النبوي على أنه قد كان الأجدر بهن أن يشكرن علياً «عليه السلام» على نصيحته, وعلى إرشاده لهن إلى ما هو الأصلح لهن, لا أن يتجهمنه, ويغلظن له بالقول..

صحة فهم عائشة لكلام النبي ’:

وقد لفت نظرنا هنا: أن عائشة ـ حسب رواية ابن أعثم ـ قد فهمت: أن الطلاق كما يصح قبل الموت, فإنه يصح بعده. وحيث إنه

---

(1) الآية 5 من سورة التحريم.

«صلى الله عليه وآله» لم يوقت وقتاً، فلا بد من الأخذ بإطلاق الكلام، واعتباره شاملاً لجميع الأحوال، والأزمنة، فما دام يمكن تحقق الزوجية ولو في بعض مراتبها أو آثارها، فإن إلغاءها بالطلاق أو الإطلاق يصبح ممكناً، وقد أوضحنا ذلك في كلامنا المتقدم..

مع أننا لا نستبعد احتمال أن تكون عائشة قد سمعت هذا التعميم من نفس الرسول، حيث ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام» آنئذٍ: «أيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك، فأطلق لها في الأزواج»..

ولكنها أرادت التمويه على تلك المرأة والتخفيف من وقع هذا الأمر قدر الإمكان.

تبرين من الله ورسوله:

وقد ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أنه «عليه السلام» هدد عائشة إن لم ترجع إلى المدينة أن يتكلم بكلام تبرأ به من الله ورسوله..

والسؤال هنا هو:

إن الطلاق إنما يوجب براءة المطلقة من زوجها من جهة زوجيتها له، فما معنى أن تبرأ من الله أيضاً؟!

والجواب:

أن المقصود: هو أن من تستحق إزالة صفة الأمومة للمؤمنين،

وتعاقب بالطرد من شرف الزوجية وتصل الأمور بها إلى حد بينونتها من الرسول قهراً وقسراً، فإنها تكون قد بانت من الله سبحانه أيضاً، وقطعت صلتها به.. إذ لا يعقل أن تعاقب بقطع الصلة بالرسول ثم تبقى صلتها بالله سبحانه.. وهو ما أشارت إليه آية التخيير أيضاً، حيث قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا)**(1).

لا عقوبة لغير المذنب:

وأما ما ذكره المعتزلي، من أن طلاق أم حبيبة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» عقوبة لمعاوية، فهو مرفوض، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى.

إلا إن كان المراد: أن أم حبيبة تستحق هذه العقوبة، لممالأتها لأخيها، ومعونتها له، ببغضها لعلي «عليه السلام». فإن عوقبت بها، فإن أثر ذلك سيلحق معاوية أيضاً لأنها أخته.

لا نصدق هذا الخبر:

ذكر المعتزلي: أن الإمامية يقولون: بأن النبي «صلى الله عليه

(1) الآيتان 28 و 29 من سورة الأحزاب.

وآله» فوض لعلي «عليه السلام» طلاق نسائه في حياته، وبعد استشهاده..

ثم قال: «أما نحن فلا نصدق هذا الخبر..».

ونقول للمعتزلي:

أولاً: إن رواية هذا الخبر لا تختص بالإمامية، فإن ابن أعثم، وغيره يروونه أيضاً..

ثانياً: لم يذكر لنا ابن أبي الحديد السبب في عدم تصديقه لهذا الخبر. فإن كان هو ضعف سنده فما أكثر الروايات الضعيفة سنداً، ويصدقها المعتزلي، وجماعته..

وإن كان السبب هو الشك في مضمونه، فلا بد من معرفة موجبات هذا الشك لننظر إن كان يمكننا إزالتها أم لا..

وليس لأحد الحق في أن يرفض أو أن يقبل هذا الخبر أو ذاك تشهياً واقتراحاً، بل لا بد له من تبرير علمي صحيح لكل من الرد والقبول على حد سواء..

الفصل الثالث:

طلاق عائشة في رواية الأشعري..

رواية الأشعري:

في رواية ذكرها الصدوق «رحمه الله» في كمال الدين عن محمد بن علي بن حاتم النوفلي المعروف بالكرماني عن أحمد بن عيسى الوشاء، عن أحمد بن طاهر القمي، عن محمد بن بحر بن سهل الشيباني عن أحمد بن مسرور، عن سعد بن عبد الله الأشعري جاء فيها:

كنت امرءاً لهجاً بجمع الكتب المشتملة على غوامض العلوم ودقائقها..

إلى أن قال: فوردنا سر من رأى، فانتهينا منها إلى باب سيدنا، فاستأذنا.

فخرج علينا الإذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطاه بكساء طبري، فيه مائة وستون صرة من الدنانير والدراهم، على كل صرة منها ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبهت وجه مولانا أبي محمد «عليه السلام» حين

غشينا نور وجهه إلا ببدر قد استوفى من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر، على رأسه فرق بين وفرتين كأنه ألف بين واوين.

وبين يدي مولانا رمانة ذهبية، تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة.

وبيده قلم إذا أراد أن يسطر به على البياض شيئاً قبض الغلام على أصابعه، فكان مولانا يدحرج الرمانة بين يديه ويشغله بردها كيلا يصده عن كتابة ما أراد.

فسلمنا عليه، فألطف في الجواب، وأومأ إلينا بالجلوس.

فلما فرغ من كتبة البياض الذي كان بيده، أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طي كسائه، فوضعه بين يديه.

فنظر الهادي «عليه السلام» إلى الغلام، وقال له: يا بني، فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك.

فقال: يا مولاي، أيجوز أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة، وأموال رجسة، قد شيب أَحَلُّها بِأَحْرَمِهَا؟!

فقال مولاي: يا ابن إسحاق، استخرج ما في الجراب ليميز ما بين الحلال والحرام منها.

فأول صرة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: «هذه لفلان بن فلان،

من محلة كذا بقم، يشتمل على اثنين وستين ديناراً، فيها من ثمن حجيرة باعها صاحبها، وكانت إرثاً له عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أجرة الحوانيت ثلاثة دنانير».

فقال مولانا: صدقت يا بني، دل الرجل على الحرام منها.

فقال «عليه السلام»: «فتش عن دينار رازي السكة، تاريخه سنة كذا، قد انطمس من نصف إحدى صفحتيه نقشه، وقراضة آملية وزنها ربع دينار، والعلة في تحريمها: أن صاحب هذه الصرة وزن في شهر كذا من سنة كذا على حائك من جيرانه من الغزل مناً وربع منٍّ، فأتت على ذلك مدة، وفي انتهائها قيض لذلك الغزل سارق، فأخبر به الحائك صاحبه، فكذبه واسترد منه بدل ذلك مناً ونصف مِّنٍ، غزلاً أدق مما كان دفعه إليه، واتخذ من ذلك ثوباً، كان هذا الدينار مع القراضة ثمنه».

فلما فتح رأس الصرة صادف رقعة في وسط الدنانير باسم من أخبر عنه وبمقدارها على حسب ما قال، واستخرج الدينار والقراضة بتلك العلامة. ثم أخرج صرة أخرى فقال الغلام: «هذه لفلان بن فلان، من محلة كذا بقم، تشتمل على خمسين ديناراً لا يحل لنا لمسها».

قال: وكيف ذاك؟!

قال: «لأنها من ثمن حنطة حاف صاحبها على أكاره في

المقاسمة، وذلك أنه قبض حصته منها بكيل واف، وكان ما حص الأكار بكيل بخس».

فقال مولانا: صدقت يا بني.

ثم قال: يا أحمد بن إسحاق، احملها بأجمعها لتردها أو توصي بردها على أربابها فلا حاجة لنا في شيء منها، وائتنا بثوب العجوز.

قال أحمد: وكان ذلك الثوب في حقيبة لي فنسيته.

فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إليَّ مولانا أبو محمد «عليه السلام»، فقال: ما جاء بك يا سعد؟!

فقلت: شوقني أحمد بن إسحاق على لقاء مولانا.

قال: والمسائل التي أردت أن تسأله عنها؟!

قلت: على حالها يا مولاي.

قال: فسل قرة عيني ـ وأومأ إلى الغلام ـ فقال لي الغلام: سل عما بدا لك منها!

فقلت له: مولانا وابن مولانا، إنَّا روينا عنكم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشة: إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فإن كففت عني غربك وإلا طلقتك، ونساء رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد كان طلاقهن وفاته..

قال: ما الطلاق؟!

قلت: تخلية السبيل.

قال: فإذا كان طلاقهن وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خليت لهن السبيل، فلم لا يحل لهن الأزواج؟!

قلت: لأن الله تبارك وتعالى حرم الأزواج عليهن.

قال: كيف وقد خلى الموت سبيلهن؟!

قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن معنى الطلاق الذي فوض رسول الله «صلى الله عليه وآله» حكمه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام».

قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، فخصهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله: يا أبا الحسن، إن هذا الشرف باق لهن ما دمن لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج، وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين.

قلت: فأخبرني عن الفاحشة المبينة التي إذا أتت المرأة بها في عدتها حل للزوج أن يخرجها من بيته؟!

قال: الفاحشة المبينة هي السحق دون الزنا، فإن المرأة إذا زنت وأقيم عليها الحد ليس لمن أرادها أن يمتنع بعد ذلك من التزوج بها لأجل الحد، وإذا سحقت وجب عليها الرجم، والرجم خزي، ومن قد

أمر الله برجمه فقد أخزاه، ومن أخزاه فقد أبعده، ومن أبعده فليس لأحد أن يقربه.

قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن أمر الله لنبيه موسى «عليه السلام» **(فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)**[1]، فإن فقهاء الفريقين يزعمون: أنها كانت من إهاب الميتة؟!

فقال «عليه السلام»: من قال ذلك فقد افترى على موسى، واستجهله في نبوته، لأنه ما خلا الأمر فيها من خطيئتين.. إما أن تكون صلاة موسى فيهما جائزة أو غير جائزة، فإن كانت صلاته جائزة جاز له لبسهما في تلك البقعة، وإن كانت مقدسة مطهرة فليست بأقدس وأطهر من الصلاة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيهما فقد أوجب على موسى أنه لم يعرف الحلال من الحرام، وما علم ما تجوز فيه الصلاة وما لم تجز، وهذا كفر.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما؟!

قال: إن موسى ناجى ربه بالواد المقدس، فقال: يا رب إني قد أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عمن سواك ـ وكان شديد الحب لأهله ـ فقال الله تعالى: **(اخْلَعْ نَعْلَيْكَ)**، أي أنزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً.

---

(1) الآية 12 من سورة طه.

قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل (**كهيعص**)؟!

قال: هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عليها عبده زكريا، ثم قصها على محمد «صلى الله عليه وآله»، وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل، فعلمه إياها.

فكان زكريا إذا ذكر محمداً، وعلياً، وفاطمة، والحسن والحسين سري عنه همه، وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: يا إلهي، ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟!

فأنبأه الله تعالى عن قصته، وقال: (**كهيعص**)، فـ «الكاف» اسم كربلاء. و «الهاء» هلاك العترة. و «الياء» يزيد، وهو ظالم الحسين «عليه السلام». و «العين» عطشه. و «الصاد» صبره.

فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته «إلهي، أتفجع خير خلقك بولده؟! إلهي، أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه؟! إلهي، أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟! إلهي، أتحل كربة هذه الفجيعة بساحتهما»؟!

ثم كان يقول: «اللهم ارزقني ولداً تقر به عيني على الكبر، واجعله وارثاً وصياً، واجعل محله مني محل الحسين، فإذا رزقتنيه فافتني بحبه، ثم افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده».

فرزقه الله يحيى وفجعه به.

وكان حمل يحيى ستة أشهر، وحمل الحسين «عليه السلام» كذلك، وله قصة طويلة.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم؟!

قال: مصلح أو مفسد؟!

قلت: مصلح.

قال: فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟!

قلت: بلى.

قال: فهي العلة، وأوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك.

أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى، وأنزل عليهم الكتاب، وأيدهم بالوحي والعصمة إذ هم أعلام الأمم، وأهدى إلى الاختيار منهم مثل موسى وعيسى «عليهما السلام»، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا همَّا بالاختيار أن يقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن؟!

قلت: لا.

فقال: هذا موسى كليم الله مع وفور عقله، وكمال علمه، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين

رجلاً، ممن لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله تعالى: (**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا**)(1) إلى قوله: (**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**)(2). فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن لا اختيار إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور، وما تكن الضمائر، وتتصرف عليه السرائر، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح.

ثم قال مولانا: يا سعد، وحين ادعى خصمك: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أخرج مع نفسه مختار هذه الأمة إلى الغار إلا علما منه أن الخلافة له من بعده، وأنه هو المقلد أمور التأويل، والملقى إليه أزمة الأمة، وعليه المعول في لم الشعث، وسد الخلل، وإقامة الحدود، وتسريب الجيوش لفتح بلاد الكفر.

فكما أشفق على نبوته أشفق على خلافته، إذ لم يكن من حكم الاستتار والتواري أن يروم الهارب من الشر مساعدة من غيره إلى مكان يستخفي فيه.

---

(1) الآية 155 من سورة الأعراف.

(2) الآية 55 من سورة البقرة.

وإنما أبات علياً «عليه السلام» على فراشه لما لم يكن يكترث له ولم يحفل به لاستثقاله إياه، وعلمه أنه إن قتل لم يتعذر عليه نصب غيره مكانه للخطوب التي كان يصلح لها.

فهلا نقضت عليه دعواه بقولك: أليس قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»، فجعل هذه موقوفة على أعمار الأربعة الذين هم الخلفاء الراشدون في مذهبكم، فكان لا يجد بداً من قوله لك: بلى.

قلت: فكيف تقول حينئذ: أليس كما علم رسول الله أن الخلافة من بعده لأبي بكر علم أنها من بعد أبي بكر لعمر، ومن بعد عمر لعثمان، ومن بعد عثمان لعلي، فكان أيضاً لا يجد بداً من قوله لك: نعم.

ثم كنت تقول له: فكان الواجب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يخرجهم جميعاً (على الترتيب) إلى الغار، ويشفق عليهم كما أشفق على أبي بكر، ولا يستخف بقدر هؤلاء الثلاثة بتركه إياهم وتخصيصه أبا بكر وإخراجه مع نفسه دونهم.

ولما قال: أخبرني عن الصديق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً؟!

لِم لَم تقل له: بل أسلما طمعاً، وذلك بأنهما كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عما كانوا يجدون في التوراة وفى سائر الكتب المتقدمة الناطقة بالملاحم من حال إلى حال من قصة محمد «صلى الله عليه وآله» ومن عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر: أن محمداً يسلط على العرب كما كان بختنصر سلط على بني إسرائيل، ولا بد له من الظفر

بالعرب كما ظفر بختنصر ببني إسرائيل، غير أنه كاذب في دعواه أنه نبي. فأتيا محمداً فساعداه على شهادة ألا إله إلا الله، وبايعاه طمعاً في أن ينال كل واحد منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت أموره، واستتبت أحواله.

إلى أن قال: كما أتى طلحة والزبير علياً «عليه السلام»، فبايعاه، وطمع كل واحد منهما أن ينال من جهته ولاية بلد، فلما أيسا نكثا بيعته وخرجا عليه، فصرع الله كل واحد منهما مصرع أشباههما من الناكثين.

قال سعد: ثم قام مولانا الحسن بن علي الهادي «عليه السلام» للصلاة مع الغلام، فانصرفت عنهما، وطلبت أثر أحمد بن إسحاق، فاستقبلني باكياً، فقلت: ما أبطأك وأبكاك؟!

قال: قد فقدت الثوب الذي سألني مولاي إحضاره.

قلت: لا عليك، فأخبره، فدخل عليه مسرعاً، وانصرف من عنده متبسماً وهو يصلي على محمد وآل محمد.

فقلت: ما الخبر؟!

قال: وجدت الثوب مبسوطاً تحت قدمي مولانا يصلي عليه.

قال سعد: فحمدنا الله تعالى على ذلك وجعلنا نختلف بعد ذلك اليوم إلى منزل مولانا أياماً، فلا نرى الغلام بين يديه، فلما كان يوم الوداع دخلت أنا وأحمد بن إسحاق وكهلان من أهل بلدنا، وانتصب أحمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال: يا ابن رسول الله، قد دنت الرحلة واشتد

المحنة [لعل الصحيح: واشتدت المحنة]، فنحن نسأل الله تعالى أن يصلي على المصطفى جدك، وعلى المرتضى أبيك، وعلى سيدة النساء أمك، وعلى سيدي شباب أهل الجنة عمك وأبيك، وعلى الأئمة الطاهرين من بعدهما آبائك، وأن يصلي عليك وعلى ولدك، ونرغب إلى الله أن يعلي كعبك ويكبت عدوك، ولا جعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك.

قال: فلما قال هذه الكلمات استعبر مولانا حتى استهلت دموعه وتقاطرت عبراته ثم قال: يا ابن إسحاق، لا تكلف في دعائك شططاً، فإنك ملاق الله تعالى في صدرك هذا.

فخر أحمد مغشياً عليه، فلما أفاق قال: سألتك بالله وبحرمة جدك إلا شرفتني بخرقة أجعلها كفناً، فأدخل مولانا يده تحت البساط، فأخرج ثلاثة عشر درهماً، فقال: خذها، ولا تنفق على نفسك غيرها، فإنك لن تعدم ما سألت، وإن الله تبارك وتعالى لن يضيع أجر من أحسن عملاً.

قال سعد: فلما انصرفنا بعد منصرفنا من حضرة مولانا من حلوان على ثلاثة فراسخ. حمّ أحمد بن إسحاق، وثارت به علة صعبة أيس من حياته فيها.

فلما وردنا حلوان ونزلنا في بعض الخانات دعا أحمد بن إسحاق برجل من أهل بلده كان قاطناً بها، ثم قال: تفرقوا عني هذه الليلة، واتركوني وحدي.

فانصرفنا عنه، ورجع كل واحد منا إلى مرقده.

قال سعد: فلما حان أن ينكشف الليل عن الصبح أصابتني فكرة، ففتحت عيني، فإذا أنا بكافور الخادم (خادم مولانا أبي محمد «عليه السلام») وهو يقول: أحسن الله بالخير عزاكم، وجبر بالمحبوب رزيتكم، قد فرغنا من غسل صاحبكم ومن تكفينه، فقوموا لدفنه، فإنه من أكرمكم محلاً عند سيدكم.

ثم غاب عن أعيننا، فاجتمعنا على رأسه بالبكاء والعويل حتى قضينا حقه، وفرغنا من أمره «رحمه الله»(1).

ورواه الطبري في دلائل الإمامة عن أبي القاسم عبد الباقي بن

---

(1) كمال الدين وتمام النعمة (ط جماعة المدرسين) ص454 - 465 ومدينة المعاجز ج7 ص587 - 589 ودلائل الامامة ص274 - 281 باب من شاهده في حياة أبيه وبحار الأنوار ج52 ص78 - 88 وراجع ج32 ص267 و 268 ومنتخب الأنوار المضيئة للسيد بهاء الدين النجفي ص263 - 280 وراجع: الخرائج والجرائح ج1 ص481 - 484 مختصراً وتبصرة الولي ص93 - 108 وراجع: الاحتجاج للطبرسي ج2 ص269 - 277 والثاقب في المناقب ص585 - 589 ومختصر البصائر ص25 و 26 وحلية الأبرار ج2 ص557 - 568 وإثبات الهداة ج1 ص380 وج7 ص347 مختصراً وإلزام الناصب ج1 ص342 - 351 ومكيال الكارم ج1 ص16 - 24 وتأويل الآيات الظاهرة ص292 - 294 وراجع ينابيع المودة ص459.

يزداد بن عبد الله البزاز، عن أبي محمد عبد الله بن محمد الثعالبي قراءة في يوم الجمعة، مستهل رجب سنة سبعين وثلاث مئة، عن أبي علي أحمد بن محمد بن يحيى العطار، عن سعد بن عبد الله إلخ..[1].

ونقول:

قد ذكرنا هذا النص بطوله، لأجل تمكين القارئ الكريم من متابعة النقاش الذي سنورده حول عدد من النقاط التي وردت فيه.. حيث إن لنا مع هذه الرواية وقفات عديدة هي التالية:

سند الرواية عن الإمام الحجة ×:

ولقد حاول البعض النقاش في سند هذه الرواية المروية باعتبار أن الصدوق يرويها عن سعد بن عبد الله الأشعري بأربع وسائط، مع أنه إنما يروي عن سعد بواسطة واحدة. هي إما أبوه «رضوان الله تعالى عليهما» أو محمد بن الحسن بن الوليد، أو أحمد بن محمد بن يحيى «رحمهما الله تعالى»[2].

ويمكن أن يجاب عن ذلك:

أولاً: ان محمد بن علي بن محمد بن حاتم النوفلي المعروف بالكرماني من مشايخ الصدوق، روى عنه في كتابه كمال الدين،

---

(1) دلائل الإمامة ص274 - 281.

(2) راجع: الأخبار الدخيلة ج1 ص104.

وكناه بأبي بكر، وترضى عنه، فراجع[1]، كما أنه قد أسند عن أحمد بن عيسى الوشاء البغدادي وشيخه أحمد بن طاهر في نفس كتابه هذا[2].

هذا وقد ذكر الصدوق أنه قد ألف كتابه هذا بهدف رفع الحيرة والشبهة في أمر الإمام الحجة[3]، فهل يرفعها بروايات لا يطمئن هو إلى مشايخها والرواة الذين أخذها منهم.

ثانياً: إن محمد بن بحر الشيباني وان اتهمه الكشي بالغلو[4]، لكن ذلك إنما يمنع من قبول روايته فيما يؤيد مذهبه، ولا يمنع من وثاقته في النقل، وأخذ ما عدا ذلك منه.

ويظهر من كلام الرجاليين ما يوجب الطعن في وثاقته.

على أن هناك كلاماً في موضوع الغلو ليس هنا محله..

ثالثاً: إن من الجائز أن تكون الواسطة واحدة أو اثنتين، بأن كان اثنان قد حدثا الصدوق عن واسطة لهما عن سعد، وحدثه ثالث من هؤلاء الأربعة عن سعد أيضاً، فمثلاً يكون الكرماني قد نقل عن

---

(1) راجع: كمال الدين ج2 ص417 و437.

(2) راجع: كمال الدين ج2 ص417.

(3) راجع: مقدمة كتاب كمال الدين.

(4) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص147 و (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج2 ص739.

الوشاء، عن سعد.. وأحمد بن طاهر نقل عن الشيباني عن سعد. وأحمد بن مسرور عن سعد.. وقد يكون الكرماني قد نقل عن كل واحد من الأربعة، عن سعد.. حيث تكون الواو قد سقطت في بعض المواضع.

ويمكن تصور صور عديدة أخرى.. ويمكن أن تتعدد الوسائط عن شخص واحد، ويكون الجميع في عصر واحد..

ويكون الاشتباه في كتابة السند أو اسقاط حرف الواو منه إما من الصدوق نفسه، أو من النساخ بعد ذلك..

رابعاً: مع غض النظر عن ذلك، فإن نفس هذا الحديث مروي في دلائل الإمامة بثلاث وسائط عن سعد. وهم أشخاص آخرون غير الذين ذكرهم الصدوق «رحمه الله تعالى»(1).

خامساً: إن المضمون الذي توخيناه في هذا الحديث: وهو أنه «صلى الله عليه وآله» جعل طلاق نسائه إلى علي «عليه السلام» لا ينحصر بهذه الرواية، فلماذا لا يلاحظ مجموع الروايات التي رواها الإمامية وغيرهم، ليكون بعضها مؤيداً للبعض الآخر.

سادساً: وفي جميع الأحوال نقول: لا يحب المؤيدون لعائشة

---

(1) راجع: كمال الدين وتمام النعمة ص454 ـ 465 والإحتجاج للطبرسي ج2 ص268 ـ 277 وبحار الأنوار ج52 ص78 ـ 88 ومنتخب الأنوار المضيئة ص263 ـ 280.

إيراد هذه الروايات عادةً، إلا إذا وجدوا أن تجاهلها يثير الشبهة في دقتهم، أو في أمانتهم العلمية..

سابعاً: إن نفس كون هذه المسألة هي قول الإمامية، كما فهمه العلامة المجلسي «رحمه الله» من كلام المعتزلي يسهِّل الأمر فيما يرتبط بقبول المضمون الذي اتفقت عليه الروايات..

لو كان الخبر صحيحاً:

1 - وقال الشيخ التستري «رحمه الله» أيضاً ما ملخصه: لو كان الصدوق يرى صحة هذا الحديث لروى في كتابه من لا يحضره الفقيه، الأحكام الفقهية التي تضمنها، ولروى في كتابه معاني الأخبار ما تضمنه من معاني بعض الحروف(1).

ونجيب:

أولاً: لعل الصدوق ألف كتاب كمال الدين بعد ذينك الكتابين.

ثانياً: لم يدع الصدوق أنه أودع الفقيه جميع ما يتعلق بالفقه، وأودع في معاني الأخبار جميع ما تضمنته الأخبار.

ثالثاً: لعله نسي أن هذا الحديث حين ألَّف كتابيه المشار إليهما.

---

(1) راجع: كمال الدين وتمام النعمة ص454 - 465 والإحتجاج للطبرسي ج2 ص268 - 277 وبحار الأنوار ج52 ص78 - 88 ومنتخب الأنوار المضيئة ص263 - 280.

2 ـ قال التستري أيضاً: لو كان الخبر صحيحاً فلِمَ لم يروه الشيخ في كتاب الغيبة[1]..

ونجيب:

لو صح ذلك لوجب الحكم بضعف كل ما لم يروه الشيخ في كتاب الغيبة سواء أكان في كتب الصدوق، أو في سائر الكتب، وهذا ما لا يقبله أحد..

3 ـ قال التستري أيضاً: لو كان سعد قد روى هذا الحديث لم يصح من الشيخ أن يقول في رجاله عن سعد: إنه عاصر الإمام العسكري، ولم أعلم أنه روى عنه، فإن هذه الرواية إنما رواها سعد عن الامام العسكري[2]..

ونجيب:

بأنه لا شيء يدل على أن الشيخ قد ألف كتابه في الرجال بعد وقوفه على كتاب كمال الدين، واطلاعه على جميع رواياته

الإمام لا يلهو ولا يلعب:

وقد اشتمل خبر سعد بن عبد الله على أن الإمام العسكري «عليه السلام» كان يكتب والإمام الحجة «عليه السلام» كان يمنعه من

(1) الأخبار الدخيلة ج1 ص98.

(2) الأخبار الدخيلة ج1 ص98.

الكتابة، فيلهيه برمانة من ذهب.

مع أن الأخبار الصحيحة تقول: إن الإمام لا يلهو ولا يلعب(1).

وعلى حد تعبير السيد الخوئي «قدس سره»: «يقبح صدور ذلك من الصبي، فكيف ممن هو عالم بالغيب، وبجواب المسائل الصعبة»؟!(2).

وأجاب عنه بعضهم بقوله: «فيه نظر، أو منع، فإنه إغماض عن طبيعة الإمام البشرية»(3).

---

(1) قاموس الرجال (ط جماعة المدرسين) ج5 ص61 والكافي ج1 ص284 و285 و 311 والإرشاد للشيخ المفيد ج2 ص219 والخرائج والجرائح ج2 ص896 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص432 والصراط المستقيم ج2 ص164 وبحار الأنوار ج25 ص166 وج50 ص58 وج48 ص19 و 107 وإكليل المنهج للكرباسي ص274 وإعلام الورى ج2 ص12 والدر النظيم ص653 وكشف الغمة ج3 ص12. ورجال النجاشي ص418 وخلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص409 ورجال ابن داود ص279 وقاموس الرجال ج10 ص167 و 168 وإثبات الوصية ص86 وخاتمة المستدرك للنوري ج5 ص322 ونقد الرجال للتفرشي ج4 ص398 وجامع الرواة للأردبيلي ج2 ص251 والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج3 ص339 وطرائف المقال للبروجردي ج1 ص262 ومستدركات علم رجال الحديث ج7 ص462.

(2) معجم رجال الحديث ج9 ص82 ومشرعة بحار الأنوار ج2 ص220 عنه.

(3) مشرعة بحار الأنوار ج2 ص221.

ونقول:

أولاً: إن الرواية التي أشير إليها آنفاً، ووصفت بـ «الصحيحة» قد رواها الكليني «رحمه الله» عن صفوان الجمال، قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن صاحب هذا الأمر، فقال: إن صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب..

وأقبل أبو الحسن موسى «عليه السلام»، وهو صغير، ومعه عناق مكية، وهو يقول لها: اسجدي لربك.

فأخذه أبو عبد الله «عليه السلام»، وضمه إليه، وقال: بأبي وأمي من لا يلهو ولا يلعب(1).

ولكن وصف هذه الرواية بالصحة من حيث السند غير دقيق، ففي سندها معلى البصري، وهو ـ حسب قول النجاشي والعلامة ـ مضطرب الحديث، والمذهب(2).

---

(1) الكافي ج1 ص311 والإرشاد للشيخ المفيد ج2 ص219 والخرائج والجرائح ج2 ص896 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص432 والصراط المستقيم ج2 ص164 وبحار الأنوار ج48 ص19 و 107 وإكليل المنهج للكرباسي ص274 وإعلام الورى ج2 ص12 والدر النظيم ص653 وكشف الغمة ج3 ص12.

(2) رجال النجاشي ص418 وخلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص409 ورجال ابن داود ص279 وقاموس الرجال ج10 ص167 و 168 وخاتمة المستدرك للنوري ج5 ص322 ونقد الرجال للتفرشي ج4 ص398

وقال ابن الغضائري: نعرف حديثه وننكره، يروي عن الضعفاء، ويجوز أن يخرج حديثه شاهداً[1].

غير أن علينا أن نلفت نظر القارئ الكريم: إلى أن ضعف السند لا يعني عدم صحة المضمون، أو عدم ثبوته، ولو من طريق آخر.

يضاف إلى ذلك: أن صحيحة معاوية بن وهب تقول: إنه سأل الإمام الصادق «عليه السلام» عن علامة الإمامة، فقال: طهارة الولادة، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب[2]..

ثانياً: إن إشغال الإمام ولده برمانة ذهبية لا يعني أن ذلك الولد كان يلهو بها ويلعب بنحو يسيء إلى اتزانه، وعقله وحكمته، وإمامته، وعصمته وكماله، فإن القصد من هذا التحريك ربما يكون استحضار أمور ترتبط بحكمة الله سبحانه، والتفكر في أسرار خلقه، وبديع صنعه.. وان كان الناس يرون تحريكه لها من اللهو اللعب..

وجامع الرواة للأردبيلي ج2 ص251 والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج3 ص339 وطرائف المقال للبروجردي ج1 ص262 ومستدركات علم رجال الحديث ج7 ص462.

(1) قاموس الرجال ج10 ص168 وخاتمة المستدرك للنوري ج5 ص324 والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج3 ص339 وطرائف المقال للبروجردي ج1 ص262.

(2) الكافي ج1 ص284 و385 وبحار الأنوار ج25 ص166 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج6 ص312 وميزان الحكمة ج1 ص121.

يضاف إلى ذلك أنه قد يكون الظهور بهذا المظهر لأجل حكمة يريدها الله تعالى، وهو أن لا يغلو بعض الناس بالإمام.. أو يكون التشاغل باللهو واللعب على نحو التقية وصرف أنظار الظالمين عن الإمام «عليه السلام».

ولعل ما تضمنته الرواية المذكورة آنفاً من أنه كان مع الإمام الكاظم عناق مكية، وهو يقول لها: اسجدي لربك. ثم قول أبيه له: بأبي وأمي من لا يلهو ولا يلعب لعله يشير إلى أنه «عليه السلام» أراد أن يخبر الحاضرين بأن ولده لا يلهو ولا يلعب، بهذه العناق المكية، بل له مقاصد مرضية، وأهداف سامية من تعامله هذا معها.

ولعل من مقاصده هو ما ذكرناه من منع الغلو فيهم، أو دفع شرور الراصدين لبيت الإمام، ومنعهم من التأكد من أنه هو الإمام بعد أبيه.

ثالثاً: إن المروي عن السنة والشيعة: أن الإمامين الحسنين «عليهما السلام» كانا يصعدان على ظهر النبي «صلى الله عليه وآله» وهو ساجد، فيطيل السجود إلى أن ينزلا، فهل هذا لهو ولعب؟!

أم أنه عمل مقصود لهما «عليهما السلام» يريدان به أن يمهدا السبيل للرسول «صلى الله عليه وآله» ليعرف الناس بمنزلتهما وفضلهما، رحمة منه ومنهما بالأمة، وانسجاماً مع مقتضيات الهداية، فاستفادا من ظاهر طفولتهما، ومارسا عملاً ينسجم مع هذا الظاهر، بهدف الوصول إلى ما هو أهم، ونفعه أعم..

رابعاً: إن الحديث عن الطبيعة البشرية للإمام ساقط عن الإعتبار، فإن الطبيعة البشرية ليست على حالة واحدة، وفي مستوى واحد. وأين هي الطبيعة البشرية لسيد الرسل محمد «صلى الله عليه وآله» من الطبيعة البشرية لشمر ويزيد وفرعون «لعنهم الله»؟!

وهل ما تقتضيه الطبيعة البشرية حتمي الحصول، بحيث يفقد الإنسان اختياره؟!

هذا.. ولا بد من لفت نظر القارئ إلى أن المقصود هنا ليس جمع الأدلة على أن الإمام لا يلهو ولا يلعب، فإنها كثيرة. ولكننا أردنا توضيح ما ورد في رواية سعد، لأنها هي التي تهمنا هنا.

الذهب في بيت الإمام:

وأورد البعض إشكالاً آخر على رواية سعد، وهو أنها تضمنت: أن الإمام العسكري «عليه السلام» كان يشغل ولده الإمام الحجة برمانة ذهبية، فهل يليق بالإمام أن يتخذ الذهب ليشغل ابنه به؟! أليس هذا من عمل المترفين من أهل الدنيا!

ولماذا لا يبذل هذا الذهب لمستحقيه، ليستفيدوا منه في التغلب على مصاعب الحياة؟!

ونجيب:

أولاً: إن النص لم يصرح بأن تلك الرمانة كانت من الذهب الحقيقي. بل قال: إنها رمانة ذهبية، فلعل لونها كان يشبه لون

الذهب، أو لعلها كانت مطلية بماء الذهب على أبعد تقدير. وإلا لكان قال: «رمانة من ذهب».

ثانياً: من الذي قال: إن الإمام لم يكن بصدد إعطائها لمن يستحقها؟! فلعل الفرصة لم تسنح بعد للقيام بذلك، لأكثر من سبب، ككون السلطة تراقب تحركاته «عليه السلام»، لاتهامه بأنه يوزع الذهب والمال على الناس، بهدف تأليبهم على السلطة القائمة.

أو لعله لم تمض مدة تكفي للوصول إلى أولئك المستحقين.

أو لعله «عليه السلام» قد أحس بأن المطلوب من هذه الهدية هو استدراجه إلى التصرف بها بهذا النحو، توطئة لاتهامه بما هو برئ منه.. ولعل.. ولعل..

ثالثاً: لقد كانت لسليمان قصور ودور، في غاية الإتقان والفخامة، فقد خصص لملكة سبأ، صرحاً ممرداً من قوارير، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها.. وليس في ذلك غضاضة، لأن المؤمن الحقيقي لا يغتر بها ولا ينشد إليها، بل كان وجودها وعدمها سواء بالنسبة إليه.

وقد وصف علي «عليه السلام» حجج الله بأنهم «شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، بل سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بأفضل

ما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، والمتجر المربح»(1)

أحمد بن إسحاق كان حياً:

ومما طعنوا به على رواية سعد بن عبد الله: أنها تقول: إن أحمد بن إسحاق مات في زمن الإمام العسكري «عليه السلام». مع أنه قد عاش إلى زمن الإمام الحجة «عليه السلام»، كما صرح به الرجاليون.

قالوا: «والعجب من العلامة المجلسي «رحمه الله» مع توجهه إلى ذلك، وأن وفاته كانت بعد وفاته «عليه السلام» بأربعين سنة، أصر على اعتبار الرواية»(2).

ونقول:

أولاً: إن المجلسي «رحمه الله» لم يقل: عن أحمد بن إسحاق: إنه مات بعد استشهاد الإمام العسكري «عليه السلام» بأربعين سنة، بل قال ذلك عن سعد بن عبد الله.. وقد توفي سعد رحمه الله سنة 301هـ

---

(1) نهج البلاغة ـ كتابه «عليه السلام» لمحمد بن أبي بكر.

(2) راجع: مشرعة بحار الأنوار ج2 ص220 وراجع: بحار الأنوار (متناً وهامشاً) ج52 ص87 و 88 و 89 وراجع: معجم رجال الحديث ج9 ص82.

وقيل سنة 299هـ، وقد اختلط الأمر على صاحب مشرعة البحار(1).

ثانياً: لقد راجعنا ما ذكر في كتب الرجال عن أحمد بن إسحاق، وما استدلوا به على بقائه إلى زمان الغيبة، فلم نجد فيه ما يمكن أن يعد دليلاً قطعياً على ذلك(2) سوى رواية واحدة ذكرها الكشي «رحمه الله». تضمنت استئذان أحمد بن إسحاق من الحسين بن روح بالحج, فأذن له، وبعث إليه بثوب(3).

وعدّه الطوسي في جملة من كان في زمان السفراء المحمودين(4).

وهذا النص لم يذكر لنا من المقصود بأحمد بن إسحاق, فلعله شخص آخر غير الأشعري القمي.

---

(1) رجال النجاشي ص178 وخلاصة الأقوال ص156 ورجال ابن داود ص102 ومعجم رجال الحديث ج9 ص77 ونقد الرجال للتفرشي ج2 ص310 ومستدركات علم رجال الحديث ج4 ص37.

(2) راجع: قاموس الرجال ج5 ص60 و 61.

(3) رجال الكشي 557 وبحار الأنوار ج51 ص306 ومستدركات علم رجال الحديث ج1 ص260 وإختيار معرفة الرجال (نشر مؤسسة آل البيت «عليه السلام») ج2 ص831 ومعجم رجال الحديث ج2 ص53.

(4) الغيبة للطوسي ص258 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص402 وخلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص434 وجامع الرواة للأردبيلي ج1 ص41 وج2 ص486.

وأما رواية الكشي عن احتياج أحمد بن إسحاق إلى ألف دينار، وأنهم كتبوا إلى الدار بذلك, «فوقع «عليه السلام»: هي له منا صلة إلخ..»(1).. فلا دلالة فيها أن الدار كانت دار الإمام الحجة, وأن التوقيع قد جاء منه, فلعل المقصود هو الإمام العسكري، أو الهادي «عليهما السلام»..

ولكن الكشي روى عن أبي محمد الرازي قال: «كنت أنا وأحمد بن أبي عبد الله البرقي بالعسكر، فورد علينا رسول من الرجل, فقال لنا: الغائب العليل ثقة, وأيوب بن نوح, وإبراهيم بن محمد الهمداني, وأحمد بن حمزة, وأحمد بن إسحاق ثقاة جميعاً»(2).

وفي خبر الغيبة: «فورد علينا رسول من قبل الرجل, فقال: أحمد بن إسحاق الأشعري, وإبراهيم بن محمد الهمداني, وأحمد بن حمزة بن اليسع ثقات»(3).

---

(1) إختيار معرفة الرجال (نشر مؤسسة آل البيت «عليه السلام») ج2 ص831 وقاموس الرجال ج1 ص393 ومعجم رجال الحديث ج2 ص53 عن رجال الكشي ص556 رقم1051.

(2) رجال الكشي 557 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج30 ص236 و (الإسلامية) ج20 ص90 وإختيار معرفة الرجال ج2 ص831 وجامع الرواة للأردبيلي ج1 ص41 ومعجم رجال الحديث ج1 ص268 وج2 ص54.

(3) الغيبة للطوسي ص258 والغيبة للشيخ الطوسي ص417 ومختصر

فقال المحقق التستري: «يكفي هذا جلالاً توثيق الحجة «عليه السلام» له، كما عرفت من خبري الكشي والغيبة, وبعثه «عليه السلام» ثوباً لكفنه»[1].

غير أننا نلاحظ على كلام هذا المحقق: أنه بالرغم من أنه ليس ثمة ما يثبت كون المراد بالذي أرسل إليه الكفن هو أحمد بن إسحاق الأشعري، فإن الرواية الأولى وإن صرحت: بأن الكلام كان عن الأشعري.. ولكن ليس في كلا الروايتين أية دلالة على أن المقصود بالرجل هو الإمام الحجة «عليه السلام», فلعل المقصود به أحد آبائه كالهادي, والعسكري, ولم يصرح به لأجل التقية..

تفسير كهيعص:

ومن المآخذ التي سجلت على خبر سعد بن عبد الله: أنه «تضمن تفسير (**كهيعص**) بكربلاء, وقضاياها, مع أن الأخبار الصحيحة فسرته بغير ذلك»[2].

البصائر ص30 وبحار الأنوار ج51 ص363 وخلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص434 و 435 وجامع الرواة للأردبيلي ج1 ص41 و 42 وج2 ص468 وإكليل المنهج للكرباسي ص92 ومعجم رجال الحديث ج1 ص268.

(1) قاموس الرجال للتستري ج1 ص398.

(2) قاموس الرجال للتستري ج1 ص61.

ونجيب:

بأن هذا ليس من باب التفسير, بل هو من باب التأويل، كما صرحت به الرواية نفسها.

أو فقل ان هذه الحروف كأنها رموز تشير إلى أمور عديدة في آن واحد، يعرفها من اختصهم الله تعالى بدقائق الأسرار, فيبينون للناس تارة هذا الصنف من الأسرار التي أشير إليها, وأخرى يبينون لهم صنفاً آخر منها, وكلاهما صادق..

فهو نظير قول أمير المؤمنين «عليه السلام»**:** علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب.

والروايات التي تفسر الحروف المقطعة بتفاسير متعددة تشهد لما قلنا. فقد روي في تفسير كلمة **(طه)** أنها من أسماء رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

(1) معاني الأخبار ص22 ومختصر بصائر الدرجات ص67 و (بتحقيق مشتاق المظفر) ص227 وبحار الأنوار ج16 ص85 و 86 و 101 و 130 و 202 وج68 ص26 وج88 ص12 وج89 ص373 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص171 والتفسير الصافي ج3 ص299 ونور الثقلين ج3 ص366 و 367 والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ج4 ص36 والجامع لأحكام القرآن ج11 ص166 وج15 ص4 وتاريخ مدينة دمشق ج3 ص30 و 31 وإمتاع الأسماع ج2 ص145 والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج1 ص231 وإعلام الورى ج1 ص48 وكشاف القناع ج3

وروي أيضاً عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «أنها «طهارة أهل بيت محمد «صلى الله عليه وآله», ثم قرأ: **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)**[(1)]»[(2)].

وفي تفسير **(ألر)** روي تارة: أن معناه: «أنا الله الرؤوف»[(3)].

وفي تفسير القمي: «هو, حرف من حروف الإسم الأعظم في القرآن, فإذا ألفه الرسول أو الإمام, فدعا به أجيب»[(4)].

وحول **(حم عسق)**. روي عن أبي جعفر تارة أنها عدد سني القائم «عليه السلام». و (ق) جبل محيط بالدنيا من زمردٍ أخضر,

---

ص28 وعمدة القاري ج16 ص97 وتفسير الميزان ج14 ص127 وج18 ص15 وتفسير البحر المحيط ج6 ص212 وتفسير الثعالبي ج4 ص43 والإتقان في علوم القرآن ج2 ص28 وفتح القدير ج3 ص360 وتفسير الآلوسي ج16 ص148 وتهذيب الكمال ج1 ص187.

(1) الآية 33 من سورة الأحزاب.

(2) العمدة لابن البطريق ص38 وخصائص الوحي المبين ص76 و (ط سنة 1417هـ) ص105 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص495 وتفسير الثعلبي ج6 ص236 ونهج الإيمان ص85 وتأويل الآيات ج1 ص309 وغاية المرام ج3 ص181 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج22 ص8.

(3) معاني الأخبار ص22 والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج3 ص11.

(4) تفسير القمي ج1 ص308 وتفسير نور الثقلين ج2 ص290 والتفسير الصافي ج2 ص393 والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج3 ص11.

وخضرة السماء من ذلك الجبل. وعلم كل شيء في عسق[1].

وروى تارة أخرى عن أبي جعفر أيضاً, أنه قال: (حم): حتم. و (عين): عذاب. و (س): سنون كسني يوسف «عليه السلام». و (قاف): قذف [وخسف] ومسخ يكون في آخر الزمان بالسفياني وأصحابه، وناس من كلب ثلاثون ألفاً, يخرجون معه. وذلك حين يخرج القائم «عليه السلام» بمكة, وهو مهدي هذه الأمة[2].

ومن تتبع الروايات حول الحروف المقطعة يجد المزيد.

أحكام لا يفتي بها الفقهاء:

ومما أخذوه على خبر سعد بن عبد الله: أنه تضمن ما يخالف عمل فقهائنا, فقد فسرت فيه الفاحشة المبينة التي إذا ارتكبتها المرأة في عدتها يجوز للزوج إخراجها من بيته، بأنها السحق, دون الزنا.

---

(1) تفسير القمي ج2 ص267 و 268 وبحار الأنوار ج52 ص279 وج57 ص120 وج89 ص376 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص441 وج8 ص623 والتفسير الأصفى ج2 ص1122 والتفسير الصافي ج6 ص353 وتفسير نور الثقلين ج4 ص557 وج5 ص105 وراجع: تفسير السمرقندي ج3 ص315 تأويل الآيات ج2 ص542.

(2) تأويل الآيات ج2 ص542 وبحار الأنوار ج24 ص373 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص440 وج7 ص219.

مع أن الفقهاء فسروا هذه الفاحشة بما يوجب الحد, أو إيذاؤها أهل الرجل بلسانها, أو بفعلها, فتخرج في الأول لإقامة الحد، ثم تعاد إلى مسكنها الأول, وفي الثاني تُخرَجُ إلى مسكن آخر.

وتضمن أيضاً: أن السحق يوجب الرجم. وهذا خلاف إجماع الإمامية من أنه يوجب الجلد حتى لو صدر من محصنة.

ويجاب:

ألف: بالنسبة لحكم السحق، وأنه الجلد وليس الرجم, نقول:

إن هذا الخبر طويل قد يصعب ضبط جميع مطالبه, فقد يقع راويه في الوهم في بعض فقراته. فإن ظهر في بعض فقراته اختلال, أو عارضها ما هو أقوى منه سنداً, وأوضح وأقوى دلالة, فلا مانع من رفع اليد عن تلك الفقرة. وتبقى سائر الفقرات على ما هي عليه، إلا إن قام الشاهد على وقوع الخلل فيها أيضاً..

على أن من الممكن المناقشة في كون حكم السحق هو الجلد، حتى لو ذهب إليه أكثر الفقهاء فإن هناك كا يدل على أن الحكم هو الرجم إذا كانت المرأة محصنة، وقد يمكن تأييد ذلك بما دل على أن السحق هو الزنا الأكبر فإذا ضممنا هذا إلى ما ورد في هذه الرواية من أن الحكم هو الرجمن لم يكن في ذلك غضاضة.. ولهذا البحث مجال آخر..

ب: بالنسبة لتفسير الفاحشة, نقول: الفاحشة هي ما عظم قبحه من المعاصي فتشمل الزنا، وتشمل أيضاً: السحق وأذى الأهل باللسان.. فلا نرى كبير فرق بين ما ورد في الرواية وبين قول الفقهاء, فإن السحق يوجب حد الزنا وهو الجلد, بلا تفريق بين المحصنة وغيرها, وهو يجيز اخراجهن من بيوتهن فيكون المذكور في الرواية أحد مصاديق الفاحشة على سبيل المثال, وقد اكتفى به «عليه السلام» عما عداه.

وأما الإيذاء بالقول أو بالفعل لأهل الرجل, فلعله «عليه السلام» لم يذكره، لأن المقام ليس مقام ذكر جميع المصاديق، أو لأنه ليس من الفاحشة اصطلاحاً, وإنما تطلق عليه من قبل الشارع في مثل هذا المورد توسعاً. بحسب دلالة الدليل..

بل لقد ورد في الحديث ما دل على أن السحق أفحش من الزنا، فقد روي: أن السحق هو الزنا الأكبر**(1)**.

والأفحشية إنما تعرف من الشارع، والإجماع على خلاف النص لا عبرة به..

(1) الكافي للكليني ج5 ص552 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج20 ص346 و (الإسلامية) ج14 ص262 عنه، وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج5 ص69 وج10 ص55.

فاخلع نعليك:

وأشكل بعضهم على خبر سعد: بأنه تضمن ما يخالف الخبر الصحيح, في تفسير قوله تعالى لنبيه موسى «عليه وعلى نبينا وآله السلام»: **(فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)**[1]، فإن الخبر الصحيح يقول: إنها كانت من جلد حمار ميت[2]، وهذا الخبر قد أبطل ذلك ورده، فإنه قد أول الآية بنزع حب الأهل من القلب.

ونجيب:

أولاً: قلنا فيما تقدم: أنه لا مانع من تقديم ذلك الخبر الصحيح على خبر سعد بن عبد الله, في مقام التعارض، إن لم يلزم من ذلك محذور.

---

(1) الآية12 من سورة طه.

(2) علل الشرائع (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص66 وكمال الدين ص151 ومعاني الأخبار ص50 ومن لا يحضره الفقيه ج1 ص248 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج4 ص344 و (الإسلامية) ج3 ص249 ومستدرك الوسائل ج2 ص593 وبحار الأنوار ج13 ص42 و 64 وج13 ص107 وج80 ص236 وجامع أحاديث الشيعة ج2 ص157 وسنن الترمذي ج3 ص138 وج15 ص285 وج21 ص307 وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص290 والإستذكار لابن عبد البر ج8 ص315 و 316 وتخريج الأحاديث والآثار ج2 ص349 والجامع الصغير للسيوطي ج2 ص266 والعهود المحمدية ص355 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج2 ص466 وج11 ص505 و 509.

ولكن ذلك لا يعني أن رواية سعد مكذوبة، ولذلك يؤخذ بالروايتين في نفي القول الثالث، فيدل ذلك على أن الروايتين حجة لولا ابتلاؤها بالرواية الأخرى.

ثانياً: قد يقال: إن ما ذكره خبر سعد من إشكال على القول: بأن نعلي موسى كانا من جلد الميتة. إن كان مقبولاً, فيكون قرينة على أن ذلك الخبر الصحيح قد صدر تقية.

ثالثاً: يمكن أن يكون لقوله تعالى: **(فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ)**(1) معنيان **أحدهما:** ظاهري وهو لزوم احترام الوادي المقدس بخلع النعل التي هي من جلد حمار، **الثاني:** ويكون لها معنى تربوي، وهو لزوم خلع حب الأهل والولد من القلب، ولزوم اخلاص الحب لله تعالى..

رابعاً: قد صرحت رواية سعد نفسها بأنها بصدد بيان التأويل.. وليست بصدد التفسير، وبيان المعاني الظاهرة.. فليكن ما ذكر أيضاً من التأويل لا التفسير..

حب الأهل لا ينافي إخلاص الحب لله تعالى:

وفي خبر سعد: أن موسى «عليه السلام» حين ناجاه ربه بالوادي المقدس قال: يا رب إني أخلصت لك المحبة مني, وغسلت قلبي عمن سواك.

---

(1) الآية12 من سورة طه.

فقال له: اخلع نعليك، أي انزع حب أهلك من قلبك(1).

فاعترض بعضهم: بأن إخلاص الحب لله لا ينافي محبة الأهل, وقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يحب فاطمة وبعلها وبنيها «عليهم السلام» حباً شديداً.. فيبعد صدور أمثال هذه الأمور عن نبي معصوم.

ونقول:

أولاً: إن مراتب الحب لله تعالى تتفاوت, وبعضها وان كان لا ينافي إخلاص الحب لله تعالى, ولكن الله تعالى يريد من موسى أن يتجاوزها إلى ما هو أسمى وأرقى منها, تماماً كما هو الحال بالنسبة لدرجات العصمة، فإن هناك حداً تتحقق به العصمة عند جميع الأنبياء، ولكن قد يكون المطلوب ما هو أقوى عزماً، وأشد إرادة، وأرقى درجة.

ومثال ذلك: ما لو كان هناك كوب ماء، فإن اللوح الخشبي يحمله, ولكن الأكثر مطلوبية ما هو أقوى من الخشب, كلوح من الألمينيوم

---

(1) راجع: كمال الدين ج2 ص460 ودلائل الامامة ص513 ونوادر المعجزات ص193 والإحتجاج للطبرسي ج2 ص272 ومدينة المعاجز ج8 ص56 و 57 وبحار الأنوار ج13 ص65 وج52 ص83 وج80 ص237 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص96 والتفسير الصافي ج3 ص302 وتفسير نور الثقلين ج3 ص374 وقصص الأنبياء للجزائري ص267.

مثلاً, أو ما هو أشد منه كالحديد, أو الأشد منه كالفولاذ. مع أن جميع هذه الأصناف يحمل كوب الماء.. كما أن المطلوب هو الإنتقال بالسيارة من مكان إلى مكان، وجميع أنواع السيارات يحقق هذا الغرض لكن الناس يرغبون عادة بالسيارات الفخمة أو الأكثر فخامة..

ثانياً: ليس أهل موسى كأهل النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي وفاطمة والحسنين «عليهم السلام». فإن حب هؤلاء إيمان وبغضهم كفر. فلا يصح قياس أحدهما على الآخر، وهم ممن افترض الله طاعتهم على العباد.

فحب هؤلاء لا ينافي حب الله، لكن حب غيرهم ليس بهذه المثابة، حتى لو كانوا هم أهل موسى «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام».

وقد أراد الله تعالى لموسى «عليه السلام» أن يذهب في حبه لله إلى درجات أكمل وأسمى، لأنه يريد أن ينيله درجة أولي العزم، وهذا القدر من الحب للأهل، وإن كان لا ينافي العصمة والنبوة، ولكنه إذا أراد بلوغ درجات أعلى ـ كمقام أولي العزم ـ قد يحتاج للتخلص حتى من هذا المقدار من الحب للأهل، كما أوضحناه.

موقف اليهود من رسول الله ′ :

ومن المآخذ على الرواية: أنها ذكرت أن اليهود كانوا يخبرون عن النبي صلى الله عليه وآله، بأنه سيظهر ويتسلط على العرب تسلط

بخت نصر على بني إسرائيل، وأنه كاذب في ادعائه النبوة والعياذ بالله..

مع أن القرآن يقول: عن اليهود **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ)(1)**.

وكانوا يخبرون الأنصار بظهوره صلى الله عليه وآله، ويتعدونهم به، وقد بادر الأنصار إلى الإسلام إستناداً إلى إخبارات اليهود..

ونجيب:

أولاً: لا مانع من أن يكون أكثر اليهود قبل الإسلام يبشرون العرب بظهور النبي صلى الله عليه وآله، ويهددونهم به. مع أن فريقا منهم كان قبل الإسلام يكذب بظهوره، حسداً منه للعرب، لأنه منهم، ومن ولد إسماعيل، لا من ولد إسحاق.

ثانياً: لا تصرح الرواية بأن اخبار اليهود عن الرسول وطعنهم بصدقه كان قبل ظهور النبي صلى الله عليه وآله، فلعل ذلك كان بعده..

ولذلك نلاحظ: أن اليهود قد حاربوه بعد هجرته إلى المدينة، وكذبوه، ولو أنهم اعترفوا بنبوته لم يستقم منهم الدخول في حرب معه..

---

(1) الآية12 من سورة طه.

وفي الختام نقول:

يحاول البعض أن يثير تساؤلات أخرى حول هذه الرواية، وقد أضربنا عنها، لأنها ظاهرة الوهن, وواضحة الفساد, فلم نر داعياً لإطالة الكلام فيها.

الفصل الرابع:

رحيل عائشة..

إصرار عائشة على البقاء:

1 - عن إبراهيم بن عروة، عن ثابت، عن أبيه، عن حبة العرني: أن أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» بعث إلى عائشة محمداً أخاها «رحمة الله عليه» وعمار بن ياسر «رضوان الله عليه»: أن ارتحلي، والحقي ببيتك الذي تركك فيه رسول الله.

فقالت: والله لا أريم [عن] هذا البلد أبداً!!

فرجعا إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وأخبراه بقولها، فغضب ثم ردهما إليها، وبعث معهما الأشتر، فقال: والله لتخرجن أو لتحملن احتمالاً.

ثم قال أمير المؤمنين «صلوات الله عليه»: يا معشر عبد القيس، اندبوا إلي الحرة الخيرة من نسائكم، فإن هذه المرأة من نسائكم، فإنها قد أبت أن تخرج لتحملوها احتمالاً.

فلما علمت بذلك قالت لهم: قولوا فليجهزني.

فأتوا أمير المؤمنين «صلوات الله عليه»، فذكروا له ذلك، فجهزها وبعث معها بالنساء(1).

2 ـ وعن الحسن بن ربيع قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن محصن بن زياد الضبي قال: سمعت الأحنف بن قيس يقول: بعث علي إلى عائشة: أن ارجعي إلى الحجاز!!

فقالت: لا أفعل.

فقال لها: لئن لم تفعلي لأرسلن إليك نسوة من بكر بن وائل بسفار حداد يأخذنك بها.

قال: فخرجت حينئذ(2).

3 ـ وعن إسحاق بن إبراهيم، عن أشرس العبدي، عن عبد الجليل: أن أميرالمؤمنين بعث عمار بن ياسر «رحمه الله» إلى عائشة: أن ارتحلي.

فأبت عليه، فبعث إليها بامرأتين وامرأة من ربيعة معهن الإبل، فلما رأتهن ارتحلت(3).

ونقول:

---

(1) الكافئة للشيخ المفيد ص29 و 30 وبحار الأنوار ج32 ص274 و 275.

(2) الكافئة للشيخ المفيد ص30 وبحار الأنوار ج32 ص275 والجمل للمفيد (ط مكتبة الداوري) ص85.

(3) الكافئة للشيخ المفيد ص30 وبحار الأنوار ج32 ص275.

علينا ملاحظة ما يلي:

إن عائشة حين رفضت المسير إلى المدينة، وأصرت على المقام بالبصرة، وأقسمت على أن لا تريم منها أبداً، فإنها ـ فيما يبدو ـ أرادت أن تستكمل حربها على أمير المؤمنين «عليه السلام»، باستغلال الواقع الذي أفرزته تلك الحرب، فتعمل على تكريس الأحقاد على أمير المؤمنين «عليه السلام»، من خلال اعتباره مسؤولاً عن الدماء التي سفكت، والمصائب التي حلت بالناس بسبب تلك الحرب، التي جهد علي «عليه السلام» لتلافيها وتخليص الناس منها، فلم يتمكن من ذلك بسبب إصرار عائشة وحزبها على خوضها، كما أوضحته الوقائع والأحداث التي ذكرنا شطراً منها في هذا الكتاب.

ومعنى ذلك: أن بقاء عائشة في تلك البلاد سيجر إلى حرب ومصائب وبلايا أخرى، لا يعلم مداها ونتائجها إلا الله تعالى..

وقد صرح أمير المؤمنين بهذه الحقيقة حين قال لابن عباس: إنها لا تألو إلا شراً، وأن الصواب هو ارتحالها من تلك البلاد.

ولأجل ذلك: أصر «عليه السلام» عليها بذلك، ومارس أنواعاً من الضغوط التي أفهمتها: أن هذا القرار نهائي وغير قابل للنقض، ولا مجال للمساومة فيه بأي حال..

لا بد من الرحيل:

وقد صرح أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأنه يعرف طبيعة

عائشة، ويستطيع أن يشرح للناس تصرفاتها قبل وقوعها. ومن الطبيعي أن يتعامل معها على أساس هذه المعرفة. كما أظهره إرجاعه «عليه السلام» إياها إلى المدينة بناءً على ذلك.

يقول النص التاريخي:

روي: أن ابن عباس قال لأمير المؤمنين «عليه السلام» - حين أبت عائشة من الرجوع -: دعها في البصرة، ولا ترحلها.

فقال علي «عليه السلام»: إنها لا تألوا شراً، ولكن أردها إلى بيتها(1).

لماذا إلى المدينة؟!:

وأما لماذا يريد علي «عليه السلام» أن يرجع عائشة إلى المدينة. ولا يريد لها أن تبقى البصرة. فيمكن أن يقال: إن البصرة كانت خزاناً بشرياً، ومصدراً إقتصادياً حيوياً قادراً على تكوين الجيوش، ورفدها المستمر بالمال، وإمدادها بالرجال، وبكل ما تحتاجه من وسائل، وحاجات..

كما أن هذا البلد يعطي القدرة على المناورة، والتواصل بمختلف الفئات، والتحرك بمختلف الإتجاهات.

---

(1) الإحتجاج ج1 ص385 و 386 و (ط دار النعمان) ج1 ص241 والشافي ج4 ص356 وبحار الأنوار ج32 ص267 و 341.

أما المدينة، فلا تستطيع أن تؤمن تواصلاً بشرياً، ولا إمداداً إقتصادياً، ولا خزاناً بشرياً لأي عمل حربي واسع، وستكون خطوط التواصل الطويلة جداً بالنسبة إليها قابلة للتشويش والإستهداف، وسيمكن محاصرة أي تحرك عسكري فيها وخنقه في مهده بأيسر سبيل.. وقد تحدثنا عن هذا الأمر في موضوع إستراتيجية الكوفة في خلافة الإمام علي «عليه السلام».

عائشة ترحل:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

والخبر مشهور: أنه لما بعث إليها أمير المؤمنين بالبصرة أن ارتحلي عن هذه البلدة قالت: لا أريم مكاني هذا.

فقال لها أمير المؤمنين: أم والله لترتحلين أو لأنفذن إليك نسوة من بكر بن وائل يأخذنك بشقاق حداد.

فقالت لرسوله: أنا أرتحل، فبالله أحلف ما كان مكان أبغض إلي من مكان يكون هو فيه.

وأمثال هذا مما لو أثبتناه لطال به الكتاب(1).

وقال المفيد «رحمه الله» أيضاً:

---

(1) الجمل ص160 و (ط مكتبة الداوري) ص85 وبحار الأنوار ج32 ص274 و 275.

ولما عزم أمير المؤمنين «عليه السلام» على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيأت لذلك، وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهن العمائم والقلانس، وقلدهن السيوف، وأمرهن أن يحفظنها، ويكنَّ عن يمينها وشمالها، ومن ورائها. فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بما فعل بي، بعث معي الرجال، ولم يحفظ بي حرمة رسول الله.

فلما قدمن المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها، فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بذم أمير المؤمنين «عليه السلام» وسبه وقالت:

جزى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»(1).

قال ابن أعثم:

ثم دعا علي «رضي الله عنه» بنسوة من نساء أهل البصرة، فأمرهن أن يخرجن مع عائشة إلى المدينة، فرحلت عائشة من

---

(1) الجمل للمفيد ص415 و (ط مكتبة الداوري) ص عن: الإمامة والسياسة ج1 ص78 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص183 والفتوح لابن أعثم ج1 ص494 ومروج الذهب ج2 ص379 وتذكرة الخواص ص81 وقارن بتاريخ الأمم والملوك ج4 ص544 وتجارب الأمم ج1 ص331 والكامل في التاريخ ج3 ص258 ونهاية الأرب ج20 ص83 وفي المصادر في عدد النساء اللاتي أنفذهن أمير المؤمنين مع عائشة اختلاف.

البصرة في تلك النسوة.

وقد كان علي «رضي الله عنه» أوصاهن وأمرهن أن يتزيين بزي الرجال، عليهن العمائم، فجعلت عائشة تقول في طريقها: فعل بي علي وفعل، ثم وجه معي رجالاً يردوني إلى المدينة!

قال: فسمعتها امرأة منهن، فحركت بعيرها حتى دنت منها ثم قالت: ويحك يا عائشة! أما كفاك ما فعلت، حتى انك الآن تقولين في أبي الحسن ما تقولين؟!

ثم تقدمت النسوة وسفرن عن وجوههن.

فاسترجعت عائشة، واستغفرت، وقالت: هذا ما لقيت من ابن أبي طالب.

ثم دخلت عائشة المدينة، وصارت إلى منزلها نادمة على ما كان منها، وانصرفت النسوة إلى منازلهن بالبصرة.

قال: فكانت عائشة إذا ذكرت يوم الجمل تبكي لذلك بكاء شديداً، ثم تقول: يا ليتني لم أشهد ذلك المشهد! يا ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة!

ثم قالت عائشة: ولو لم أشهد الجمل لكان أحب إلي من أن يكون لي من رسول الله «صلى الله عليه وآله» مثل ولد عبد الرحمن بن الحارث، فإنه كان له عشرة أولاد ذكور كل يركب(1).

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص341 و 342 و (ط دار الأضواء) ج2 ص487.

وقال ابن عبد ربه:

«فجهزها بأحسن الجهاز، وبعث معها بأربعين امرأة. وقيل: سبعين حتى قدمت المدينة»[1].

وقال الطبري:

«فسرحها علي، وأرسل معها جماعة من رجال ونساء. وجهزها. وأمر لها باثني عشر ألفاً من المال. فاستقل ذلك عبد الله بن جعفر، فأخرج لها مالاً عظيماً، وقال: إن لم يجزه أمير المؤمنين فهو علي»[2].

وعند المسعودي: إنه «عليه السلام» بعث معها أخاها عبد الرحمان بن أبي بكر، وثلاثين رجلاً، وعشرين امرأة من ذوات الدين، من عبد القيس وهمدان وغيرهما، ألبسهن العمائم، وقلدهن السيوف، وقال لهن: لا تُعلمن عائشة أنكن نسوة، وتلثمن كأنكن رجال، وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها.

فلما أتت المدينة قيل لها: كيف رأيت مسيرك؟!

---

(1) العقد الفريد ج4 ص328 و الفصول المهمة ج1 هامش ص435 وشرح إحقاق الحق ج32 ص292 عن أخبار النساء في العقد الفريد (ط دار الكتب العلمية) ص136 وعن طبائع النساء وما جاء فيها من العجائب والغرائب (ط مكتبة القرآن - بولاق القاهرة) ص224.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص510 و (ط الأعلمي) ج3 ص520.

قالت: كنت بخير والله، لقد أعطى علي بن أبي طالب فأكثر، ولكنه بعث معي رجالاً أنكرتهم، فعرفها النسوة أمرهن، فسجدت وقالت: ما ازدَدْتَ والله يا ابن أبي طالب إلا كرماً، وددت أني لم أخرج وإن أصابتني كيت وكيت من أمور ذكرتها شاقة»(1).

وقال الطبري أيضاً:

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام.

واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات.

وقال: تجهز يا محمد، فبلغها.

فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس.

فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم، وقالت: يا بني تعتَّبَ بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدَّن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك.

إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار.

وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها

---

(1) مروج الذهب ج2 ص370.

إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم «صلى الله عليه وآله» في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً، وسرح بنيه معها يوماً[1].

ونقول:

هنا أمور عديدة تحتاج إلى بيان.. نذكر منها ما يلي:

إلى المدينة لا إلى مكة؟!:

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: قصدت عائشة مكة، فكان وجهها من البصرة، وانصرف مروان والأسود بن أبي البختري إلى المدينة من الطريق، وأقامت عائشة بمكة إلى الحج، ثم رجعت إلى المدينة[2].

ولم يرو هذا المعنى فيما نعلم غير سيف، المتهم بالوضع والزندقة، أو من يأخذ منه، ويروي عنه.. وربما كان الهدف من هذا التزوير هو إظهار قدرة عائشة على مخالفة أمر علي «عليه السلام»، وأن ما جرى في حرب الجمل، لم ينقص من نفوذها، ولا غيَّر شيئاً من قوتها وعنفوانها..

والروايات الأخرى المصرحة بأنها قد سارت إلى المدينة أولى

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص544 و (ط الأعلمي) ج3 ص547.
(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص542 و (ط الأعلمي) ج3 ص545.

بالقبول من رواية شاذة، رواها أهل الريب، وغير الموثوق بهم.

هل خافت من النسوة، أو من الطلاق؟!:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أنها رضيت بالرحيل خوفاً من النسوة من بكر بن وائل، بينما نجد رواية أخرى تقول: إنها رضيت بالرحيل خوفاً من الطلاق.. فأي ذلك هو الصحيح؟!

وربما يجاب:

بأن من الجائز أن تكون قد رضيت حين هددت بالطلاق، ثم عادت إلى التمرد، فهددها بنسوة من بكر بن وائل.. وقد يكون ذلك بالعكس. أي: أنها رضيت بالمسير حين هددها بالنسوة، ثم امتنعت، فهددها بالطلاق، فرضيت..

التشبه بالرجال:

وقد يتساءل البعض عن المسوغ لارتكاب أمر منهي عنه شرعاً، وهو تشبه النساء بالرجال هنا، فإنه «عليه السلام» قد ألبس النساء العمائم والقلانس، وقلدهن السيوف، فأشبهن الرجال، وأوكل إليهن أمر حراسة عائشة في الطريق..

وقد لعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، المتشبهات بالرجال[1].

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج52 ص192 وج22 ص136 وج100 ص258 و

فما المبرر لهذا الفعل، وقد كان يمكنه «عليه السلام» أن يرسل عائشة إلى المدينة بحراسة الرجال، ويكون معها أخوها أو غيره من محارمها؟!

ونجيب:

أولاً: إن التشبه المنهي عنه، هو التخنث والتأنيث في الرجال، والتذكير في الإناث المساحقات كما دلت رواية أمير المؤمنين عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقال «صلى الله عليه وآله» فيها: أخرجوهم من بيوتكم، فأنهم أقذر شيء**(1)**.

ورواية أبي خديجة عن أبي عبد الله «عليه السلام» وغير

---

256 وج76 ص65 و 68 والمحاسن للبرقي ج1 ص113 وكمال الدين ج1 ص447 و 448 والكافي ج5 ص550 وج8 ص 69 - 72 وثواب الأعمال ص267 وعلل الشرايع ج2 ص602 و (ط أخرى) ج2 ص289 والخصال ج2 ص373 - 376 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج17 ص284 و20 ص337 و 338 و (الإسلامية) ج12 ص211 وج14 ص255 و 262 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص217 وج5 ص346 وج9 ص262 ومسند أحمد ج1 ص251 و 330 و 339 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج7 ص55 ومجمع الزوائد ج8 ص102 - 104.

(1) علل الشرايع ج2 ص289 وبحار الأنوار ج76 ص64 و 65 وراجع: دعائم الإسلام ج2 ص453.

ذلك(1).

ثانياً: لو سلمنا: أن المراد بالتشبه: هو لبس الرجال الثياب المختصة بالنساء، وبالعكس، فإننا نقول:

إنما يحرم من ذلك ما كان على سبيل التزيُّن. أعني تزين المرأة بلباس الرجال، أو تزين الرجال بثياب النساء، بهدف جلب الأنظار.. وإلا، فلو أن رجلاً لم يجد حذاءً، فلبس حذاء زوجته في بيته، لكي يذهب إلى الحمام.. فإنه لا يكون قد فعل حراماً.. وكذلك الحال لو انعكس الأمر.

تناقضات ومفاجأت:

1 - إن حفظ كرامة رسول الله «صلى الله عليه وآله» واجب، وحفظ زوجته من مفردات حفظ كرامته.

أما لبس النساء للعمائم والقلانس، لكي لا يعرفهن من يراهن، فليس من التهاون بكرامة الرسول، ولم يثبت أن أحداً رأى أولئك النسوة، وعرف أنهن نساء، قد لبسن ثياب الرجال.

وهذا يشير إلى أن أمرهن بلبس القلانس والعمائم، والتنكر كان أمراً احتياطياً لا أكثر..

---

(1) راجع: ثواب الأعمال ص238 والمحاسن للبرقي ص113 وبحار الأنوار ج76 ص68 عنهما.

والتشبه المنهي عنه في اللباس والزينة ليس ما يحصل بالخفاء، مما لا يطلع عليه أحد. بل هو ما تظهر به المرأة أمام الناس، من الرجال والنساء على حد سواء..

وقد بلغ الأمر في شدة احتياط النسوة وتنكُّرهن: أن عائشة نفسها لم تستطع معرفة أن الذين معها كنَّ نساءً.. فأوغلت في سب أمير المؤمنين «عليه السلام»، والدعاء عليه، والإساءة له في الطريق. واعتبرت ذلك فرصة لها يجب أن تستفيد منها، في الإعلان بذمه، والحط من مقامه «عليه السلام».

وحين وصلن إلى المدينة، وجئن إليها، وألقين عمائمهن، وظهر لعائشة أنه «عليه السلام» ليس فقط لم يهتك سترها، بل هو قد حفظها أشد الحفظ.. كان لا بد لها من التراجع، فأعلنت ضد ما كانت تقوله. واعترفت بأنه قد حفظ فيها حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

2 - إن عائشة كانت على دراية تامة بأنها لا تملك في نفسها ما يدعو الناس إلى إيثارها بأي شيء، أو تخصيصها بأي خدمة، وأن الناس إنما يكرمونها ويعظمونها حباً برسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا هو السبب في أنها تتحدث عن حفظ حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها، أو عدم حفظ حرمته «صلى الله عليه وآله» فيها..

وهذا يؤكد صحة ما قاله ابن عباس لها.. من أن كل كرامة تنالها، فإنما تنالها برسول الله «صلى الله عليه وآله»..

3 - على أنه كيف يحق لعائشة التي تركت بيتها وخدرها، وجاءت إلى حرب الجمل، ووقفت على جملها بين عشرات الألوف: أن تعتب على علي «عليه السلام»، وتقول: إنه أرسلها إلى المدينة مع الرجال؟!

فهل هي قد جاءت من المدينة إلى البصرة مع النساء؟! أم مع مئات وألوف الرجال؟!

وهل لم يكن مجيئها على ذاك النحو هتكاً لحرمة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!

اختلاف الروايات:

إن التدقيق في روايات مسير عائشة إلى المدينة يظهر اختلافاً في بعض الخصوصيات، فـ:

أولاً: هل أرسل «عليه السلام» معها إلى المدينة أخاها محمداً، أو عبد الرحمان؟!

ويمكن أن يقال: لعله أرسل محمداً، وتبرع عبد الرحمان بالذهاب، لأنه يرغب في العودة إلى بلده. أو أن الأمر كان بالعكس. أو أن أحدهما كان معها، وقد اشتبه اسمه على الرواة..

ثانياً: هناك اختلاف في عدد النسوة اللواتي أرسلهن معها، هل

كن سبعين؟! أو عشرين؟! أو أربعين؟!

وقد يكون السبب في هذا الاختلاف: هو أن قسماً من النساء كن مع رجالهن الذين ذهبوا إلى المدينة في نفس ذلك المسير..

أما علي «عليه السلام» فاختار عدداً معيناً منهن كن هن المسؤولات عن خدمتها وحملها، وعن مرافقتها عن يمينها وشمالها ومن خلفها..

حراسة عائشة:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد أمر النسوة: بأن يحفظنها، ويكنّ عن يمينها، وشمالها، ومن ورائها.. وكأنه «عليه السلام» كان يخشى من محاولة اغتيال قد تتعرض لها.. كما كان الحال بالنسبة لطلحة الذي قتله مروان..

فلعل أحداً توسوس له نفسه بأن يقتلها، إما انتقاماً لبعض أحبابه ممن أمرت بقتلهم قبل مجيء علي «عليه السلام» إلى البصرة.. أو ممن قتلوا في حرب الجمل..

بل قد يبادر مروان إلى الإنتقام، أو أخذ ثار عثمان منها كما أخذ ثار عثمان من طلحة.. وقد يكون المطلوب هو اتهام علي «عليه السلام» بالتقصير في حفظها، أو بالتدبير لاغتيالها..

إلى غير ذلك من الإحتمالات والتسويلات الشيطانية، التي قد تجد المجال مفتوحاً أمام المبادرة والمقامرة، والمغامرة.

من تزويرات سيف:

وإن ملاحظة رواية سيف المتقدمة تظهر: كيف أنه زاد أموراً تفرد بها عن سائر الرواة، تصب هذه الزيادات كلها في مصلحة عائشة؛ فزعم: أن علياً «عليه السلام» قد شيَّعها أميالاً، وسرَّح بنيه معها يوماً.

والأهم من ذلك: أنه زعم أنها قالت: إنه لم يكن بينها وبين علي «عليه السلام» إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها. وإنه عندي على معتبي من الأخيار[1].

وأن علياً «عليه السلام» قال للناس: صدقت وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك. وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة. وهذا الكلام لم نجده إلا عند سيف برواية الطبري. أو من أخذ عنه.

وهذا لا ينسجم مع سبِّها لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي في طريقها إلى المدينة.

ثم ما كان من شماتتها بموته «عليه السلام» بعد ذلك.

وقد سمت غلامها عبد الرحمان حباً بعبد الرحمان بن ملجم[2].

---

(1) أي بالرغم من عتبي عليه، فإنه من الأخيار.

(2) الشافي في الإمامة ج4 ص356 وتلخيص الشافي ج4 ص158 والجمل للمفيد (ط مكتبة الداوري) ص84 وبحار الأنوار ج28 ص150 وج32 ص341 والجمل لابن شدقم ص27 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص512.

وسجدت شكراً لله وتمثلت ببعض الأشعار(1).

والكلام حول هذا الأمر طويل، وشواهد لا تكاد تنتهي.

علي × وعائشة: ليتني مت قبل هذا!:

قال الطبري:

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: وغشي الوجوه عائشة، وعلي في عسكره، ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة في أول من دخل، فسلم عليها، فقالت: إني رأيت رجلين بالأمس اجتلدا بين يدي، وارتجزا بكذا، فهل تعرف كوفيك منهما؟!

قال: نعم.. ذاك الذي قال: «أعق أم نعلم» وكذب والله إنك لأبر أم نعلم، ولكن لم تطاعي.

فقالت: والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وخرج، فأتى علياً، فأخبره أن عائشة سألته، فقال: ويحك! من الرجلان؟!

____

(1) الجمل للمفيد (ط مكتبة الداوري) ص84 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص40 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص150 والشافي ج4 ص155 وتلخيص الشافي ج4 ص157 وبحار الأنوار ج32 ص340 و 341 والجمل لابن شدقم ص26 ومقاتل الطالبيين ص27 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص299 ونهج السعادة ج8 ص508 ونهج السعادة ج8 ص508.

قال: ذلك أبو هالة الذي يقول:

كيما أرى صاحبه علياً.

فقال: والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

فكان قولهما واحداً(1).

ونلاحظ هنا:

1 - إن القعقاع قد عاد للظهور من جديد في رواية سيف، دون سواه.. وقد قلنا: إن من العلماء من يشك أو يجزم بأنه شخصية مختلقة من قبل سيف الوضاع، والمتهم بالزندقة.. ولكن سيفاً يظهره هنا على أنه من الكبار والأعيان!!

2 - إن الرواية تريد أن تظهر عائشة بصورة الشخصية المرموقة، وأن ما جرى لها في حرب الجمل لم يسقط محلها من النفوس.. كما أنها تريد أن توهم أن أعيان البصرة، قد اغتنموا فرصة غياب علي «عليه السلام» في عسكره ليزوروا عائشة..

مع أن البقية من جيش الناكثين التي سلمت من القتل كانت منشغلة بنفسها وبجراحها، ولعل الكثيرين منهم لم يجدوا الفرصة أو الجرأة لزيارة عائلاتهم في بيوتهم. فهل يزورون عائشة أو سواها؟!

وحين حملت عائشة إلى بيت ابن خلف، فإنما كانت منشغلة بالجرحى، والمختبئين عندها، ومحاولة التماس الأمان لهم من علي

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص537 و (ط الأعلمي) ج3 ص541 و 542.

«عليه السلام».. ولم يفسح علي «عليه السلام» المجال لها للنشاط الاجتماعي، وعودتها لتحريض الناس عليه، مثلما كان الأمر عليه قبل الحرب.

3 ـ كيف يشهد القعقاع لعائشة بأنها «أبر أم نعلم» وهي التي قتلت من أبنائها عشرين ألفاً، كما قالت لها أم أفعى العبدية..

4 ـ كيف يشهد لها القعقاع بذلك، ويرضاه علي قائداً في جيشه، ثم يكون هو الذي عقر لها جملها؟!.

5 ـ كان يحق لعائشة أن تتمنى الموت قبل يوم الجمل بعشرين سنة، لأن ما جرى في حرب الجمل كان كارثة بالنسبة إليها، لأنها فشلت في تحقيق ما تصبو إليه من قتل علي «عليه السلام» وإبادة أنصاره، والاستبداد بالأمر، وإعلان نفسها أميرة للمؤمنين..

ولأنها قد فقدت أنصارها الذين كانت تعول عليهم، وقوي علي «عليه السلام» على أعدائه..

6 ـ لماذا يتمنى علي «عليه السلام» الموت قبل يوم الجمل بعشرين سنة، وهو إنما قام بواجبه، ووفقه الله لكسر شوكة الباطل وأهله؟! ولماذا لا يفرح بهذا التوفيق، ويحمد الله عليه؟! أليس أهل البيت «عليهم السلام» هم الذين قالوا لنا: إن «رضا الله رضانا أهل البيت»؟!

7 ـ لماذا يريد سيف أن يوازن بين عائشة وبين علي «عليه السلام»، حتى إنه ليجعل قولهما واحداً، مع أن عائشة خرجت عاصية

لله ورسوله. أما علي «عليه السلام» فخرج في طاعة الله ورسوله؟!

عائشة تواصل التحريض على علي ×:

وروى محمد بن إسحاق، عن جنادة: أن عائشة لما وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة، لم تزل تحرِّض الناس على أمير المؤمنين «عليه السلام». وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن أبي البختري، تحرضهم عليه «صلوات الله وسلامه عليه»**(1)**.

ونقول:

1 ـ إن هذا النص يؤكد: عدم صحة ما يدَّعيه بعضهم، من أن عائشة قد ندمت على ما كان منها في حرب الجمل..

2 ـ إنها قد استمرت في حقدها وعداوتها إلى أن مات «عليه السلام»، فأظهرت الشماتة، وقد ذكرنا مفردات من ذلك في أكثر من موضع في هذا الكتاب.

ويكفي أن نذكر من ذلك هنا: ما روي عن مسروق أنه قال: دخلت على عائشة، فجلست إليها، فحدثتني واستدعت غلاماً لها أسود يقال له: عبد الرحمان، فجاء حتى وقف، فقالت: يا مسروق، أتدري لم سميته عبد الرحمان؟!

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص341 و 267 وج28 ص149 والإقتصاد للشيخ الطوسي ص229 والشافي في الإمامة ج4 ص356 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص511 و 512.

فقلت: لا.

فقالت: حباً مني لعبد الرحمان بن ملجم(1).

وهذا يدل: على أن حقدها على أمير المؤمنين «عليه السلام» قد تواصل، وتفاعل، حتى أصبحت تجاهر به على هذا النحو الذي ذكرناه.

وربما يدل ذلك على أنها كانت تثق بمسروق إلى حد أنها تظهر أمامه مثل هذا الأمر.

---

(1) الشافي في الإمامة ج4 ص356 وبحار الأنوار ج28 ص150 وج32 ص341 و 342 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص512 .

الباب السادس عشر

اللمسات الأخيرة..

الفصل الأول: أحداث ذات مغزى..

الفصل الثاني: من صفيراء.. إلى حميراء..

الفصل الثالث: خطب.. ورسائل..

الفصل الرابع: البيعة.. ونصب الوالي..

الفصل الخامس: من البصرة.. إلى الكوفة.

الفصل الأول:

أحداث ذات مغزى..

التوحيد هو ما يطلبه من الناكثين:

روى الصدوق بإسناده عن شريح بن هانئ: أن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، أتقول: إن الله واحد؟!

قال: فحمل الناس عليه، وقالوا: يا أعرابي، أما ترى ما فيه أمير المؤمنين «عليه السلام» من تقسم القلب؟!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: دعوه، فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم.

ثم قال: يا أعرابي، إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه.

فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: «واحد» يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز؛ لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: ثالث ثلاثة؟!

وقول القائل: هو واحد من الناس يريد النوع من الجنس، فهذا ما

لا يجوز عليه، لأنه تشبيه، وجل ربنا عن ذلك وتعالى.

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه. كذلك ربنا.

وقول القائل: «إنه عز وجل أحدي المعنى» يعني به: أنه لا ينقسم في وجود، ولا عقل، ولا وهم. كذلك ربنا عز وجل(1).

ونقول:

1 ـ لقد أعلن أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن الهدف من حرب الجمل هو إثبات معنى التوحيد لدى الناكثين.. مما يعني: أن الناكثين قد خرجوا عن معنى التوحيد، ربما من حيث أن حركتهم قد جاءت لإبطال أحكام الله وشرائعه، وسن سنة سيئة تكون بديلاً عن حكم الله سبحانه..

فالله قد جعل لهم إماماً وبايعوه، ثم نكثوا بيعته، وحدد لهم أحكاماً ترتبط بالأموال، فسعوا إلى إبطالها، وطالبوا علياً «عليه السلام» بنقض أحكام الله هذه، وأرادوا حمله على القبول بحكم الهوى،

---

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص93 والتوحيد للصدوق ص84 والخصال ص2 ومعاني الأخبار ص6 وبحار الأنوار ج3 ص206 و 207 وروضة الواعظين ص36 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص45 ونور البراهين ج1 ص226 وميزان الحكمة ج3 ص1901 وتفسير نور الثقلين ج4 ص476 وج5 ص709 ونهج الإيمان ص367.

وبتسويلات الشياطين..

كما أن الله تعالى قد وضع الشرايع والأحكام القضائية التي لا بد من مراعاتها في القصاصات والجنايات.. وأراد الناكثون إبطالها.. وحكم بعدم جواز اتهام الأبرياء، وعدم جواز اعتبار القاتل بريئاً بمجرد ادعائه الندم على ما صدر منه.

وقد خالفوا ذلك أيضاً وأرادوا استبداله بأحكام شيطانية، فهم يعصون الرحمان، ويطيعون الشيطان.. ويريد الله سبحانه لهم أن لا يعبدوا غيره، وأن لا يطيعوا سواه.

وهذا معناه: أن توحيدهم مشوب بالشرك، إن لم نقل: إنه مجرد توحيد لساني.

أما في مقام العمل، فليس للتوحيد أثر في سلوكهم العملي، بل هم يعملون عمل أهل الشرك، بل هو عمل من لا يعترف بالله، ولا يطيعه، ويطيع هواه والشيطان.

2 ـ إن ما ذكره «عليه السلام» في معنى التوحيد واضح لا يخفى.. فإن الأقسام الأربعة لمعنى: أن الله واحد، التي ذكرها «عليه السلام» هي التالية:

المعنى الأول: أنه تعالى واحد بالعدد.. وهذا باطل، لأن معناه: أنه يمكن أن يكون له ثان.. فالصحيح: هو أن الله تعالى واحد لا ثاني له..

الثاني: أنه واحد بمعنى الصنف من النوع.. وهذا باطل أيضاً، فإنه إذا قيل لرومي أو عربي: إن هذا واحد من الناس، كان معناه: أنه

صنف من أصنافهم..

والله ليس صنفاً من أصناف الناس، ولا من أصناف أي نوع آخر.

الثالث: أنه تعالى واحد ليس له شريك ولا شبيه في الألوهية.. وهذا معنى صحيح.

الرابع: أنه تعالى واحد، بمعنى نفي التركيب عنه. أي أنه لا ينقسم في وجوده، ولا في وهم، ولا في عقل. وهذا صحيح أيضاً..

حذيفة يخبر عن حرب الجمل:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

وفيما كان من أمر الجمل وقطع أيدي الآخذين بخطامه وجذ أقدامهم، ما رواه مسلمة بن عمارة قال: حدثني بشر العامري: أقبلت من نحو المدينة أريد الكوفة في زمن عثمان، فلقيت علجاً قد جعل على وجه حماره ورقة فيها قرآن، فأعظمت ذلك وأخذت العلج وشتمته!

فقال: ما تريد مني؟!

قلت: ما هذا الذي صنعت؟! ويلك! تجعل على وجه حمارك ورقة من القرآن!

فقال: ويحك! إن هذا ومثله مطروح على الكناسات والحشوش عندنا!! إن كتب صاحبك صارت تمزق وتلقى في الحشوش!!

قال: فلقيت حذيفة فأخبرته، فقال: قد فعلوا ذلك، كأني بهم وقد ساروا بها والذي بعث محمداً بالحق نبياً. والأزد وضبة قد حفوا بها جَذَّ الله أقدامهم.

قال: فحضرت الوقعة بالبصرة، فنظرت إلى الأزد وضبة وتميم حول الجمل، ونظرت إلى الأزد وقد قطعت أقدامهم من العراقيب وأسفل منها.

قال: ولما قتل كعب بن سور تقدم غلام من الحدان يقال له: وائل بن عمر، وهو يبكي ويقول:

يا رب فارحم سيد القبائل كعب بن سور غرة القنابل
وخير حاف منهم وناعل وخير مقتول وخير قاتل
يا كعب فلتبشر بخير كامل بنصرك الحق وترك الباطل

فخرج إليه رجل يقال له عبد الرحمن بن هاشم وهو يقول:

لا رحم الله ابن سور إذ مضى ولا تولاه بعفو ورضى
فقد قضى بالجور فيما قد قضى ودان بالكفر ولم يعص الهوى
واتبع الضلال من أهل العمى فصار بالفتنة مع من قد هوى

ثم ضرب وائل بن عمر فقتله.

وبرز رجل من بني قشير يقال له خيثمة بن الأسود وهو يقول:

نحن صحاب الجمل المكرم ومانعوا هودجه المعظم

ونـــاصـــروا زوج النبي الأكـرم ذلـــك ديـــن الله فيـنـا الأقـــدم

فخرج إليه رجل من شيعة أمير المؤمنين يقال له عبيد الله بن سالم وهو يقول:

نـــحـــن مطيـعون جميعاً لعلي إذ أنت ساع في الفساد يـا شـقي

إن الغـوي تـــابع أمـــر الغـــوي قد خالفــت زوج النبــي للنبــي

وخرجت مـــن بيتـها مع من هوي

ثم ضرب يده بالسيف فقطعها ووقع لجنبه، فرام أصحابه تخليصه وازدحموا عليه، فوطؤوه(1).

ونقول:

قد تضمن هذا النص أموراً يحسن التوقف عندها، والتماس الدروس والعبر منها، فلاحظ ما يلي:

جرأة العلوج ووقاحتهم:

إن البلاد التي التقى فيها بشر العامري ذلك العلج كانت في يد المسلمين، فإن المسلمين كانوا قد أخضعوا البلاد والعباد، واستولوا على ملك كسرى، وعلى كثير من الممالك من حولهم.

ومن المفترض: أن يكون أتباع الأديان الأخرى أكثر انضباطاً،

---

(1) الجمل للمفيد ص352 - 354 و (ط الداوري) ص187 - 189.

ومراعاةً للآداب، وأشد تحفظاً واهتماماً برعاية مشاعر المسلمين، وهم في بلادهم، وهم أهل السلطة والشوكة، فما معنى أن يضع أحدهم ورقة فيها قرآن على وجه حماره؟! مع أن هذا الأمر لا بد أن يثير المشاعر، ويدعو إلى الخصومة بأعلى مراتبها..

إلا أن تكون الفتوحات قد أخضعت البلاد والعباد، ودعت الكثيرين إلى التظاهر بالإسلام، ولكنه بقي إسلاماً ظاهرياً وقولياً لم ينفذ إلى الأعماق، ولم يستقر في النفوس، ولا احتضنته المشاعر.. وكان المؤمنون الحقيقيون قلة قليلة جداً، لا حول لهم ولا قوة..

ويشهد لهذا: ما سيأتي إن شاء الله عن بني ناجية، من أنهم اعتزلوا بعد حرب الجمل وعسكروا، فبعث علي «عليه السلام» إليهم.. فقال قسم منهم: كنا نصارى فأسلمنا، فلم يعجبنا الإسلام، فرجعنا إلى النصرانية. فقتلهم علي «عليه السلام»، وسبى ذريتهم.

وقسم قالوا: لم نسلم، بل خرجنا مع الناكثين كرهاً. فضرب عليهم علي «عليه السلام» الجزية.

وقسم قالوا: كنا نصارى فأسلمنا ولا زلنا على إسلامنا، فتركهم.

ويشهد له أيضاً: ما قاله حذيفة من أنه قد وجد مصداق ما أخبره به رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن البلاء الذي سيتعرضون له، فقال: فابتلينا حتى ما يستطيع الرجل منا أن يصلي إلا سراً(1).

---

(1) صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج1 ص91 وصحيح البخاري (ط سنة 1309

وقد كان هذا قبل خلافة علي «عليه السلام»، لأن حذيفة قد مات بعد البيعة لعلي «عليه السلام» بيسير.

وهذا يظهر مدى سيطرة الفاسقين على الوضع الاجتماعي العام.

ولكن اللافت: هو أن تبلغ الوقاحة والجرأة بهم وبغيرهم من اتباع الملل الأخرى حد الإعلان بإهانة المصحف..

بل إن هذا العلج يجادل بشراً العامري، لاعتراضه عليه لأجل إهانته للقرآن. والأدهى من ذلك: جرأة ذلك العلج على إخبار بشر: بأن القرآن وأوراقه مطروح على الكناسات (أي المزابل) والحشوش عندهم..

وإن كتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» صارت تمزق وتلقى في الحشوش أيضاً!! فهل هناك مصيبة أعظم من هذه المصيبة، وأين كان الخلفاء المهتمون بفتح البلاد، وجمع الأموال عن هذا الأمر الجلل؟!

هـ ق) ج2 ص116 ومسند أحمد ج5 ص384 وسنن ابن ماجة ج2 ص1337 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص619 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص276 وصحيح ابن حبان ج14 ص171 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص228 وإمتاع الأسماع ج9 ص346.

النبي ’ أخبرهم حتى بالتفاصيل:

وإذا نظرنا في جواب حذيفة لبشر العامري، فسنجد:

أولاً: إنه يخبر عن غيب لم يأت بعد. ولا شك في أن حذيفة لم يكن يعلم الغيب، ولم يدع ذلك لنفسه في أي وقت، بل هو قد أخذه من ذي علم، إما رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة، أو عمن أخذ عنه كعلي والحسنين «عليهم السلام»..

ثانياً: إن حذيفة يذكر في خبره هذا أموراً تفصيلية، وأسماء قبائل بعينها، ويحدد لها دورها، ويذكر جماعة من الناس، وأنثى يُسار بها.. وتحف بها قبائل، وتجذُّ أقدامهم..

ولا يمكن الأخبار عن تفاصيل كهذه عن اجتهاد، واستشراف للمستقبل استناداً إلى سنن تحكم مسيرة المجتمعات..

ثالثاً: يبدو لنا: أن هذا الذي ذكره بشر العامري لحذيفة من عدوان على قدس القرآن قد كان من العلامات التي تؤذن بقرب حدوث ما ذكره له حذيفة مما ظهر مصداقه في حرب الجمل. وكان حذيفة يتوقع ذلك، كما يشير إليه قوله: «قد فعلوا ذلك!! كأني بهم.. الخ..».

علامات ودلالات:

وقد تضمن النص المتقدم عن حذيفة: أنه يخبر قبل موته ـ وقد مات قبل حرب الجمل بأشهر ـ باسمي القبيلتين اللتين تحفان بجمل

عائشة. وهم قبيلتا: ضبة والأزد.. وهذا ما حدث بالفعل.

وقد كان طبيعياً أن تقتل الرجال، وتجرح في الحرب، ولا سيما في نقطة الإرتكاز في تلك الحرب، ولعله لأجل ذلك عدل عن الإخبار بالقتل والجرح إلى الإخبار عن أمر خاص جداً، يحدث لخصوص هاتين القبيلتين.. وهو جذُّ أقدام المقاتلين منهم. ليكون ذلك علامة صدق فارقة، لا مجال للشبهة وللتأويل فيها.

كما أنه قد ألمح في هذا الخبر نفسه إلى المحق وميَّزه من المبطل في هذه الحرب بصورة لطيفة وخفيفة، حين قال: إن الله تعالى هو الذي يجذُّ أقدامهم.

وحيث إن ذلك إنما حصل بأيدي الرجال.. فلا بد أن يفهم من هذا التعبير أن ما يجري لهم إنما هو بأمر ورضا من الله تعالى، من حيث إنه هو الواجب والتكليف الشرعي، الذي يؤديه جند الله وأنصاره من أهل الإيمان والإلتزام..

الأشتر يهدي عائشة جملاً!!:

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن كليب، عن أبيه قال: لما فرغوا يوم الجمل أمرني الأشتر، فانطلقت، فاشتريت له جملاً بسبعمائة درهم من رجل من مهرة، فقال: انطلق به إلى عائشة، فقل لها: بعث به إليك الأشتر، مالك بن الحارث وقال: هذا عوض من بعيرك.

فانطلقت به إليها، فقلت: مالك يقرئك السلام، ويقول: إن هذا البعير مكان بعيرك.

قالت: لا سلَّم الله عليه؛ إذ قتل يعسوب العرب ـ تعني ابن طلحة ـ وصنع بابن أخي ما صنع.

قال: فرددته إلى الأشتر، وأعلمته.

قال: فأخرج ذراعين شعراوين، وقال: أرادوا قتلي فما أصنع؟!(1).

وحسب نص ابن عساكر: قال كليب: إن الأشتر قال له: اذهب، فاشتر لي أغلى بعير بالبصرة.

فأنطلق، فآخذ بعيراً بمائتي دينار، فأجيء به، فقال: انطلق، هذا البعير، فأبلغه عائشة، واقرأها مني السلام. وأخبرها أنه حملان.

ففعلت، فقالت: اردده عليه، أليس صاحبي القائل كذا وكذا؟! والقائل الفاعل؟!

فرددته عليه، وأخبرته، فقال: والله ما تلومني عائشة من بين الناس.

وأما ما ذكرت من فعلي، والله لقد ضربت ابن أختها، ولولا ذلك لقتلني. وما ألجأني ذلك منه. ولقد اعتنقني، فقال: اقتلوني ومالكاً. والله

____

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص541 و 542 و (ط الأعلمي) ج3 ص545.

ما يسرني أنه قال: والأشتر، وإن لي حمر النعم. ولولا النزف أدركه لقتلني، ولقد اضطربت تحته، فأفلت.

قال: وكان من أجلد الناس، وأشدها ذراعاً(1).

ونقول:

التزوير في نص ابن عساكر:

إن الحديث الذي أضافته رواية ابن عساكر عن اعتراف الأشتر، بأنه اضطرب تحت عبد الله بن الزبير حين صرعه في الميدان، واعترافه بأن ابن الزبير كان من أجلد الناس وأشدها ذراعاً هو من الترهات التي أضافها الزبيريون من أجل حفظ بعض ماء الوجه لابن الزبير، والتقليل من هيبة الأشتر «رضوان الله تعالى عليه».

ويدل على ما نقول:

أن نفس محبي ابن الزبير قد نقلوا عكس هذه الأقوال، وبينوا سيطرة الأشتر على ابن الزبير، ولولا إفلاته منه، واجتماع الناس حولهما، وصيرورة الأشتر في دائرة الخطر من الأعداء لكان قد قضى عليه، وأراح الناس منه.

ويدل على ذلك أيضاً: نفس ما ذكرته هذه الرواية، من غضب عائشة مما فعله الأشتر بابن أختها هذا، إذ لولا أنه كان يوشك أن يقتله

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج56 ص385 و 386.

لما كانت غاضبة إلى هذا الحد.

جمل الأشتر:

وأما الجمل الذي أرسله الأشتر إلى عائشة، ليكون بديلاً عن جملها، فلم يظهر لنا أنه قد قصد تذكيرها بركوب الجمل في الحرب. بل ظاهر سياق ما جرى أنه كان بصدد تهيئة وسيلة حملها إلى المدينة.. ويدل على ذلك: قوله: «وأخبرها أنه حملان».

وحتى لو كان يريد أن يذكرها بركوبها الجمل، بهدف تجسيد قبح ما فعلته، وجعلها تندم وتلوم نفسها على ذلك، فإن هذا ليس أمراً سيئاً، بل هو حسن ومقبول، إن لم نقل: إنه إحسان لها، لأنه يريد لها أن تصحح نظرتها، وأن تعرف خطأها، لكي تتراجع عنه، وتتوب إلى الله منه..

ملاحظة:

ويلاحظ: أن الجمل «عسكراً» قد اشتري لعائشة بسبع مئة درهم، وإن الأشتر قد اشترى الجمل الذي أهداه لعائشة بدلاً عن «عسكر»، وكان ثمنه سبع مئة درهم أيضاً.

فتبارك الله أحسن الخالقين..

ابن طلحة يعسوب العرب:

وزعمت عائشة: أن يعسوب العرب الذي كان الناس يطيفون به،

ويتحلقون حوله هو محمد بن طلحة.. مع أن الأمر ليس كذلك، فإن محمد بن طلحة لم يكن بهذه المثابة بين العرب. ولم نعرف أنه قد كانت له مكانة تذكر بينهم، أو مقام يميزه عن سائر الناس.

وأين محمد بن طلحة من الحسنين «عليهما السلام».. فضلاً عن علي «عليه السلام»؟! ولماذا وبماذا صار يعسوب العرب دون غيره من رجالاتهم؟!

وبعد، فلا ندري من نصدق!! فإنهم تارة يدَّعون: أن يعسوب العرب أو قريش هو عبد الرحمان بن عتاب..

وعائشة تدعي: أنه ابن أختها محمد بن طلحة. إلا إن كان يعسوب العرب غير يعسوب قريش..

التأسف على محمد بن طلحة:

أخرج الحاكم عن عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم العدل، عن يحي بن أبي طالب، عن بشار بن موسى الخفاف البصري، عن الحاطبي عبد الرحمن بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، قال:

لمّا كان يوم الجمل خرجت أنظر في القتلى.. قال: فقام عليّ، والحسن بن عليّ، وعمّار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، وزيد بن صوحان يدورون في القتلى. قال: فأبصر الحسن بن علي قتيلاً مكبوباً على وجهه، فقلبه على قفاه، ثم صرخ، ثم قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فرخ قريش والله.

فقال [له] أبوه: من هو يا بنيّ؟!

قال: محمد بن طلحة بن عبيد الله.

فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعد كئيباً حزيناً.

فقال له الحسن: يا أبت، قد كنت أنهاك عن هذا المسير، فغلبك على رأيك فلان وفلان.

قال: قد كان ذاك يا بنيّ، ولو وددت أنّي متّ قبل هذا بعشرين سنة.

قال محمد بن حاطب: فقمت فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّا قادمون المدينة والناس سائلونا عن عثمان، فماذا نقول فيه؟!

قال: فتكلّم عمّار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر فقاما وقالا.

فقال لهما عليّ: يا عمّار ويا محمد تقولان: إنّ عثمان استأثر وأساء الأثرة، وعاقبتم والله فأسأتم العقوبة، وستقدمون على حكم عدل يحكم بينكم.

ثمّ قال: يا محمد بن حاطب إذا قدمت المدينة وسُئلت عن عثمان، فقل: كان والله **(مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.. ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)**(1)، وعلى

(1) الآية 93 من سورة المائدة.

الله فليتوكل المؤمنون[1].

ونقول:

في هذا الحديث مواضع عديدة للنظر والمناقشة، نذكر منها ما يلي:

سند الحديث:

لا ريب في ضعف سند هذا الحديث، فقد قال العلامة الأميني ما يلي:

1 - عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم، فقد قال الخطيب والدارقطني: فيه لين[2].

2 - يحيى بن أبي طالب: قال موسى بن هارون: أشهد أنه يكذب عنِّي[3].

---

(1) المستدرك على الصحيحين ج3 ص111 و (بتحقيق يوسف المرعشلي) ج3 ص103 وتخليصه المستدرك للذهبي (بهامشه) والغدير ج9 ص307.

(2) تاريخ بغداد ج9 ص414 وراجع: الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي لابن النجار البغدادي ص115 وسير أعلام النبلاء ج10 ص581 وج15 ص543 وميزان الإعتدال ج2 ص392 ولسان الميزان ج3 ص258 و 259 وتاريخ الإسلام للذهبي ج25 ص422 والجرح والتعديل للرازي ج2 ص417 وتهذيب التهذيب ج1 ص386 .

(3) لسان الميزان ج6 ص262 وراجع: المجموع للنووي ج19 ص345

وقال مسلمة بن قاسم: تكلم فيه الناس(1).

3 - بشّار بن موسى البصري، قال ابن معين(2): ليس بثقة..

وقال: إنّه من الدجّالين(3).

وقال أبو حفص والفلاس: ضعيف الحديث(4).

وقال البخاري(5): منكر الحديث، وقد رأيته وكتبت عنه وتركت حديثه.

والجوهر النقي للمارديني ج2 ص31 و 298 وج3 ص274 وج9 ص110 وعون المعبود ج2 ص324 وفيض القدير ج3 ص278 وج4 ص124 وج6 ص44 وتاريخ بغداد ج14 ص224 وسير أعلام النبلاء ج12 ص620 وميزان الإعتدال ج4 ص387.

(1) لسان الميزان ج6 ص262 والغدير ج9 ص307 عنه.

(2) معرفة الرجال ج1 ص65 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص47 و 48 وسير أعلام النبلاء ج10 ص581 والجرح والتعديل للرازي ج2 ص417 والكامل لابن عدي ج2 ص24 وتهذيب التهذيب ج1 ص386 ولسان الميزان ج7 ص184 وتاريخ الإسلام للذهبي ج16 ص104.

(3) تهذيب التهذيب ج1 ص386 والغدير ج5 ص323.

(4) الغدير ج9 ص308 وتاريخ الإسلام للذهبي ج16 ص105.

(5) التاريخ الكبير ج2 ص130 وتهذيب التهذيب ج1 ص386 والكامل لابن عدي ج2 ص24 وسير أعلام النبلاء ج10 ص582 وتاريخ الإسلام للذهبي ج16 ص105.

وقال أبو داود(1): ضعيف. وقال: أنا لا أحدث عنه.

وقال النسائي(2): ليس بثقة.

وقال أبو زرعة(3): ضعيف.

وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم. وذكر عند الفضل بن سهل، فأساء القول فيه(4).

4 - عبد الرحمن الحاطبي، ضعّفه(5) أبو حاتم الرازي، كما في ميزان الإعتدال للذهبي.

---

(1) كتاب الضعفاء والمتروكين ص63 وتهذيب التهذيب ج1 ص386 وسير أعلام النبلاء ج10 ص581 وتاريخ الإسلام للذهبي ج16 ص104 .

(2) كتاب الضعفاء والمتروكين ص63 وتهذيب التهذيب ج1 ص386 والكامل لابن عدي ج2 ص24 وسير أعلام النبلاء ج10 ص581.

(3) تهذيب التهذيب ج1 ص386 والجرح والتعديل ج2 ص417 وسير أعلام النبلاء ج10 ص581.

(4) تاريخ بغداد ج7 ص119 وتهذيب التهذيب ج1 ص144 و (ط دار الفكر) ص387.

(5) الجرح والتعديل ج5 ص264 وميزان الإعتدال ج2 ص578 ومجمع الزوائد ج2 ص308 وج4 ص72 وج5 ص113 وفيض القدير ج4 ص416 وتعجيل المنفعة لابن حجر ص254 ولسان الميزان ج3 ص422.

ووالده عثمان لم أقف على ثناء عليه في معاجم التراجم[1].

بصيرة علي ×:

1 - إن علياً «عليه السلام» لم يكن شاكاً فيما يقدم عليه، بل كان على بصيرة من أمره، وقد عهد إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وأخبر «صلى الله عليه وآله» عائشة بمسيرها لحربه، وبأن مسيرها لا يرضاه الله، وبنباح كلاب الحوأب لها، وركوبها الجمل (عسكراً) وبغير ذلك من أمور، وأخبر «صلى الله عليه وآله» الزبير بأنه يحارب علياً «عليه السلام»، ظالماً له..

2 - كأن الرواية تريد أن توحي للناس: بأن علياً «عليه السلام» هو المبادر للعدوان، مع أنهم هم الذين خرجوا عليه، وجمعوا الجيوش، وقتلوا شيعته وطردوا عامله، وانتهبوا بيوت الأموال وما إلى ذلك قبل أن يصل إليهم..

3 - وقد تحدثنا في فصل: «أحداث جرت في الربذة» عما يزعم من جرأة أبداها الإمام الحسن على أبيه «عليهما السلام»..

وقلنا: إنه «عليه السلام» مطهر بنص القرآن عن مثل هذه الهفوات، وعن أن ينهى أباه عما أمره به الله ورسوله. فراجع ما

---

(1) الغدير ج9 ص307 و 308.

ذكرناه هناك.

4 - إن علياً «عليه السلام» لا يندم على ما قام به امتثالاً لأمر الله سبحانه، وأمر رسوله «صلى الله عليه وآله»، واقتلاع جذور الفساد.

5 - إنه «صلى الله عليه وآله» كان يوصي الناس بنصرة علي «عليه السلام» ويقول لهم: «سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، حق على الله تعالى جهادهم. فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه. ليس وراء ذلك شيء»[(1)].

وعن أبي أيوب الأنصاري: «عهد إلينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن نقاتل مع علي الناكثين، فقد قاتلناهم إلخ..» ونحوه

---

(1) راجع: المعجم الكبير ج1 ص321 ومجمع الزوائد ج9 ص134 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص613 وج15 ص102 و (ط حيدرآباد) ج12 ص212 عنه، وعن ابن مردويه، وأبي نعيم. وراجع: المراجعات ص253 وخصائص الوحي المبين ص72 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص335 وج20 ص13 و 15 وج22 ص448 عن نزول القرآن في أمير المؤمنين، لأبي نعيم الإصبهاني (مخطوط)، وعن ينابيع المودة (ط إسلامبول) ص253 وعن مفتاح النجا (مخطوط) ص67 وعن أرجح المطالب (ط لاهور) ص600 وعن الأمالي للشجري (ط القاهرة) ص137 وعن كتاب آل محمد للمردي الحنفي (نسخة مكتبة السيد الأشكوري) ص558.

غيره[1].

وكذا روي عن أبي سعيد الخدري، وعمار[2].

6 ـ إن محمد بن طلحة إنما جاء ليفسد في الأرض، وقد نكث بيعته، وسعى في قتل إمامه المفترض الطاعة، وسعى في الفتنة. وكان على رجالة الجيش وفعل الأفاعيل، فما معنى ندم الإمام على قتله، وبكائه للمصير الذي انتهى إليه؟!

7 ـ هل ينسجم اعتبار أمير المؤمنين «عليه السلام» عثمان مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا.. مع

---

(1) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج1 ص369 والبداية والنهاية ج7 ص339 و 306 وكنز العمال ج11 ص352 وتاريخ بغداد ج13 ص187 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص53 و 54 وسير أعلام النبلاء ج2 ص410 وكفاية الطالب ص169 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص307 وعن ابن حبان، والطبري، والحاكم، والإستيعاب ج3 ص53 وبحار الأنوار ج32 ص308 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص61 عن منتخب كنز العمال (المطبوع بهامش المسند ـ ط الميمنية بمصر) ج5 ص451.

(2) كفاية الطالب ج173 والبداية والنهاية ج7 ص339 ومسند أبي يعلى ج3 ص194 وعلل الشرائع ج1 ص223 والفصول المختارة ص231 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص456 والكامل لابن عدي ج2 ص146 وميزان الإعتدال ج1 ص410.

قوله عنه في نفس اللحظة: إنه استأثر فأساء الإثرة؟! وهل ينسجم هذا مع ما تقدم من أمور صدرت عنه في حق: أبي ذر، وابن مسعود، وعمار بن ياسر وغيرهم.. ومع سائر ما نقمه الناس عليه، واستحلوا قتله من أجله..

8 ـ ما معنى سؤال محمد بن حاطب علياً «عليه السلام» عما يقوله للناس إذا رجع إلى المدينة، وسألوه عن عثمان؟!

ألم يكونوا قد سألوا عن عثمان إلى تلك الساعة؟!

ألم يروا عامة الصحابة وكبارهم يعترضون أو يحرضون على عثمان؟!

ألم يسمعوا عائشة وطلحة والزبير، وغيرهم، وهم يأمرون بقتله، ويحثون الناس على القيام ضده؟!

ألم يروا علياً «عليه السلام» وهو يوصل إليه الماء في خضمِّ ثورة الناس عليه، ومحاصرتهم له؟!

وألم يروا ولديه الحسن والحسين «عليهما السلام»، وهما يحاولان دفع القتل عنه؟!

وهل بقي أحد في المدينة ـ غير مجموعة صغيرة من المنتفعين ـ لم يشارك في الثورة على عثمان.. ولم يعرف الراضي بقتله ولم يميزه عن الساخط له؟!

ولماذا لا يسألهم الراضي بقتله عن حال عائشة، وطلحة والزبير

وسائر الناكثين؟!

وهل بقي في المدينة أحد لم يخرج لينصر علياً «عليه السلام» على الناكثين إلا أقل القليل من المسنين والعجزة؟!

نعم.. من يسأل؟! من؟!

أهوى أخيك معنا؟!:

ومن كلام له «عليه السلام»، لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال له «عليه السلام»: أهوى أخيك معنا؟!

فقال: نعم.

قال: فقد شهدنا. ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال، وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان[1].

ونقول:

1 - لقد أرسى «عليه السلام» بكلامه هذا قاعدة مهمة في التأكيد على تأثير البنية العقائدية والإيمانية على تشكيل العناصر المكونة للمرتكزات التي تقوم عليها البنية العامة في المجتمع البشري، ولها

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص44 الخطبة رقم 12 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص247.

أثرها في بلورة السبل لتلمس الرابط الأعمق بين مكونات المجتمعات الإنسانية وامتداداتها في أعماق الزمن، وربط حاضره بمستقبله وبماضيه، ربطاً إنسانياً وإيمانياً حقيقياً، يبلغ حد التمازج العيني الذي يمكن تلمس معناه ومبناه بصورة حسية مباشرة..

وعلى هذا الأساس نستطيع فهم قوله «عليه السلام» عن ذلك الرجل الذي كان غائباً عن حرب الجمل: فقد شهدنا.. ولم يقل: فله ثواب من شهدنا.

ثم قوله «عليه السلام» عن أقوام في أصلاب الرجال، وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان: إنهم قد شهدوا حرب الجمل أيضاً. ولم يعطهم الثواب على محبتهم ونيتهم الصالحة..

2 ـ وبذلك يكون «عليه السلام» قد ألغى خصوصية الزمان والمكان، وزاوج، بل مازج بين الغيب والشهود، وبين الماضي والحاضر والمستقبل، وبين المعنى الحسي، والمعنى الإدراكي، وبين الإيمان والإعتقاد، والحركة والممارسة، ليعطي للإنسانية في كل نشآتها، ومراحل وجودها. وفي جميع الأدوار، والأعصار معنى واحداً، ووحدة وجودية تتكامل فيما بينها، لتنتج من ثم الإنسان الكامل والمتكامل في خصوصياته وميزاته عبر الأجيال والأحقاب..

3 ـ وما أروع التعبير الوارد: «سيرعف بهم الزمان» المتضمن لإلماحة لطيفة إلى أن هؤلاء هم العصارة، والصفوة، التي تجمعت فيها كل عناصر الخير والفلاح والصلاح، لتمثل خلاصة جهد

الأنبياء، وطهر دماء الشهداء، ومنازل الكرامة والطهر المترشحة من تضحيات الأبرار والأخيار والأتقياء.

الفتن تؤذن بالعدل!!:

و [أيضاً] أنشأ [الوليد] لما ظفر علي أمير المؤمنين «عليه السلام»:

ألا أيـــهـــا الناس عندي الـــخبر بـــأن الزبيـــر أخـــاكم غـــدر
وطلحة أيضا حـــذا فـعلـــــه ويـعــلـــى بـــن منـــية فـيمن نفر

فأنشأ أمير المؤمنين «عليه السلام» أبياتاً منها:

فـــتـــن تـــحل بهم وهن شوارع تسـقى أواخرهـا بكـأس الأول
فتن إذا نـــزلـــت بـــساحة أمـة أذنت بعـــدل بـــينهم متنفل(1)

ونقول:

1 - قد يقال: إن هذا الشعر يدل: على أن علياً «عليه السلام» يرى أن حرب الجمل من الفتن، وهذا ينقض ما ذكر آنفاً، من أنه كيف تكون فتنة وعلي «عليه السلام» أميرها وقائدها..

ونجيب:

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص118 ومناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج2 ص335 و (ط المطبعة العلمية بقم) ج2 ص149 تحت عنوان: ما ظهر منه «عليه السلام» في حرب الجمل.

بأنه «عليه السلام» يجري كلامه هنا على إرادة معنى آخر للفتنة، وهو أنها القتال بين أهل الدين الواحد. فإن كل قتال بين إخوة مهما كانت أسبابه، يطلق الناس عليه كلمة فتنة..

أما الفتنة التي نفاها علي «عليه السلام» عن حروبه، فهي ما كان الحق فيه ملتبساً ومشتبهاً بالباطل.. ومع قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: علي مع القرآن والقرآن مع علي «عليه السلام»، أو علي مع الحق، والحق مع علي، يصبح الحق معروفاً، فلا يتحقق هذا المعنى للفتنة..

2 ـ قد يكون «عليه السلام» بصدد الإشارة إلى أن القتال لأجل إقامة العدل، ومنع الظالمين من تحقيق مآربهم، يحمل معه تباشير العدل وإرهاصاته؛ إذ لو ترك الباطل يسرح ويمرح، ولا يعترض عليه معترض، فهناك المصيبة الكبرى، والكارثة العظمى.

فلا ينبغي التقليل من أهمية هذا القتال، وإنكار قيمته. ولعل هذا هو ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله:

فـتـن إذا نزلت بساحة أمـة أذنت بعدل بيـنـهـم متنفـل

ابن بديل يناشد عائشة:

عن ابن أبزى، قال:

«انتهى عبد الله بن بديل إلى عائشة وهي في الهودج، فقال: يا أم المؤمنين، أنشدك بالله، أتعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان فقلت لك: إن

عثمان قد قتل فما تأمرينني [به]، فقلت لي: الزم علياً، فوالله ما غير ولا بدل؟!

فسكتت، ثم أعاد عليها، فسكتت ثلاث مرات.

فقال: اعقروا الجمل فعقروه»[1].

ونقول:

هنا أمور يحسن لفت نظر القارئ إليها، وهي:

1 ـ قد يقال: إن عائشة لم تكن حين قتل عثمان في المدينة ليأتيها عبد الله بن بديل ويقول لها ذلك، بل كانت في مكة. ولم تأت إلى المدينة منذ ذلك الحين إلى ما بعد حرب الجمل..

ويجاب:

بأنه لم يقصد أنه أتاها وهي في المدينة، إذ ربما كان عبد الله بن بديل أيضاً في مكة حينئذ.

2 ـ قد يقال: إن عائشة قد أعلنت سخطها إمارة علي «عليه السلام» فور معرفتها بالبيعة له، فكيف تأمر ابن بديل بلزوم علي، مع ظهور بغضها له، وكيف تشهد له هذه الشهادة؟!

ويجاب:

أولاً: قد كانت هناك مهلة فصلت بين معرفتها بقتل عثمان وبلوغ

---

(1) العقد الفريد ج4 ص328 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص23 و 24 وشرح إحقاق الحق (ملحقات) ج32 ص509.

خبر البيعة لعلي «عليه السلام» إليها..

ويشهد لذلك: أن علياً «عليه السلام» لم يرض بالبيعة له في بادئ

الأمر، وبقي الناس أياماً عديدة بلا إمام، قيل: ثمانية أيام، بل قيل: أكثر من ذلك كما تقدم..

وكان من الطبيعي: أن يتناقل الناس خبر مقتل عثمان فور حصوله.. وأن تتأخر أخبار البيعة إلى علي «عليه السلام» إلى ما بعد حصولها..

ثانياً: إن عائشة كانت تعرف من هو ابن بديل، وما هي ميوله، ولكنها لم تكن تتوقع أن يبايع الناس علياً «عليه السلام»، لأن المفروض ـ عندها ـ أن تكون البيعة لطلحة، لأنه هو القائم بأمر قتل عثمان، والمحاصر والمهاجم له، ولذلك قالت حين بلغها مقتل عثمان: إيها ذا الإصبع.. فلا يضيرها أن تأمر ابن بديل بلزوم علي، لعلمها بأنه إذا تمت البيعة لطلحة، فلن يتجرأ أحد على التخلف عنها.. ولأنها تريد أن تفتح أعين الناس على مناوأة طلحة، وإضعاف أمره.

3 ـ لقد أحرج ابن بديل أم المؤمنين، فهي إن اعترفت له بما قالته له تكون قد نقضت أمرها كله، وأفسدت ما دبرته..

وإن أنكرت قوله.. فإنه سيتهمها بالكذب، والجرأة على الله.

ومن شأن هذا: أن يخل بمقامها، وأن يفسد مكانتها في القلوب..

فلا يبقى هناك وثوق واعتماد على أقوالها لدى شريحة كبيرة من الناس، فكان سكوتها هو الخيار الذي لا محيص لها عنه رغم مرارته البالغة..

تزويرات الذهبي:

قال الذهبي: «وسار طلحة والزبير وعائشة نحو البصرة، طالبين بدم عثمان، من غير أمر علي بن أبي طالب، فساق وراءهم، وكانت وقعة الجمل، أثارها سفهاء الفريقين»(1).

ونقول:

كأن الذهبي يريد أن يوهم القارئ: بأن الناكثين كانوا قد رصدوا قتلة عثمان في موضع من البصرة، فذهبوا إليهم للقبض عليهم، وليأخذوا منهم بثأر عثمان..

وقد فعلوا ذلك من دون أن يستأذنوا علياً «عليه السلام».. فانزعج علي «عليه السلام» فسار في طلبهم.. فلما تواقفوا أثار سفهاء الفريقين الحرب، فكانت وقعة الجمل، من دون قصد من زعماء الفريقين.. وبذلك يكون قد برأ الناكثين من النكث، وأدان علياً لتسببه بما جرى، وانسياقه مع أهواء السفهاء.

هكذا بكل بساطة.. من دون أن يسأل الذهبي نفسه.. عن من خوَّل

---

(1) العبر في خبر من غبر ص27.

هؤلاء الثلاثة بأن يطلبوا بدم عثمان دون سائر الناس..

مع العلم: بأن الناكثين قد وصلوا إلى البصرة قبل علي «عليه السلام» بأيام كثيرة، فهل أخذوا بثأر عثمان في تلك الأيام؟! أم انتظروا مجيء علي «عليه السلام»؟!

وكيف جاز لغير الخليفة أن يجمع ثلاثين أو أربعين أو مئة وعشرين ألف مقاتل، ويسير بهم في البلاد من دون إذن الحاكم، ومن دون أمره؟!

وأليست عائشة قد أمرت بقتل عثمان، وطلحة قاد الهجوم عليه حين قتل، وكان الزبير من المحرضين؟!

وإذا أثار السفهاء الحرب، فلماذا لم يضرب العقلاء على أيديهم؟!

وإذا كان العقلاء بهذا المستوى من الضعف، فكيف يتصدون لقيادة البلاد والعباد؟!

وإذا انفلت الزمام بسبب السفهاء، فلماذا بلغت الخسائر عشرين أو ثلاثين، أو ثلاثة وثلاثين، أو أربعين ألف قتيل، فضلاً عن الجرحى الذين يعدون بعشرات الألوف أيضاً؟!

وهل كان جميع القتلى والجرحى سفهاء؟!

وإن كان فيهم عقلاء، فلماذا شارك العقلاء في القتال؟!

إلى غير ذلك من الأسئلة الكبيرة التي لا تكاد تحصر..

الفصل الثاني:

من صفيراء.. إلى حميراء..

إحراق الجمل:

ذكرنا في فصل: «عقر الجمل» ما رواه المعتزلي، من أن علياً «عليه السلام» أمر بالجمل أن يحرق، ثم يذرى رماده في الريح، وقال: «عليه السلام»:

«لعنه الله من دابة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل. ثم تلا قوله تعالى: **(وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا)**[1]»[2].

ونقول:

لقد كان لا بد من الأمر بإحراق الجمل «عسكر»، بعد أن أصبح بمثابة الصنم لأولئك القوم، وكان الناس يتهافتون على الموت من

---

(1) الآية 97 من سورة طه.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص265 و266.

حوله، حتى غرق بدماء القتلى، وبلغ عدد القتلى عشرات الألوف، وكان بنو ضبة والأزد يشمون بعره، ويشيعون فيما بينهم: أنه كالمسك والعنبر(1).

وقد صار هذا الجمل كعجل بني إسرائيل، الذي كان يُعبد من دون الله سبحانه، وقد تجلت خطورة الأمر حين قال لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: «اعقروه وإلا فنيت العرب».

ولم يكن عقره كافياً، بل كان لا بد من إزالته من الوجود بصورة تامة ونهائية، بحيث لا يبقى له أي أثر، فكان إحراقه، وجعل رماده في مهب الريح لكي تذروه في كل اتجاه هو الخيار الذي لا خيار سواه..

وليكن هذا أيضاً من موارد ظهور مصداقٍ بارز وهام جداً من مصاديق ما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمته، من أنهم سيركبون سنن من كان قبلهم حذو القذة بالقذة، ومطابق النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوا فيه(2).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص522 و (ط أخرى) ج5 ص212 و (ط الأعلمي) ج3 ص530 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص481 والغدير ج9 ص370 والكامل في التاريخ ج3 ص97 و (ط دار صادر) ج3 ص247 وإمتاع الأسماع ج13 ص245.

(2) راجع: مسند أحمد (ط دار صادر) ج2 ص325 و 511 وج3 ص84 و 89 وسنن ابن ماجة ج2 ص1322 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج4

بل إن تفحص النصوص يعطي: أن حرب الجمل برمتها هي من دلائل إمامته «عليه السلام»، وأنها تتطابق بصورة عجيبة وغريبة مع أحداث جرت في تلك الأمم، كما أخبر الله تعالى ورسوله، وصدق الله ورسوله..

ولبيان هذا الأمر، لا بدمن استعادة بعض ما ذكرناه في كتاب: «الإمام علي «عليه السلام» والنبي يوشع» ويمكن أن نعرضه هنا

ص144 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص170 وج15 ص235 وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج8 ص57 و (ط دار الكتب العلمية) ج16 ص189 وصحيح ابن حبان (ط دار الفكر) ج6 ص192 و (ط مؤسسة الرسالة) ج15 ص95 والمستدرك للحاكم ج4 ص455 ومجمع الزوائد ج7 ص261 والدرر لابن عبد البر ص225 والجامع الصغير ج2 ص401 وكنز العمال ج11 ص134 والدر المنثور (ط دار الفكر) ج7 ص466 وجامع البيان (ط المعرفة) ج10 ص121 والجامع لأحكام القرآن (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص200 وتفسير القرآن العظيم (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص152 وجامع المسانيد والمراسيل (ط دار الفكر) ج6 ص23 وج8 ص179 واللؤلؤ والمرجان (ط دار الفكر) ج1 ص827 والفتح الكبير (ط دار الفكر) ج3 ص8 و 334 والمصنف للصنعاني (ط دار الفكر) ج11 ص369 وراجع: كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص163 والإفصاح للمفيد ص50 والتعجب للكراجكي ص88 والطرائف لابن طاووس ص380 وبحار الأنوار ج31 ص144 و ج53 ص140.

على النحو التالي.

صفيراء.. وحميراء:

إننا تعقيباً على ما ذكر آنفاً، نذكر هنا الروايات التالية:

1 - روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال:

«ما جرى في أمم الأنبياء قبلي شيء إلا ويجري في أمتي مثله». وذكر خروج الصفراء بنت شعيب على يوشع وصي موسى، ثم قال «صلى الله عليه وآله» لأزواجه: «وإن منكن من تخرج على وصيي، وهي ظالمة.

ثم قال: يا حميراء، لا تكونيها».

فأخبر بذلك قبل كونه، وكان معجزاً له «صلى الله عليه وآله»**(1)**.

2 - روى القطان عن السكري، عن الجوهري، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن الصادق عن آبائه «عليهم السلام»: قال:

« إن يوشع بن نون قام بالأمر بعد موسى «عليه السلام»، صابراً من الطواغيت على اللأواء والضراء، والجهد والبلاء. حتى مضى منهم ثلاثة طواغيت، فقوي بعدهم أمره، فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى بصفراء بنت شعيب، امرأة موسى في مائة ألف رجل، فقاتلوا يوشع بن نون، فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وهزم

---

(1) الخرائج والجرائح ج2 ص934 وإثبات الهداة ج2 ص127 ح540.

الباقين بإذن الله تعالى ذكره، وأسر صفراء بنت شعيب، وقال لها: قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن نلقى نبي الله موسى، فأشكو ما لقيت منك ومن قومك.

فقالت صفراء: وا ويلاه، والله لو أبيحت لي الجنة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه، وخرجت على وصيه بعده.

فاستتر الأئمة بعد يوشع إلى زمان داود «عليه السلام» أربعمائة سنة، وكانوا أحد عشر.

وكان قوم كل واحد منهم يختلفون إليه في وقته، ويأخذون عنه معالم دينهم، حتى انتهى الأمر إلى آخرهم، فغاب عنهم، ثم ظهر الخ..(1).

3 ـ جاء في حديث رواه علي بن أحمد الدقاق، عن حمزة بن القاسم، عن علي بن الجنيد الرازي، عن أبي عوانة، عن الحسين بن علي، عن عبد الرزاق، عن أبيه، عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله:

(1) بحار الأنوار ج13 ص366 و 445 وكمال الدين ج1 ص154 والأمالي للصدوق ص140 وقصص الأنبياء للراوندي ص179 وقصص الأنبياء للجزائري ص309 و (منشورات الشريف الرضي ـ قم ـ إيران) ص350 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص327 وإلزام الناصب ج1 ص252.

«وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوج موسى، فقالت: أنا أحق بالأمر منك.

فقاتلها، فقتل مقاتلتها، وأسرها فأحسن أسرها.

وإن ابنة أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفاً من أمتي، فيقاتلها فيقتل مقاتلتها، ويأسرها فيحسن أسرها.

وفيها أنزل الله تعالى: **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)**(1). يعني: صفراء بنت شعيب(2).

أي لا تبرجن كتبرج صفراء بنت شعيب في الجاهلية الأولى.

4 - بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمد العطار، عن ابن أبان، عن ابن أرومة، بإسناده إلى أبي جعفر «عليه السلام» قال: إن امرأة موسى «عليه السلام» خرجت على يوشع بن نون راكبة زرافة، فكان لها أول النهار وله آخر النهار، فظفر بها، فأشار عليه بعض من حضره بما لا ينبغي فيها.

فقال : أبعد مضاجعة موسى لها؟!! ولكن أحفظه فيها(3).

---

(1) الآية 33 من سورة الأحزاب.

(2) كمال الدين وتمام النعمة ص27 وبحار الأنوار ج13 ص367 و 368 وج22 ص512 عنه، وج32 ص280 و 281 عن الخصال، وبشارة المصطفى للطبري ص428 و 429 .

(3) بحار الأنوار ج13 ص369 وج32 ص280 و 281 وقصص الأنبياء

5 ـ جاء في حديث طويل يذكر ما جرى في دفن الإمام الحسن «عليه السلام» وأن عائشة ركبت البغلة، وجاءت لمنعهم من دفن الإمام عند جده «صلى الله عليه وآله» ما يلي:

فقال عبد الله بن العباس: كم لنا منكم يا حميراء، يوم على جمل ويوم على زرافة؟!

فقالت: يا ابن العباس، ليس قتالي لعلي بعجيب، وقد رويتم أن صفراء ابنة شعيب، زوجة موسى بن عمران «عليه السلام» قاتلت بعده وصيه يوشع بن نون على زارفة.

فقال لها ابن العباس: هي والله صفراء وأنت حميراء، إلا إنها بنت شعيب، وأنت بنت عتيق بن عبد العزى.

قالت: إن لنا عندك يا ابن العباس ثاراً بثأر، والمعاد لا تقول به.

فقال لها ابن عباس: والله، أنت، ومن أنت منه، وحزبكم الضالون. فكان هذا من دلائله[1].

وبعدما تقدم نقول:

قد ذكرت هذه الروايات أموراً إذا قارناها بما جرى لعلي «عليه السلام» في حربه مع الناكثين، فإننا نرى العجب.

للراوندي ص179 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص328 وراجع: نفس الرحمن للنوري ص249.

(1) الهداية الكبرى للخصيبي 187.

وللتوضيح نقول:

قيل: إن بنت شعيب زوجة موسى «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام» قد حاربت يوشع بن نون بعد وفاة موسى «عليه السلام»، وكان يوشع على نبينا وعلى آله وعليه الصلاة والسلام نبياً، كما كان وصياً لموسى أيضاً.

وقيل: إن اسمها «صفوراء».

وقيل: اسمها صفراء، وصفورة، أو صفورياء.

وقيل: إن اسم الكبرى من بنات شعيب صفراء، واسم الصغرى صفيراء(1).

مناقشة لا بد منها:

وقالوا لا تصح الرواية التي تقول:

إن صفراء بنت شعيب كانت إحدى النساء الأربع، اللاتي دخلن على خديجة عند ولادة فاطمة «عليها السلام»، والثانية كانت مريم، والثالثة آسية بنت مزاحم، وسارة كانت الرابعة(2).

---

(1) راجع: مستدرك سفينة البحار ج6 ص296 وتفسير البغوي ج3 ص442 وتفسير النسفي ج3 ص233 وتفسير أبي السعود ج7 ص9 وبحار الأنوار ج13 ص21 وتفسير مجمع البيان ج7 ص430.

(2) العدد القوية ص223 وبحار الأنوار ج16 ص80 عنه، ومستدرك سفينة البحار ج6 ص296 والدر النظيم ص454 .

لأن صفراء حاربت يوشع النبي والوصي، ومن الواضح: أن التي حاربت نبياً ووصي نبي، وكانت زوجة نبي، لا يمكن أن تكون في مصاف مريم، وآسية، وسارة. وتدخل معهن على خديجة عند ولادة فاطمة الزهراء «عليها السلام»..

ولذلك قالوا: إن الصحيح هو ما ذكره الصدوق في أماليه، من أن التي حضرت خديجة هي كلثم أخت موسى[1] «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام».

غير أننا نقول:

إن ظواهر الأمور تعطي: أن صفراء بنت شعيب كانت امرأة صالحة، وهو ما دلت عليه الرواية المتقدمة، المصرحة بحضورها عند خديجة حين ولادتها..

وهذا يؤيد ويرجِّح القول: بأن التي خرجت على يوشع «عليه

---

(1) بحار الأنوار ج6 ص247 وج43 ص3 عن أمالي الصدوق ص691 وعن مصباح الأنوار.

وراجع: روضة الواعظين ص144 والثاقب في المناقب ص286 والخرائج والجرائح ج2 ص525 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص118 و 119 وذخائر العقبى للطبري ص45 والأنوار البهية ص56 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص296 وينابيع المودة ج2 ص135 والإيقاظ من الهجعة للحر العاملي ص152 وغاية المرام للسيد هاشم البحراني ج2 ص210.

السلام» هي امرأة أخرى كانت زوجة لنبي الله موسى «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام».

وقد قال البياضي: «كان وصي موسى يوشع بن نون، فخرجت عليه صافورا، وهي غير صفراء بنت شعيب امرأة موسى»(1).

ويؤيد ذلك: أن الآيات القرآنية قد أعطت عن بنت شعيب انطباعاً حسناً رضياً، حيث دلت على كمال عقلها، وحسن أدبها، وبالغ حيائها، وعلى أنها تملك مواصفات المرأة الصالحة، والمتزنة، العامر قلبها بالحكمة. وتشير بالصلاح وبالخير، وتحب الصالحين..

ولها من الحياء حجاب سابغ، فراجع وتأمل الآيات التي عرضت لما جرى في موضوع زواج موسى بها(2).

وبعد هذا التوضيح نعود إلى متابعة الحديث عما نحن بصدده، فنقول:

1 ـ صفيراء زوجة نبي:

كانت صفراء أو صفيراء زوجة نبي من أولي العزم، وهو موسى «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام»، كما أظهرت الأحاديث التي ذكرناها أول هذا الفصل..

وكانت حميراء هي الأخرى زوجة نبي من أولي العزم، بل هو

---

(1) الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي ج2 ص45.

(2) سورة القصص الآية 26 فما بعدها.

أفضل الأنبياء، وأكرمهم على الله تبارك وتعالى..

2 ـ صفيراء حاربت وصي نبي:

وقد حاربت صفيراء وصياً من أوصياء الأنبياء، وهو النبي يوشع وكان لهذا الوصي مقام أعظم من كونه مجرد وصي، حيث كان نبياً يوحى إليه، كما تقدم.

وحاربت حميراء ـ وهي عائشة ـ سيد الوصيين، وهو أفضل من وصي موسى، بل هو أفضل من الأنبياء، باستثناء نبينا محمد «صلى الله عليه وآله»، كما دل عليه قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه»[1]. وروايات أخرى تجدها في كتاب الكافي، وبصائر الدرجات وغيرهما.

---

(1) كشف الغمة ج2 ص100 عن صاحب كتاب الفردوس، واللمعة البيضاء للتبريزي ص96 وبيت الأحزان ص24 وتفسير القمي ج2 ص338 وحياة الإمام الحسن للقرشي ج1 ص15 و 321 وتلخيص الشافي ج2 ص277 والأنوار القدسية للأصفهاني ص36 عن المحجة البيضاء ج4 ص200 ووسائل الشيعة ج20 ص74 وج14 ص49 ودلائل الإمامة ص80 وعلل الشرائع ج2 ص178 وأمالي الصدوق ص474 ونوادر المعجزات ج6 ص84 وتفضيل أمير المؤمنين «عليه السلام» للشيخ المفيد ص32 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص290 والفصول المهمة للحر العاملي ج1 ص408 وج3 ص411 وبحار الأنوار ج8 ص6 وج43 ص10 و 107 وشهادة النبي «صلى الله عليه وآله» للشيخ محمود شريفي ص140 وإعلام الورى ج1

3 ـ يوشع وصي لزوج صفيراء:

إن الذي حاربت صفيراء وصيه كان نبياً من أولي العزم وزوجاً لصفيراء نفسها، كما ذكرته الأحاديث المتقدمة، وحميراء أيضاً قد حاربت وصي نبي من أولي العزم ـ بل هو أفضل المخلوقات، وأعظمهم شأناً ومقاماً عند الله تعالى ـ كان زوجاً لها أيضاً.

ص290 وتسلية المجالس وزينة المجالس ج1 ص547 ونور البراهين للجزائري ج1 ص315 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص126 و 288 والإمام علي للهمداني ص126 و 334 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج1 ص241 والحدائق الناضرة ج23 ص108 وتهذيب الأحكام ج7 ص470 ح90 وص475 ح116 ومن لا يحضره الفقيه ج3 ص393 والكافي ج1 ص461 وعيون أخبار الرضا ج2 ص203 و (ط أخرى) ج1 ص225 والخصال ص414 والمحتضر ص133 و136 وبشارة المصطفى ص328 وإحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص1 ـ 2 وج17 ص35 ج19 ص117 عن المصادر التالية:

مودة القربى للهمداني (ط لاهور) ص18 و57 وأهل البيت لتوفيق أبي علم ص139 ومقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ص95 و (ط أخرى) ج1 ص66 والفردوس ج3 ص373 و513 والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي، وكنوز الحقائق للمناوي (ط بولاق ـ مصر) ص133 وينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي ج2 ص80 و 244 و 286. لكن أكثر مصادر أهل السنة اقتصرت على عبارة: «لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ..» ولم تذكر كلمة: «آدم فمن دونه..».

4 ـ كان مع صفيراء رجلان:

كان مع صفيراء رجلان من منافقي بني إسرائيل، وهما اللذان خرجا بها لحرب يوشع.

وكان مع حميراء أيضاً رجلان خرجا بها لحرب الوصي، وهما طلحة والزبير.

5 ـ هتك حجاب الرسول:

اعترفت صفيراء بأنها هتكت حجاب رسول الله موسى «على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام»، حين خرجت على وصيه. كما في الحديث المتقدم.

كذلك الحال بالنسبة لحميراء، فإنها هتكت حجاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخروجها على وصيه علي «عليه السلام».

حتى إن علياً «عليه السلام» قال لطلحة: يا طلحة، معكما نساؤكما؟!

قال: لا.

قال: عمدتما إلى امرأة، موضعها في كتاب الله القعود في بيتها، فأبرزتماها، وصنتما حلائلكما في الخيام والحجال؟

ما أنصفتما رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أنفسكم، حيث أجلستما نساءكما في البيوت، وأخرجتما زوجة رسول الله «صلى الله

عليه وآله»، وقد أمر الله أن لا يكلمن إلا من وراء حجاب(1).

6 ـ تبرج الجاهلية الأولى:

وكما تبرجت صفيراء حين خرجت على يوشع، كما تقدم في الحديث رقم [3]. بمعنى: أنها ظهرت للناس كظهور البروج للناس(2). وقد أكد هذا الظهور أنها ركبت زرافة في تلك الحرب.

فإن حميراء قد تبرجت أيضاً تبرج الجاهلية الأولى، حيث ظهرت كظهور البروج للناس، حين خرجت إلى الحرب راكبة جملاً.

وربما يمكن أن يؤيد ذلك بما كتبه الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكة، فقد قال:

«أما بعد.. فإنك ظعينة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد أمرك أن تقري في بيتك، فإن فعلت فهو خير لك، وإن أبيت إلا أن

---

(1) كتاب سليم بن قيس ج2 ص798 و 799 و 800 و (الطبعة المختصرة ـ مجلد واحد) ص327 ـ 329 وبحار الأنوار ج32 ص216 و 217 وص196 و 197 عن سليم بن قيس، وعن الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ص24 و 25 وعن الإحتجاج. وراجع: الإحتجاج ج1 ص237 ورواه في الكافئة عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي «عليهما السلام».

(2) راجع: تفسير الميزان، في تفسير آية: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الآية 33 من سورة الأحزاب].

تأخذي منسأتك[1]، وتلقي جلبابك، وتبدي للناس شعيراتك، قاتلتك حتى أردك إلى بيتك، والموضع الذي يرضاه لك ربك»[2].

7 ـ عدد جيش صفيراء:

ثم إن عدد جيش صفيراء في حرب يوشع كان مائة ألف، كما في الحديث المتقدم رقم [2].

لكن حديث: أن سليم بن قيس يقول: إن عدد الجيش الذي جاءت به حميراء لحرب علي «عليه السلام» كان أزيد من مائة ألف وعشرين ألفاً[3].

8 ـ ما أشبه الجمل بالزرافة:

واللافت أيضاً: أن صفيراء قد ركبت في حربها ليوشع على زرافة. كما تقدم في الحديث رقم [4 و 5].. وهذه حميراء قد ركبت

---

(1) المنسأة: العصا. وأخذ المنسأة كناية عن اعتزام السير.

(2) الجمل لابن شدقم ص30 وبحار الأنوار ج32 ص138 والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص432 ومواقف الشيعة ج2 ص32 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص225 وعائشة والسياسة لسعيد الأفغاني ص112.

(3) سليم بن قيس (ط1) ص168 و (بتحقيق الأنصاري) ص325 وبحار الأنوار ج32 ص215 و 350 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص250 وراجع: الأمالي للطوسي ص11 والأمالي للمفيد ص236.

في حربها علياً على جمل، حتى لقد سميت تلك الحرب بحرب الجمل.

9 ـ أول النهار لصفيراء:

وتقدم في الحديث رقم [5]: أنه كان لصفيراء في حربها ليوشع أول النهار وكان آخره ليوشع «عليه السلام».

وكذلك كان حال عائشة، فقد كان لها في حرب الجمل الغلبة في البداية، ثم كانت الغلبة لعلي «عليه السلام»، فقد قالوا: «ثم حمي القتال، وزاد شدة، حتى رجعت ميمنة الكوفة إلى القلب، ولزقت ميمنة البصرة بقلبهم. ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبهم، وإن كانوا إلى جنبهم الخ.. وجعلت عائشة تشجع الناس وتثني على حميتهم».

ثم تذكر النصوص: ثبات الفريقين حتى «كره القوم بعضهم بعضاً»(1).

وقالوا: «ازدلفت مضر البصرة فقصفت مضر الكوفة، حتى زوحم علي نفسه»(2).

وقالوا: «رأى علي أن يمن البصرة هزمت يمن الكوفة، وأن

---

(1) راجع على سبيل المثال: عائشة والسياسة لسعيد الأفغاني ص194 ـ 280 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج3 ص525 والفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي ص161.

(2) عائشة والسياسة لسعيد الأفغاني ص192.

ربيعة البصرة هزمت ربيعة الكوفة، فزحف بمضر الكوفة الخ..»(1).

10 ـ مقتلة عظيمة في جيش صفيراء:

وكما قتل يوشع بن نون من جيش صفيراء مقتلة عظيمة. كما في الحديث المتقدم رقم [2]. كذلك علي «عليه السلام»، فإنه قتل من جيش عائشة مقتلة عظيمة أيضاً، حيث روي عن علي «عليه السلام»: أنه لما بلغه خروج عائشة قال: «قد ـ والله ـ علمت أنها الراكبة الجمل، لا تحل عقدة، ولا تسير عقبة، ولا تنزل منزلاً إلا إلى معصية الله، حتى تورد نفسها ومن معها مورداً يقتل ثلثهم، ويهرب ثلثهم، ويرجع ثلثهم»(2).

وهكذا كان كما دلت عليه الأرقام المنقولة لنا، حيث إن الأقوال قد كثرت في عدد الجيشين، وكثرت في عدد القتلى، ولكنك تجد أن مقابل كل قول في عدد جيش عائشة يقابله قول في عدد المقتولين يقارب ثلثه أو يزيد.

ونذكر على سبيل المثال، قولهم: «كان مع أمير المؤمنين «عليه السلام» عشرون ألف رجل..

وكانت عائشة في ثلاثين ألفاً.

---

(1)عائشة والسياسة لسعيد الأفغاني ص193

(2) الإرشاد ج1 ص246 والكافئة للشيخ المفيد ص19 وبحار الأنوار ج32 ص113.

قال قتادة: قتل يوم الجمل عشرون ألفاً.

وقال أبو مخنف والكلبي: قتل منهم تسعة آلاف إلا تسعين رجلاً»[1].

وقال المسعودي: «إن عدة من قتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً ومن أصحاب علي أربعة آلاف أو خمسة آلاف»[2].

ومراده من أصحاب الجمل أصحاب عائشة.

وقيل: قتل في حرب الجمل عشرة آلاف خمسة من أصحاب عائشة، وخمسة من أصحاب علي عدا خمسة آلاف من أهل البصرة قتلوا قبل وصول علي «عليه السلام» إليها، فيكون عدد من قتل خمسة عشر ألفاً على أقل تقدير[3].

لكن سليم بن قيس يقول: «شهدت يوم الجمل علياً «عليه

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص183 عن مناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج2 ص339.

وراجع في عدد الجيشين: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص505 والكامل في التاريخ ج2 ص336 والفتوح لابن أعثم ج2 ص464 والبداية والنهاية ج7 ص240 وراجع: كتاب الجمل ص321.

وراجع قول قتادة في عدد قتلى جيش عائشة في: العقد الفريد ج3 ص324.

(2) بحار الأنوار ج32 ص211 عن العدد القوية، والأمالي للمفيد (ط جماعة المدرسين) هامش ص236.

(3) عائشة والسياسة ص220 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص539.

السلام»، وكنا اثني عشر ألفاً، وكان أصحاب الجمل زيادة على عشرين ومائة ألفاً»[1].

وفي نص آخر: «وكان عدة من قتل من جند الجمل ستة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين إنساناً، وكانوا ثلاثين ألفاً، فأتى القتل على أكثر من نصفهم.

وقتل من أصحاب علي «عليه السلام» ألف وسبعون رجلاً، وكانوا عشرين ألفاً»[2].

وفي بعض النصوص: أن مجموع قتلى الفريقين كان ثلاثين ألفاً[3].

وفي نص آخر: كان عشرين ألفاً[4].

وقصة أم أفعى العبدية تشير إلى ذلك[5].

بل في بعض النصوص: «إن المقتولين من جيش عائشة كانوا أربعين

---

(1) كتاب سليم بن قيس ج2 ص896 وبحار الأنوار ج32 ص215.

(2) بحار الأنوار ج32 ص191 عن كشف الغمة ج1 ص240.

(3) تاريخ اليعقوبي ج2 ص183 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص484.

(4) أنساب الأشراف ج3 ص59.

(5) عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص202 والعقد الفريد ج3 ص328 وراجع: أنساب الأشراف ج3 ص59.

ألفاً»(1).

ونلاحظ هنا: أن نسبة المقتولين إلى مجموع عدد جيش عائشة هو الثلث. بناءً على رواية سليم بن قيس.

كما أن هذه النسبة هي نفسها بين قولهم: قتل من أصحاب عائشة عشرة آلاف وكان عدد جيشها ثلاثين ألفاً. وبالنسبة لسائر الروايات يمكن أن نصل إلى هذه النتائج، أو نكاد بعد الملاحظة المقارنة..

11 ـ هزيمة صفيراء، وانتصار يوشع ×:

وكما هزم جيش صفيراء، وانتصر يوشع بن نون في تلك الحرب، كما تقدم في الحديث رقم [2]، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد انتصر، وهزم جيش حميراء بإذن الله.

12 ـ صفيراء الأسيرة:

وكما أسر يوشع بن نون صفيراء زوجة موسى «عليه السلام» كما تقدم في الحديث رقم [2 و 3]، فإن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أسر حميراء (أي عائشة) في حرب الجمل، وكانت زوجة محمد «صلى الله عليه وآله»..

---

(1) الأمالي للطوسي ص11 والأمالي للمفيد (ط جماعة المدرسين) ص236 وبحار الأنوار ج32 ص350.

13 ـ المشورة المرفوضة في صفيراء:

وبعد أسر صفيراء، أو صفراء أشار بعض من حضر على يوشع فيها بما لا ينبغي.

فرفض يوشع قبول ذلك، وقال: «أبعد مضاجعة موسى لها؟!! ولكن أحفظه فيها». كما تقدم في الحديث رقم [4].

كذلك كان الحال بالنسبة لأمير المؤمنين «عليه السلام» فإنه رفض كل مشورة تؤدي إلى هتك حرمة عائشة، وأصر على أن لها بعدُ حرمتها الأولى..

يضاف إلى ذلك: أنهم طالبوه بأن يقسم بينهم النساء والأموال والذرية، فقال «عليه السلام»: «مهلاً مهلاً رحمكم الله، فإن لم تصدقوني وأكثرتم عليّ ـ وذلك أنه تكلم في هذا غير واحد ـ فإيكم يأخذ عائشة بسهمه؟!

فقالوا: يا أمير المؤمنين، أصبت وأخطأنا، وعلمت وجهلنا، ونحن نستغفر الله تعالى.

ونادى الناس من كل جانب: أصبت يا أمير المؤمنين، وأصاب الله بك الرشاد والسداد»(1).

---

(1) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص181 و 182 عن كنز العمال ج8 ص215 و 217 و (ط مؤسسة الرسالة) ج16 ص185 ومنتخبه ج6 ص315 و 331 وراجع: جواهر الأخبار والآثار (مطبوع بهامش البحر الزخار) ج6

وفي نص آخر: أنه لما منعهم من أخذ أموال أصحاب الجمل وسبيهم «تكلمت الخوارج، وقالوا: ما ندري ما هذا؟!

فحجَّهم علي بقوله: فهذه عائشةُ رأس القوم، أتتساهمون عليها؟!

قالوا: سُبحان الله! أمنا الخ..»[1].

14 ـ يوشع يعفو عن صفيراء:

وكما عفا يوشع عن صفيراء، وقال لها: قد عفوت عنك في الدنيا، إلى أن نلقى نبي الله موسى، فأشكو ما لقيت منك ومن قومك كما تقدم في الحديث رقم [2].

كذلك علي «عليه السلام»، فإنه عفا عن حميراء.

وقرر «عليه السلام» في هذا الظرف بالذات: أن لها حرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى الخ..[2].

ص420 و 421 والإحتجاج ج1 ص168 و (ط دار النعمان) ج1 ص247 وبحار الأنوار (ط قديم) ج8 ص564 و 565 و (ط جديد) ج32 ص222 و 223 وراجع: هوامش ص221. وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص12 ونهج السعادة ج1 ص362 و 363 وتنزيه الأنبياء ص208 وغاية المرام ج2 ص139.

(1) العقد الفريد ج3 ص105 وراجع: جواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص28.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص48 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج

وهذه الحرمة لها من أجل أنها كانت زوجة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في حال حياته.

15 - علي × يحسن لعائشة:

وكما أحسن يوشع أسار(1) صفيراء، إكراماً منه لنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وحفظاً منه لحرمته، كما تقدم في الحديث رقم [3]، فإن علياً «عليه السلام» قد أحسن أسار عائشة، وحفظ حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها، وجهزها إلى المدينة، «وبعث معها بالنساء»(2).

وفي رواية أخرى: إنه «عليه السلام» «جهزها وأرسلها،

البلاغة) ج1 ص13 وبحار الأنوار ج22 ص234 وج32 ص223 و 240 والإحتجاج (ط بيروت) ج1 ص168 و (ط دار النعمان) ج1 ص248 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص189 وكنز العمال (ط 1) ج8 ص215 و (ط مؤسسة الرسالة) ج16 ص186 ونهج السعادة (ط2) ج1 ص372 و (ط) ج1 ص365 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص509 وغاية المرام ج2 ص140 وعن جمع الجوامع ج2 ص129 وكتاب المواعظ من منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج6 ص315.

(1) أي أحسن التعامل معها وهي أسيرة.

(2) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ص30 وبحار الأنوار ج32 ص275 وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص183.

وأرسل معها أربعين امرأة من عبد القيس»(1).

وفي نص آخر: «أنفذ معها أربعين امرأة، ألبسهن العمائم والقلانس، وقلدهن السيوف، وأمرهن أن يحفظنها، ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورائها.

فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعلي بن أبي طالب وافعل، بعث معي الرجال، ولم يحفظ بي حرمة رسول الله.

فلما قدمن المدينة معها، ألقين العمائم والسيوف، ودخلن معها.

فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بذم أمير المؤمنين «عليه السلام» وسبه، وقالت: جزى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ فيّ حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..»(2).

---

(1) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ص31 وبحار الأنوار ج32 ص275 وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص292 عن العقد الفريد (ط دار الكتب العلمية) ص136.

(2) الجمل للمفيد ص415 و (ط مكتبة الداوري) ص221 وأشار في هامشه إلى المصادر التالية:

الإمامة والسياسة ج1 ص78 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص183 والفتوح لابن أعثم ج1 ص494 ومروج الذهب ج2 ص379 وتذكرة الخواص ص81.

وقارن بتاريخ الأمم والملوك ج4 ص544 وتجارب الأمم ج1 ص331 والكامل في التاريخ ج3 ص258 ونهاية الأرب ج20 ص83.

وفي المصادر في عدد النساء اللواتي أنفذهن أمير المؤمنين «عليه السلام» مع

وفي رواية أخرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبرها بما يكون منها في حرب الجمل مع علي «عليه السلام»، وقال: «وإنه لك خير منك له»[1].

وقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «يا أبا الحسن، إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها»[2].

وقد أوكل «عليه السلام» أمرها إلى أخيها محمد بن أبي بكر[3]

عائشة اختلاف.

(1) الإحتجاج ج1 ص198 و (ط مكتبة النعمان) ج1 ص294 والصراط المستقيم ج1 ص196 وبحار الأنوار ج32 ص278 وج38 ص 350 ومدينة المعاجز ج1 ص391.

(2) شرح الأخبار ج1 ص338 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص334 و 335 وبحار الأنوار ج32 ص284 والصراط المستقيم ج3 ص161 والجمل لابن شدقم ص42 وكتاب الأربعين للشيرازي ص622 وسنن ابن ماجة ج2 ص827 والمستدرك للحاكم ج3 ص119 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص136 ومناقب علي بن أبي طالب للأصفهاني ص162 و 163 والبداية والنهاية ج6 ص237 وإمتاع الأسماع ج13 ص228 والمناقب للخوارزمي ص176 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص148 و 151 وينابيع المودة ج2 ص388.

(3) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص482 والمناقب للخوارزمي ص189 وبحار الأنوار ج32 ص182 و 213 ومناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج2 ص339 و (ط المكتبة الحيدرية سنة 1376هـ) ج2 ص346

«رضوان الله تعالى عليه»، وقال له: «شأنك بأختك فلا يدنو أحد منها سواك»(1). ويتوقع من الأخ أن يولي أخته كامل الرعاية، وأن يكون أرفق بها من كل أحد.

وقالوا: إن علياً «عليه السلام» جهز عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب، وزاد، ومتاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها، إلا من أحب المقام، وأمر لها باثني عشر ألفاً من المال(2).

وشيعها علي «عليه السلام» أميالاً، وسرَّح بنيه معها يوماً(3).

وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص229 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص528 وراجع: الأخبار الطوال ص152 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص164.

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص482 والمناقب للخوارزمي ص189 وبحار الأنوار ج32 ص182 ومناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج2 ص339 و (ط المكتبة الحيدرية سنة 1376هـ) ج2 ص346.

(2) عائشة والسياسة ص231 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص204 و 205 و (ط الأعلمي) ج3 ص520 والعقد الفريد ج4 ص328 وراجع: مسند ابن راهويه ج2 ص33 وأنساب الأشراف ج2 ص250.

(3) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص547 والكامل في التاريخ ج3 ص258 والفتنة ووقعة الجمل ص183 وعمدة القاري ج15 ص50 ووفيات الأعيان ج3 ص19 وإمتاع الأسماع ج13 ص249 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص435.

وقد تفقد علي «عليه السلام» حالها بنفسه، لئلا يكون قد نالها شيء من السلاح(1).

وقد اعترف نفر من أعدائه «عليه السلام» في حرب الجمل بما فيهم مروان بن الحكم بأنهم قد ظلموا علياً «عليه السلام»، فقالوا: «والله لقد ظلمنا هذا الرجل، ونكثنا بيعته على غير حدث كان منه.

ثم لقد ظهر علينا فما رأينا رجلاً كان أكرم سيرة، ولا أحسن عفواً بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» منه، فتعالوا فندخل عليه، ولنعتذر مما صنعنا»(2).

ثم إن عائشة نفسها تقول عن أسرها: «وإني عند قوم ما يقصرون في ضيافتي، وإن الخبز في منازلهم لكثير»(3).

---

(1) الأمالي للمفيد ص24 وبحار الأنوار ج32 ص269 وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ص87.

(2) بحار الأنوار ج32 ص262 عن أمالي الطوسي ص323 و (ط دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ـ قم) ص507 ونهج السعادة ج1 ص337 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص48 والجمل للشيخ المفيد (مكتبة الداوري ـ قم ـ إيران) ص222 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص256 وغاية المرام للبحراني ج6 ص15.

(3) الجمل للشيخ المفيد (مكتبة الداوري ـ قم ـ إيران) ص202 و (ط سنة 1413 هـ) ص380 والجمل لابن شدقم المدني ص51.

16 ـ الندم والإعتراف:

وقد ذكرت الروايات: أن صفيراء قد ندمت على خروجها على يوشع «عليه السلام» وقالت: «وا ويلاه، والله لو أبيحت لي الجنة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه، وخرجت على وصيه بعده». وقد تقدم ذلك في الحديث رقم [2].

ومثلها كان حال حميراء، فقد ندمت على مسيرها إلى البصرة(1)، حيث لم تحقق في مسيرها ذاك ما كانت تصبو إليه، بل رجعت مهزومة شر هزيمة.. فقد رووا: أن ابن الزبير دخل على عائشة في مرضها، فقالت له: إني قاتلت فلاناً ـ وسمت المقاتل برجل قاتلته عليه ـ وقالت: لوددت أني كنت نسياً منسياً(2).

---

(1) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) 1/5 و 56/8 و 50 والأخبار الطوال (ط ليدن) ص156 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص541 وسير أعلام النبلاء ج2 ص177 والكامل في التاريخ ج3 ص254 وعمدة القاري ج15 ص50 والفتنة ووقعة الجمل ص177 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج3 ص357 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص656.

(2) دلائل الصدق ج3 قسم 2 ص156 عن الجمع بين الصحيحين، ونهج الحق وكشف الصدق ص370 وإلزام النواصب لابن راشد ص202 وإحقاق الحق (الأصل) للتستري ص307 وراجع: الطرائف لابن طاووس ص293.

وقد اعترفت عائشة: أنها أحدثت بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، ولذلك لم ترض بأن تدفن عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»(1).

وفي نص آخر: قالت لمن ذكر الموضع الذي ستدفن فيه: «لا، أتعلمون حيث سرت؟! أدفنوني مع صواحبي، فلست خيرهن»(2).

وعن عروة: «ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قط إلا بكت حتى تبل خمارها، وتقول: يا ليتني كنت نسياً منسياً»(3).

وبعد حرب الجمل بكت عائشة أشد من بكائها الأول، ثم قالت: «والله، لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن»(4).

---

(1) كشف الغمة ج1 ص245 وبحار الأنوار ج32 ص272 و 327 وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق ج2 ص167 وقاموس الرجال ج10 ص468 عن المعارف لابن قتيبة، والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص50 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص29.

(2) الكافية في إبطال توبة الخاطئة ص40 وبحار الأنوار ج32 ص327 .

(3) تاريخ بغداد للخطيب ج9 ص184 والمناقب للخوارزمي ص182 وعن الإعتقاد والهداية ص246 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص410. وراجع: النهاية في اللغة ج5 ص51 ولسان العرب ج14 ص133 وتاج العروس ج10 ص367.

(4) بحار الأنوار ج32 ص339 و 340 عن الكشي (ط الكمباني) في الباب 5 تحت الرقم: 191 ص450. وراجع: الشافي في الإمامة ج4 ص353 و

غير أننا نعتقد: أنها ندمت لأنها فشلت في الحرب، ولو نجحت فيها، لكانت فرحتها لا توصف.

ويدلنا على ذلك: شماتتها التي أظهرتها باستشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام» على يد أشقى الأولين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم «لعنه الله».

صفيراء والحساب في الآخرة:

غير أن من الواضح: أن الندم بمجرده لا يكفي، فقد أزهقت في تلك الحرب أرواح الألوف من الناس، وضاعت حقوق آلاف آخرين، فكيف يمكن التخلص من ذلك كله يوم القيامة؟!.

وعفو يوشع عن صفيراء إنما يفيدها ويجنبها العقوبة في الدنيا، أما في الآخرة فلا بد من المساءلة، وإعطاء كل ذي حق حقه.. ولا ينحصر الحق الذي اعتدت عليه هذه وتلك بيوشع ولا بعلي «عليهما السلام».

على أن الأفعال هي التي تؤكد وتؤيد صحة هذا الندم وجديته، ولم يتم تأييد ذلك، بل الموجود هو عكسه. فراجع المصادر ومنها: بحار الأنوار ج32.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن علياً «عليه السلام» وإن كان قد عفا عن

.354

عائشة في الدنيا، فلم يعاقبها على خروجها على إمام زمانها، ولا على التسبب في قتل الألوف من المسلمين، لكنه بالنسبة للآخرة قال: إن حسابها على الله.

وكذلك كان حال يوشع مع صفيراء، فإنه قال لها: «قد عفوت عنك في الدنيا، إلى أن نلقى نبي الله موسى، فأشكو ما لقيت منك، ومن قومك». فراجع الحديث رقم [2].

17 ـ إستحياء صفيراء من موسى:

وقد صرحت صفيراء باستحيائها من موسى «عليه السلام»، لأجل ما فعلت بوصيه يوشع. كما في الحديث رقم [2].

وعائشة أيضاً قد صرحت بما يشير إلى ذلك، حيث طلبت أن لا تدفن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، رغم وجود السعة في المكان، كما يدل عليه منعها من دفن الإمام الحسن «عليه السلام» مع جده[1].

---

(1) راجع المصادر التالية: مقاتل الطالبيين ص49 و 74 و 75 وشرح الأخبار ج3 ص130 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص289 وتاريخ المدينة لابن شبة ج1 ص111 وترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» لابن عساكر (تحقيق المحمودي) ص218 وتاريخ اليعقوبي (ط دار صادر) ج2 ص225 وإعلام الورى ج1 ص415 ووفاء الوفاء ج2 ص548 و 557 وج3 ص908 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص204 وروضة الواعظين ص168

وهناك وجوه أخرى تدخل في هذا السياق، ولكننا نكتفي بما ذكرناه.. غير أننا نشير إلى وجوه أخرى من التشابه، لها سياق آخر، وهي الثلاثة التالية:

18 ـ جمل عائشة.. وعجل بني إسرائيل:

تقدم: أن الجمل «عسكر» قد أصبح بمثابة عجل بني إسرائيل في التعظيم والتقدس إلى حد العبادة.

19 ـ إحراق الجمل والعجل:

كما أحرق عجل بني اسرائيل أحرق الجمل «عسكر» أيضاً، لكي لا يعبد.

20 ـ رماد الجمل.. ورماد العجل:

كما نسف رماد العجل في اليم حتى ذهب وتلاشى حتى لا يؤخذ التماساً للبركة. أذري رماد الجمل في الريح حتى تلاشى، فلا يصل

والإرشاد للمفيد ج2 ص18 والخرائج والجرائح ج1 ص242 والمستجاد من الإرشاد (مطبوع مع مجموعة الشيخ المفيد) ص149 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج3 ص60 و 62 و 64 و 65 وشرح النهج للمعتزلي ج16 ص13 وبحار الأنوار ج44 ص154 و 157 والأنوار البهية ص192 وقاموس الرجال ج10 ص300 والجمل للمفيد ص334 وكشف الغمة ج2 ص209.

إلى أحد شيء منه فيتبرك به.

الفصل الثالث:

خطب.. ورسائل

بداية هامة:

يتضمن هذا الفصل الحديث عن أمرين مهمين اعتمدهما أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد حرب الجمل:

الأول: القيام بالوفاء بحق الأمة بمعرفة ما جرى في حرب الجمل، لأن ذلك يعنيها بصورة مباشرة لما له من آثار وانعكاسات على وضعها الداخلي، وعلى علاقاتها، وارتباطاتها، ومفاهيمها، وحتى إعتقاداتها، وغير ذلك من أمور تفرزها الحرب عادة، ولا سيما في مجتمع لا يزال يحمل رواسب عشائرية وغيرها مما له أثر في ذلك كله.

من أجل ذلك: كان لا بد له «عليه السلام» من إرسال رسائل تحمل لهم الأخبار من مصدرها الحقيقي والصادق، وتبين لهم بعض ما لا بد من بيانه، مما يحفظ لهم الرؤية الصحيحة والواضحة، ويمنع من التأثر بالسلبيات التي أشرنا إليها.

وهذا ما فعله علي «عليه السلام» في رسائله التي سنشير إلى

بعضها في هذا الفصل.

الثاني: أنه «عليه السلام» أراد أن يعالج الواقع الذي نشأ من تلك الحرب، ويزيل آثاره السلبية من النفوس والقلوب والعقول، فكانت خطبه المختلفة في المدة اليسيرة التي أقام فيها في البصرة قد تكفلت كل واحدة منها بمعالجة جانب مما يحتاج إلى ذلك..

فتجد إحدى هذه الخطب: تقرع أهل البصرة، وتلومهم، وتظهر لهم بصورة تكاد تكون محسوسة وملموسة بشاعة ما أقدموا عليه، وسوء الحال الذي انتهوا إليه؛ ليعدهم بذلك إلى قبول النصيحة بالتوبة والأوبة إلى الله سبحانه وتعالى.

وفي خطبة أخرى: تراه يهتم بموعظتهم وإرشادهم إلى التوبة والتزهيد بالدنيا، والتذكير بالآخرة.

وفي خطبة ثالثة: يهتم ببيان المعايير والضوابط التي ينبغي لهم اعتمادها في مواجهة الأحوال المختلفة، ولا سيما ما يرتبط بالشأن العقائدي، والمفاهيم الأساسية التي ترشد إلى الحق، وتظهر زيف الشبهات، وتمنع من الوقوع في أفخاخ الأباطيل والترهات، وتفضح أصحاب الأهواء، والمنحرفين، الذين يريدون خداع الناس بطريقة أو بأخرى.

وسائر الخطب قد تكفلت بمعالجة جوانب أخرى، وهذا ما يدعونا إلى تحذير القارئ من أن يتوهم في بادئ الرأي أن تلك الخطب قد جاءت متنافرة، أو ليست في سياق واحد، حيث إنه إذا تأمل في الواقع

الراهن، وما فيه من مشكلات، ومن حالات تحتاج إلى المعالجة، سيدرك: أن كل واحدة من هذه الخطب قد عالجت شأناً يختلف عن الشأن الذي عالجته الخطبة الأخرى، مع العلم بأنه لا يمكن تجاهل أي من تلك الشؤون التي تحتاج إلى هذه المعالجات.

من أجل ذلك نقول، ونتوكل على خير مسؤول:

خطبة لعلي × بعد الوقعة:

من كلامه «عليه السلام» حين قتل طلحة، وانفض [جمع] أهل البصرة: بنا تسنمتم الشرف، وبنا انفجرتم عن السرار، وبنا اهتديتم في الظلماء.

وقر سمع لم يفقه الواعية، [و] كيف يراعي النبأة من أصمته الصيحة، ربط جنان لم يفارقه الخفقان.

[و] ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسمكم بحلية المغترين، سترني عنكم جلباب الدين، وبصرنيكم صدق النية. أقمت لكم الحق حيث تعرفون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون.

اليوم أُنطِق لكم العجماء ذات البيان، عزب فهم امرئ تخلف عني، ما شككت في الحق منذ رأيته.

كان بنو يعقوب على المحجة العظمى حتى عقوا أباهم، وباعوا أخاهم، وبعد الاقرار كان توبتهم، وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر

لهم[1].

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

[هذا الكلام] رواه [السيد الرضي] في النهج بأدنى تغيير. وأوله: «بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار، وقر سمع»، إلى قوله «أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة، حيث تلتقون ولا دليل..».

إلى قوله: «ما شككت في الحق مذ أريته، لم يوجس موسى خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال. اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظمأ»[2].

ونقول:

تضمنت هذه الخطبة الغراء خطوطاً عريضة هادية، من شأنها أن تضع الجميع على طريق الخير والصلاح، بكلمات موجزة وحازمة، تمتاز بالقوة والصراحة والوضوح.

ويمكن لفت نظر القارىء الكريم إلى بعض المعالم التي رسمها لهم كما يلي:

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص236 و 237 عن الإرشاد للمفيد ص135 الفصل 25 و (ط دار المفيد) ج1 ص253 والجمل لابن شدقم ص152 .

(2) بحار الأنوار ج32 ص337 وراجع نص الخطبة في: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص38 و 39 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص207 وراجع: ينابيع المودة ج1 ص83.

1 - إنه «عليه السلام» ذكرهم: أن حربهم لعلي، والحسن والحسين، وهم أهل البيت «عليهم السلام» إنما هو نكران للجميل، وعدوان أخلاقي بالدرجة الأولى، كما أنه لم يكن في صالحهم على صعيد التدبير الحكيم، ولا ينسجم مع التفكير السليم، وذلك لأمور ثلاثة:

أولها: أمر يرضي غرورهم وكبرياءهم، وهو أنهم تسنّموا، أي وصلوا إلى سنام العلياء من خلال أهل البيت «عليهم السلام»، ولولا ذلك لكانوا في الحضيض..

ثانيها: إنهم بأهل البيت «عليهم السلام» ظهر ما كمن فيهم من خير وصلاح، ونجاح، وفلاح.. حيث إنهم أثاروا كوامن عقولهم، وأطلقوها من عقال الأهواء، وبعثوا في نفوسهم العزة والكرامة، والشمم والشهامة، وسائر الخصال التي تأخذ بيدهم إلى الغايات الفضلى، والمراتب العليا.

ثالثها: أن أهل البيت «عليهم السلام» كانوا هداتهم في ظلمات الجهل، والذين يخرجونهم من بُهَمِ العماية، إلى أنوار العلم والهداية..

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار».

2 - ثم قدم «عليه السلام» لهم ميزاناً يعرفون به حالهم، حين قال لهم: «وقر سمع لم يفقه الواعية، وكيف يراعى النبأة من أصمته الصيحة»، فإنهم إذا رأوا هذا في أنفسهم يعرفون أنهم غير قادرين

على أخذ العبرة بما يجري حولهم، فيدركون أن في سمعهم وقراً، وخللاً في وسائل الإتصال بالأشياء، وأن عليهم أن يعيدوا النظر في تلك الوسائل ليكتشفوا مواضع الخلل فيها..

لأن عدم الفهم الكافي للحقائق أمر خطير للغاية، لأنه ينتهي بهم إلى فهم الأمور بصورة غير واقعية، ويؤدي إلى أن تصبح حركتهم في الإتجاه المضاد لطبائع الأشياء، الأمر الذي ينتهي بالإصطدام بالواقع، وأن تتحطم الآمال وتكون النتيجة هي الخيبة والخسران، حين تأتي النتائج على الضد مما هو متوقع..

وهذا غاية الخذلان والسقوط. إذ كيف يراعي النبأة، ويسمع الصوت الخفيف من ابتلي بالصمم التام بسبب الصيحة التي وقرت سمعه..

3 ـ ثم قدم لهم شاهداً من نفس الوقائع التي مرت بهم لكي يتلمسوا بأنفسهم صحة ما يقوله لهم.. فذكر لهم: أنه «عليه السلام» قد توقع لهم أن يصلوا إلى هذه النتيجة التي هم الآن يعيشون مرارتها، وكان «عليه السلام» ينتظر بهم عواقب الغدر، ويتوسمهم وهم يلبسون حلية المغترين..

وقد تحقق ما توقعه لهم، وصدق ما توسمه فيهم. لأنه يملك المعايير التي يمكنه من رؤية الأمور كما هي، فيرى غدر الغادر، ويشاهد علامات الغرور بالأوهام والأحلام.. ويعرف عواقب، ويعاين ويتوقع نهايات المخدوعين بسراب الأوهام، وكأنها حاضرة أمامه..

4 ـ ثم ذكر لهم: أن الذي مكنه من ذلك أمران:

أحدهما: سبب يعود إليهم ومنهم، وهو: أنهم بسبب غرورهم وغدرهم، وقصورهم عن الفهم قد فهموا حقائق الدين بصورة معكوسة. فتوهموا أنه غير قادر على مواجهتهم ومقاومتهم، لأنهم يحسبون أنه يفكر مثلهم، ويسير على نفس خطهم، وله نفس ما لهم من الطموحات والحالات.

ثانيهما: أنهم لم يدركوا أن دينه «عليه السلام» قد قلب الأمور لديه رأساً على عقب، فكان عالماً بالأحكام، واثقاً بنفسه، مستيقناً بما يجب عليه، عارفاً بما ينبغي له، راضياً بنتائج ما يقدم عليه، سواء كانت له أو عليه..

ولعل هذا المعنى هو ما ألمح «عليه السلام» إلى أنه كامن في عمق ذاته، حين تحدث عن أن صدق النية هو الذي بصّره بهم، وعرَّفه إياهم..

وهذا يدلنا: على أن صفاء النفس، وصدق النوايا يعين على فهم الحقائق، بل يعين أيضاً على توسم الناس، ومعرفة حالاتهم النفسية والروحية، وكشف دخائلهم.

ومن بلغ به الأمر إلى هذا الحد، فسيكون قادراً على التعامل مع الآخرين بصورة أيسر، وأعظم تأثيراً، وأكثر جدوى.

وهذا أمر هام جداً، ويا حبذا لو أجريت دراسات عملية على هذا الموضوع لتلمُّس فوائده، ومعرفة عوائده..

5 ـ ثم استشهد على صحة ما قاله: بمعرفته بما يؤول إليه أمرهم، وبصيرته بحالهم.

ولم يقف به الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى تحمل مسؤوليات هذه المعرفة، والتعامل مع نتائج هذه البصيرة، حيث بادر إلى معالجة هذا البلاء الذي وجدهم فيه، معالجة مسؤولة وواعية، ومن منطلق الحب لهم، والرأفة بهم، لا من منطلق الضغينة، ورغبة الإنتقام والبطش..

فأقام لهم الحق، ليرجعوا إليه، وليأخذوا به، حتى أصبح بحيث يعرفونه، بالرغم من أنهم كانوا لا يجدون الدليل عليه.. ويسر لهم الوصول إلى ما يروي عطشهم، مع أنهم كانوا يحتفرون طلباً للري، ولا يجدون ما يرويهم.. ولكنهم لم يأخذوا به، ولا استفادوا منه..

6 ـ وبعد أن جرى ما جرى، فإنه «عليه السلام» يريد أن يُنطِق لهم الحوادث، التي تبين لهم الحق، لكي يأخذوا منها العبر.. ويعرفوا ما عزب عنهم علمه..

فإذا كانت الدلائل كلها، وكذلك الوقائع تشير إلى حقانية طريقه «عليه السلام»، فإن من لا يسلك طريقه، ولا يتبع سبيله «عليه السلام»، لا بد أن يتهم فهمه، ويعرف أنه قد ضل عن الطريق..

لأن الدلائل ظاهرة، والشواهد باهرة ولا قصور فيها، والعيب إنما هو في الفهم الذي لم يكن سليماً في تعامله معها ولا قويماً..

7 ـ ثم قرر «عليه السلام» أصلاً آخر.. وهو لزوم تحصيل اليقين

في أمور الدين، وفي حقوق الناس، وفي كل ما هو حق وصدق، وعدم الإكتفاء بالظنون والحدسيات..

وقد قدم نفسه أمثولة وقدوة في هذا السبيل، فقال: «ما شككت في الحق مذ أريته». فالمطلوب ليس هو رؤية الحق كيفما اتفق، بل المطلوب هو معرفة أن الله تعالى وهو علام الغيوب هو الذي يريد الحق..

كما أن المطلوب هو المحافظة على استمرار هذه الرؤية بوضوح تام، وعدم السماح للشبهات بالإخلال بهذا الوضوح، أو تعكيره بأي نحو كان..

8 ـ كما لا يصح المرور على الحوادث مرور الكرام، لا بد من معالجة آثارها، وإزالة أضرارها في الدنيا والآخرة على حد سواء.

وقد ضرب «عليه السلام» لهم مثلاً بأبناء يعقوب، الذين كانوا على المحجة العظمى، حتى عقوا أباهم، بمخالفة أوامره، وباعوا أخاهم يوسف، وبعد إقرارهم بما اقترفوه تمت معالجة آثار فعلهم، ودفع أخطاره بتوبتهم، وبالعفو عنهم من أبيهم وأخيهم، واستغفارهما لهم، فغفر الله تعالى لهم..

9 ـ ثم بيّن «عليه السلام» أخيراً ـ من خلال ضرب المثل بموسى «عليه السلام» ـ: أنه إنما يذكر ذلك لهم اشفاقاً منه عليهم، وليس تقريعاً لهم، وتشفياً بهم، موضحاً: أن سبب الإشفاق هو توقع تعرضهم لمصاعب ومصائب كثيرة وخطيرة، لأن الأمور لم تنته عند هذا

الحد، بل إن المصائب لن تكون أمراً عارضاً يسهل تجاوزه والتخلص منه، بل هو يستند إلى القوة القاهرة وإلى تسلط دول لا تعتمد مبدأ، ليمكن مطالبتها برعايته، بل مبدؤها هو الضلال الذي يدار بالجهل، فليس هناك ضابطة ليدور مدارها، ولا مبدأ إيماني أو إنساني يمكن الإحتكام إليه، والتعويل فيها عليه..

علي × يخطب ويدعو الناس للتوبة:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن نعمان أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لما انقضت القصة فيما بينه وبين طلحة والزبير وعائشة بالبصرة صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم قال:

أيها الناس، إن الدنيا حلوة خضرة، تفتن الناس بالشهوات، وتزين لهم بعاجلها، وأيم الله إنها لتغر من أملها ، وتخلف من رجاها، وستورث غداً أقواماً الندامة والحسرة بإقبالهم عليها، وتنافسهم فيها، وحسدهم وبغيهم على أهل الدين والفضل فيها، ظلماً وعدواناً وبغياً، وأشراً وبطراً.

وبالله، إنه ما عاش قوم قط في غضارة من كرامة نعم الله في معاش دنيا، ولا دائم تقوى في طاعة الله، والشكر لنعمه، فأزال ذلك

عنهم، إلا من بعد تغيير من أنفسهم، وتحويل عن طاعة الله، والحادث من ذنوبهم، وقلة محافظة، وترك مراقبة الله عز وجل، وتهاون بشكر نعم الله، لأن الله عز وجل يقول: **(إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)**(1) .

ولو أن أهل المعاصي وكسبة الذنوب إذا هم حذروا زوال نعم الله، وحلول نقمته، وتحويل عافيته، أيقنوا أن ذلك من الله جل ذكره بما كسبت أيديهم، فأقلعوا وتابوا، وفزعوا إلى الله جل ذكره، بصدق من نياتهم، وإقرار منهم بذنوبهم وإساءتهم، لصفح لهم عن كل ذنب، وإذاً لأقالهم كل عثرة، ولرد عليهم كل كرامة نعمةً، ثم أعاد لهم من صالح أمرهم، ومما كان أنعم به عليهم، كلما زال عنهم وأفسد عليهم ..

فاتقوا الله أيها الناس حق تقاته، واستشعروا خوف الله عز ذكره، وأخلصوا النفس، وتوبوا إليه من قبيح ما استنفركم الشيطان من قتال ولي الأمر، وأهل العلم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما تعاونتم عليه من تفريق الجماعة، وتشتت الأمر، وفساد صلاح ذات البين، إن الله عز وجل يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون(2).

---

(1) الآية 11 من سورة الرعد.

(2) الكافي ج8 ص256 و 257 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج2

ونقول:

بما أن شرح مضامين هذه الخطبة يحتاج إلى مزيد من الوقت والتأمل فقد آثرنا الإختصار والإقتصار على بعض النقاط، فنقول:

إن التأمل في مضامين هذه الخطبة يعطي: أنه «عليه السلام» قد دعا أعداءه إلى التوبة وفق المراحل التالية:

1 ـ لقد أوضح لهم الدوافع الحقيقية التي سهلت عليهم الإقدام على ما أقدموا عليه من موبقات، وذلك كما يلي:

ألف: إن الدنيا حلوة خضرة، فهي تجذب الناس إليها، بما لها من جمال ظاهر، ورواء آسر..

ب: هناك أدوات ووسائل تجذب الناس إليها من خلال تناغم يقوم بين عناصرها، وبين كوامن يختزنها هذا الإنسان نفسه. وهي ما يسمى بالشهوات التي تحرك في الإنسان كوامنه، وتفتنه عن مساره القويم، لينصرف إليها، ويتعامل معها.

ج: إنها تزين للناس بعاجلها الحاضر، ما يلهيهم ويشغلهم ويحجزهم عن رؤية موعود لهم لا يزال ينتظرهم..

2 ـ لقد أقسم «عليه السلام» على أن الدنيا لا تعطي من نفسها ما يؤمله الناس منها، وهي تخلف رجاءهم، ولا تحقق لهم أمنياتهم، كما

ص92 و 93 وبحار الأنوار ج32 ص233 و 234.

أظهرته الوقائع التي مرت بأهل البصرة..

3 ـ وذكر لهم أيضاً: أن من حبائل الدنيا: أنها تعطي طرفاً لقلة قليلة من الناس، فيتوهم الآخرون: أن أبواب الوصول إلى ما أملوه مشرعة أمامهم.. ولكنه حذرهم من أن الأمر لا يدوم على هذا الحال، لأنها سوف لا تترك تلك القلة الذين أصابوا بعضاً منها، بل هي سوف تورثهم الندامة والحسرة بنفس إقبالهم عليها، وتنافسهم فيها. لأن ثمن ذلك سيكون:

ألف: حسدهم لأهل الدين والفضل.

ب: بغيهم على أهل الفضل والدين ظلماً، وعدواناً، وبغياً، وأشراً، وبطراً.

4 ـ وقد بيَّن «عليه السلام»: أن هذا البغي يتحقق بخمسة أمور، هي: الظلم، والبغي، والعدوان، والأشر، والبطر..

والفروق بين هذه الأمور الخمسة لا تكاد تخفى على المتأمل الخبير، والناقد البصير، غير أن من الواضح: أن البغي على أهل الدين والفضل لا يتعدى هذه الأمور التي ذكرها «عليه السلام»..

5 ـ لقد أوضح «عليه السلام» لأهل البصرة: أنهم إن كانوا يرون أنفسهم من أهل التقوى قبل دخولهم مع الناكثين، وأنهم لأجل ذلك لا يستحقون هذا البلاء الذي حاق بهم، فهم واهمون، لأن نفس دخولهم مع الناكثين، وخروجهم على إمامهم قد دل على أنهم قد غيّروا ما بأنفسهم، فغيّر الله تعالى ما بهم من نعمة، بسبب الحادث من ذنوبهم،

وتركهم مراقبته لله تعالى، وعدم تعاونهم بشكر نعمه تعالى..

6 ـ لقد أوضح «عليه السلام»: أن الله تعالى قد جعل زوال النعم، وحلول النقم، وتحويل العافية، إلى بلاء من نتائج المعاصي، ويمكن للإنسان أن يراقب نفسه، في هذا الأمر ويحرص على عدم الوقوع في المعاصي لتبقى النعم، وتندفع النقم، وتدوم العافية..

7 ـ ثم إنه «عليه السلام» قد فتح أبواب الرجاء لهم، حيث ذكر لهم: أن الإقلاع عن الذنوب والتوبة منها هو سبيل الخلاص، وهو من أسباب رد كرامة النعم، وإصلاح أمرهم، وهذا الأسلوب هو من أهم وسائل الدعوة إلى التوبة وأنجعها..

8 ـ واللافت هنا: أنه «عليه السلام»، قد أوضح لهم في نهاية المطاف، الحقائق التالية:

ألف: ما فعلوه إنما كان استجابة للشيطان الذي استنفرهم لقتال من لا يجوز قتاله.

ب: إنهم إنما قاتلوا ولي الأمر.. وحكم من يقاتل ولي الأمر معلوم في الدين..

ج: إنهم إنما قاتلوا أهل العلم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مما يعني: أن الأمر لم يقتصر على الطمع بالولاية، بل هو يتضمن إطفاء نور العلم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذه جريمة ما بعدها جريمة، لأنها لا تقتصر في سلبياتها وآثارها المدمرة على من يفعل ذلك، بل هي تضرُ بمصلحة الأمة

بأسرها، حاضرها ومستقبلها، وإلى يوم القيامة..

كما أنها جريمة أخلاقية لا مبرر لها، ولا منطق يساعدها..

د: إنهم قد سعوا في تفريق الجماعة..

هـ: إن عملهم يؤدي إلى تشتيت الأمر، وفرط عقد نظام الأمة.

و: إنهم قد بادروا لإفساد صلاح ذات البين.

9 - ثم أنهى «عليه السلام» كلامه ببيان: أن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، فلا ينبغي اليأس من روح الله، ومن رضوانه.

10 - إن قوله تعالى: **(أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)**[1] بمثابة تحذير من الخديعة والغش، والإنطواء على الغدر، لأن الله تعالى يعلم ما يفعلون، وسيعاقبهم على ذلك، وفق ما قدمه «عليه السلام» لهم من ايضاحات عن السياسة الإلهية مع الخاطئين والمذنبين.. وقد قال سبحانه **(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**[2].

خطبة الجمعة للإمام الحسن ×:

عن محمد بن سيرين، قال: سمعت غير واحد من مشيخة أهل

---

(1) الآية 77 من سورة البقرة.

(2) الآية 30 من سورة الأنفال.

البصرة يقولون: لما فرغ علي بن أبي طالب «عليه السلام» من الجمل، عرض له مرض، وحَضَرتِ الجمعة، فتأخر عنها.

وقال لابنه الحسن «عليه السلام»: انطلق يا بني فاجمع بالناس.

فأقبل الحسن «عليه السلام» إلى المسجد، فلما استقل على المنبر، حمد الله وأثنى عليه، وتشهد، وصلى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقال: أيها الناس، إن الله اختارنا بالنبوة، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه.

وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا تنقصه الله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ثم جمع بالناس.

وبلغ أباه كلامه، فلما انصرف إلى أبيه «عليه السلام» نظر إليه، فما ملك عبرته أن سالت على خديه، ثم استدناه إليه فقبل بين عينيه، وقال: بأبي أنت وأمي، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**(1)**.

---

(1) راجع: الأمالي للطوسي (ط دار الثقافة) ج1 ص82 و 83 و 104 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص178 وبحار الأنوار ج32 ص228 و 229 وج43 ص355 وبشارة المصطفى ص402 وتفسير نور الثقلين ج1 ص331 والمحتضر للحلي ص150 وراجع: تفسير كنز

ونقول:

إننا نلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: لقد أراد «عليه السلام» بهذا التأييد الظاهر لما قاله الإمام الحسن «عليه السلام» أن يؤكد للناس: على أن ولده قد أصاب قلب الحقيقة، وأن ما قاله لا يختلف عما يقوله أبوه قيد شعرة، فليس لأحد أن يثير الشبهة في كونه «عليه السلام» قد قال شيئاً من عند نفسه، وليس بالضرورة أن يكون ذلك متوافقاً مع ما يقوله علي «عليه السلام» نفسه، أو مع ما يقوله أخوه، أو سائر أهل بيته..

وبأمثال هذه الإدعاءات يسقطون تلك الحقائق عن درجة الإعتبار..

ثانياً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قد اختار الحديث عن أهم الأمور وأشدها حساسية، حين قرر: أن ما يُلزِم الناس بطاعة أهل بيت العصمة، ليس هو مجرد البيعة لهم، بحيث لولاها لكان الناس في حل من ذلك..

بل الأمر أبعد من ذلك، وأعمق.. حيث إنه يرتبط بموضوع الإصطفاء الإلهي، الذي لا يمكن أن يكون عشوائياً، ولا أهوائياً، ولا مصلحياً، ولا عشائرياً، بل يستند إلى معايير وضوابط واقعية، هي أرقى وأسمى من ذلك كله.. لأنها تختزن معنى يؤهلها لبلورة معنى

الدقائق ج2 ص66 والدر النظيم ص509.

النبوة في حركة الواقع.. وتجسد سر الإختيار الإلهي لانطلاقة الوحي، وحمل الكتاب على أساس الإصطفاء للصفوة من الخلق على الخلق أجمعين.

وبذلك تصبح الحاكمية والطاعة لمن اصطفاهم الله سبحانه حقاً إلهياً مفروضاً على جميع المخلوقات، لا مجال لنقضه ولا للمراء فيه، إلا ممن باء بالخزي والخذلان الإلهي، وعرض نفسه للإنتقاص والحرمان..

وتكون نتجية ذلك: هي أن لا تكون لمن يناوئهم عاقبة، لا في عاجل الدنيا، ولا في آجل الآخرة، وإنما العاقبة للتقوى، ولأهلها في الدارين على حد سواء..

ثالثاً: إن الكلمات التي خطب بها «عليه السلام»، وإن كانت قصيرة، ولكنها حاسمة في موضوع الإمامة.. كما أنها تحصر مرجعية الناس في معارفهم الدينية بجهة معينة، لا يرون مناصاً من الإلتزام بها، لأنها امتداد للوحي الإلهي، الذي يتحتم على الناس التقيد به..

وإذا التزم الناس بهذا الأصل الأصيل، فإن نتيجة ذلك: هي توحد معارفهم، والإنسجام التام في وعيهم للأمور، وفي تحديد الموقف منها.. ويصبحون في مأمن من نزوات الأهواء، وتشتت الآراء، واختلاف الرؤى والمواقف، وسيكون هذا أعظم إنجاز على مستوى الأمة بأسرها، وأهم ضمانة لبقائها، وتنامي قدراتها، وتحقيق أسمى الأهداف،

وأعظم النتائج لها.

وحين تفقد الأمة مرجعيتها الهادية، والمهدية بالوحي، فإنها ستقع في التيه، وستتقاذفها الأهواء، والعصبيات، وسيفترس سعادتها ومستقبلها الطواغيت، والجبارون، والظالمون..

وهذا هو ما ابتليت به الأمة منذ أن تنكبت الطريق الذي هداها الله ورسوله إليه، واتبعت السبل المختلفة فتفرقت بها عن سبيل الحق والخير، والصلاح والفلاح، والهدى..

كتاب علي × إلى أم هانئ بنت أبي طالب:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

وكتب أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى أم هانئ بنت أبي طالب «عليه السلام»:

سلام عليك، أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو..

أما بعد؛ فإنا التقينا مع البغاة والظلمة في البصرة، فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله وقوته، وأعطاهم سنة الظالمين، فقتل كل من طلحة، والزبير، وعبد الرحمان بن عتَّاب، وجمع لا يحصى.

وقتل منا بنو مخدوع، وابنا صوحان، وعلباء، وهند وثمامة فيمن يعد من المسلمين رحمهم الله، والسلام[1].

---

(1) الجمل للمفيد ص397 و (ط مكتبة الداوري) ص212 و 213 وراجع:

لكن النص الذي أورده الطبري هو كما يلي:

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وكتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة:

من عبد الله علي أمير المؤمنين. أما بعد..

فإنا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخريبة ـ فناء من أفنية البصرة ـ فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين، وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة، وأصيب ممن أصيب منا: ثمامة بن المثنى، وهند بن عمرو، وعلباء بن الهيثم، وسيحان وزيد ابنا صوحان، ومحدوج.

وكتب عبيد الله بن رافع.

وكان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة»[1].

ونقول:

لسنا بحاجة إلى تذكير القارئ الكريم بما قاله العارفون عن سيف، بأنه كذَّاب وضَّاع، ومتهم بالزندقة..

مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص185 و 186 ونهج السعادة ج4 ص71.

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص542 و (ط الأعلمي) ج3 ص545. وراجع: نهج السعادة ج4 ص72 والفتنة ووقعة الجمل ص182 .

وقد تجلت خيانات هذا الرجل في هذا المورد بصورة واضحة.. فإن رواية المفيد تصرح: بأن الكتاب قد أرسل إلى أم هاني، لكن سيف يذكر: أنه أرسله إلى عامله بالكوفة.

ورواية المفيد تصرح: بأن الله أعطى الناكثين سنة الظالمين، أعني الهلاك والقتل الذريع، وأعطى علياً «عليه السلام» ومن معه النصر وظهور الأمر..

ولكن رواية سيف للكتاب قد عكست هذا المضمون، فقالت عن الناكثين: «فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين».

كما أنه هذا الرجل الوضَّاع قد حذف تصريح أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن الذين قتلوا من أصحابه: كانوا من المسلمين «رحمهم الله»..

وحذف أيضاً توصيف أمير المؤمنين «عليه السلام» للناكثين، بالبغاة الظلمة.

ولم يذكر أيضاً: أن الله تعالى أعطى علياً «عليه السلام» وأصحابه النصر بحوله وقوته.

وحذف أيضاً: أسماء من قتل من الناكثين، وأنه قتل منهم جمع لا يحصى..

فلماذا هذه الخيانات كلها يا ترى؟!

كتاب أمير المؤمنين × إلى أهل المدينة:

وبعد أن أمر «عليه السلام» بمواراة الشهداء. وأذن للآخرين بمواراة قتلاهم، رجع إلى خيمته، فاستدعى عبيد الله بن أبي رافع كاتبه وقال: اكتب إلى أهل المدينة:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، من عبد الله عليّ بن أبي طالب؛ سلام عليكم. فإنّي أحمد الله إليكم الّذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد.. فإن الله بمنّه وفضله، وحسن بلائه عندي وعندكم حكم عدل، و قد قال سبحانه في كتابه وقوله الحقّ: **(إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)**(1).

وإنّي مخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن سار إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزّبير، ونكثهما على ما قد علمتم من بيعتي، وهما طائعان غير مكرهين.

فخرجت من عندكم بمن خرجت ممّن سارع إلى بيعتي وإلى الحقّ، حتّى نزلت ذا قار، فنفر معي من نفر من أهل الكوفة.

وقدم طلحة والزّبير البصرة، وصنعا بعاملي عثمان بن حنيف ما صنعا.

---

(1) الآية 11 من سورة الرعد.

فقدّمت إليهم الرّسل، وأعذرت كلّ الاعذار، ثمّ نزلت ظهر البصرة، فأعذرت بالدّعاء، وقدّمت الحجّة، وأقلت العثرة والزّلة، واستتبتهما ومن معهما من نكثهم بيعتي، ونقضهما عهدي، فأبوا إلاّ قتالي وقتال من معي والتّمادي في الغيّ، فلم أجد بداً في مناصفتهم لي، فناصفتهم بالجهاد.

فقتل الله من قتل منهم ناكثاً، وولّى من ولّى منهم.

وأغمدت السّيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحقّ والسنّة في حكمهم، واخترت لهم عاملاً استعملته عليهم، وهو عبد الله بن عباس.

وإنّي سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

وكتب عبد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى من سنة ستّ وثلاثين من الهجرة(1).

كتاب أمير المؤمنين × إلى أهل الكوفة:

وكتب «عليه السلام» إلى أهل الكوفة:

---

(1) الجمل ص395 و 396 و (ط مكتبة الداوري) ص211 وقال في هامشه: قارن بالإرشاد ص137 - 138 والشافي ج4 ص135 - 136، ونص على هذا الكتاب في بحار الأنوار ج32 ص334. وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص184و 185 ونهج السعادة ج4 ص69 و 70.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة..

سلام عليكم..

فإنّي أحمد الله إليكم الّذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد..

فإنّ الله حكم عدل، **(اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)**(1).

و إنّي أخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن سار إليه من قريش وغيرهم مع طلحة والزّبير، بعد نكثهما صفقة أيمانهما.

فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبرهم، وما صنعوه بعاملي عثمان بن حنيف حتّى قدمت ذا قار، فبعثت ابني الحسن وعمّاراً وقيساً، فاستنفرتهم لحقّ الله، وحقّ رسوله، وحقّنا.

فأجابني إخوانكم سراعاً حتّى قدموا عليّ، فسرت بهم، وبالمسارعين منهم إلى طاعة الله، حتّى نزلت ظهر البصرة، فأعذرت بالدّعاء، وأقمت الحجّة، وأقلت العثرة والزلّة من أهل الرّدّة من قريش وغيرهم، واستتبتهم عن نكثهم بيعتي، وعهد الله لي عليهم.

---

(1) الآية 11 من سورة الرعد.

فأبوا إلا قتالي وقتال من معي، والتّمادي في الغيّ، فناهضتهم بالجهاد، وقتل من قتل منهم، وولّى من ولّى إلى مصرهم.

وقتل طلحة والزبير على نكثهما وشقاقهما وكانت المرأة أشأم عليم من ناقة الحجر، فخذلوه، وأدبروا، وتقطعت بهم الأشباب، فلا تروا ما حل بهم.

فسألوني ما دعوتهم إليه من كفّ القتال، فقبلت منهم، وأغمدت السّيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحقّ والسنّة بينهم، واستعملت عليهم عبد الله بن العبّاس على البصرة، وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

وقد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألوه فيخبركم عنّا وعنهم، وردّهم الحق علينا، وردّهم الله وهم كارهون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى الاولى سنة ستّ وثلاثين من الهجرة(1).

---

(1) الجمل ص398 و 399 و (ط مكتبة الداوري) ص213 وأشار المعلق في الهامش إلى المصادر التالية: الإرشاد ص137 - 138 (ط النجف) والشافي ج4 ص329 - 330 وتلخيص الشافي ج4 ص135 - 136 وبحار الأنوار ج32 ص330 - 332 ومعادن الحكمة ج1 ص447 - 448. وراجع: نهج السعادة ج4 ص73 و 74.

كتاب علي × إلى قرظة بن كعب وأهل الكوفة:

وكان قرظة والياً على الكوفة من قبله «عليه السلام». فقد روى عمر بن سعد عن يزيد بن الصلت، عن عامر الأسدي قال:

إنّ عليّاً «عليه السلام» كتب بفتح البصرة مع عمرو بن سلمة الأرحبي إلى أهل الكوفة، فكبر تكبيرة سمعها عامة الناس، واجتمعوا لها في المسجد. ونودي الصلاة جمعاً، فلم يتخلف أحد. وقرئ الكتاب، فكان فيه:

«من عبد الله عليّ بن أبي طالب إلى قرظة بن كعب ومن قبله من المسلمين.

سلام عليكم، فإنّي أحمد الله إليكم الّذي لا إله إلا هو.

أمّا بعد..

فإنّا لقينا القوم النّاكثين لبيعتنا، المفرّقين لجماعتنا، الباغين علينا من أمتنا، فحاججناهم إلى الله، فنصرنا الله عليهم، وقتل طلحة والزّبير. وقد تقدّمت إليهما بالنذر، واستشهدت عليهما صلحاء الأمّة، ونكثهما بالبيعة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا النّاصحين.

ولاذ أهل البغي بعائشة، فقتل حولها عالم لا يحصي عدد هم إلا الله.

ثمّ ضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا.

فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما

جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربّها ونبيّها من الحرب، واغترار من اغترّ بها، وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين، وسفك دماء المسلمين، بلا بيّنة، ولا معذرة، ولا حجّة لها.

فلمّا هزمهم الله أمرت أن لا يقتل مدبر، و لا يجهز على جريح، ولا يكشف عورة، ولا يهتك ستر، ولا يدخل دار إلاّ بإذن أهلها، وقد آمنت النّاس.

وقد استشهد منّا رجال صالحون، ضاعف الله لهم الحسنات، ورفع درجاتهم، وأثابهم ثواب الصّابرين، و جزاهم من أهل مصر عن أهل بيت نبيّهم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمته.

فقد سمعتم وأطعتم، ودعيتم فأجبتم، فنعم الإخوان والأعوان على الحقّ أنتم..

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة ستّ وثلاثين»**(1)**.

---

(1) الجمل ص403 و 404 و (ط مكتبة الداوري) ص215 و 216 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص252 والشافي في الإمامة ج4 ص330 وتلخيص الشافي ج4 ص136 ومستدرك الوسائل ج11 ص52 ونهج السعادة ج4 ص76.

ونقول:

في هذه الرسائل المباركة إشارات إلى الكثير من الحقائق والدقائق التي يحتاج إليها الناس في تعاملهم مع القضايا المشابهة.

وليس بمقدورنا الدخول في تفاصيلها، أو التصدي لبحثها واستخلاصها، لأسباب عديدة، أهمها: أننا لسنا أهلاً لفهم كثير من مرامي كلامه «عليه السلام».

من أجل ذلك: نرى لزاماً علينا الإقتصار على الإشارة إلى أجواء الرسائل بصورة عامة، ضمن النقاط التالية:

1 ـ يبدو: أنه «عليه السلام» كان قد ولى ابن عباس على البصرة حتى قبل دفن الشهداء في حرب الجمل، كما دل عليه سياق الكلام حين أراد أن يكتب رسالته إلى أهل المدينة..

2 ـ إنه «عليه السلام» لم ينسب شيئاً مما تحقق في تلك الحرب إلى نفسه، بل نسبه إلى الله تعالى..

3 ـ إنه «عليه السلام» قد اعتبر: أن ما جرى في حرب الجمل هو مِن مَنِّ الله عليه وعليهم، وحسن بلائه عنده وعندهم، من حيث هو حكم عدل..

والكلام إنما هو مع أهل المدينة**!!**

4 ـ قد ذكر أيضاً: أن ما جرى في حرب الجمل كان حكماً من حَكَمٍ عدل، وهو الله سبحانه على أناس مجرمين..

5 ـ ويلاحظ: أنه «عليه السلام» يحرص على التذكير بكل ما فعله في سبيل منع الناكثين من إشعال الحرب، فلم ير استجابة منهم. ويؤكد: أن الحرب قد فرضت عليه فرضاً..

6 ـ إنه «عليه السلام» لم يضمِّن كلامه أي كلام فيه تجريح شخصي، بل هناك توصيف لفعل الناكثين: بأنه ظلم ونكث، وخروج على أحكام الشريعة..

7 ـ إنه «عليه السلام» لم ينس التذكير بنتائج الحرب من خلال الإشارة إلى القتلى بأسمائهم، أو بالإلماح إلى أعدادهم الكبيرة..

8 ـ إنك لا تجد في رسائله هذه أي ثناء على القوة، بل لا تجد فيها ما يميزها عن مثيلاتها من كلماته وبياناته التي كانت قبل الحرب، بل هي تجري معها على وتيرة واحدة، لم تتغير فيها لهجة الخطاب مع الناس، ولم يضمنها أكثر من بيان سردي للوقائع، وفق ما يفرضه منطق الدين، والحق، والإنصاف.

أهمية الإعلام عند الإمام ×:

وقد رأينا أن الإمام «عليه السلام» يولي الإعلام الصحيح والمسؤول أهمية بالغة حين أرسل إلى أهل الكوفة رجلاً ليستعلموا منه ما جرى في حرب الجمل، ولم يترك الأمر للمبادرات الشخصية لهذا وذاك، لأنها تفسح المجال لكل أحد بأن يضخ في الناس ما يحلو له من إشاعات مغرضة، أو معلومات منتقاة، أو مطعَّمة بالأهواء

السياسية، أو ممزوجة بما تفرزه الولاءات، والعصبيات، والنعرات، أو ما تقود إليه المصالح الفئوية، أو العشائرية، أو الشخصية الضيقة..

إنه «عليه السلام» كان يعلم: أن أعداءه ومناوئيه وحاسديه، وأتباعهم وأشياعهم لن يتركوا الأمور على طبيعتها، بل سيكونون أكثر حرصاً وأشد توثباً للنيل منه، والعبث بأمن الناس، وبفكرهم ومفاهيمهم واعتقاداتهم، بالتوسل بلطائف الحيل..

من أجل ذلك، ولكي يضيق المجال على هؤلاء: حدد للناس مصدراً يستقون منه أخبار الحرب، ويرجعون إليه في تمييز الغث من السمين مما يذاع ويشاع فيهم.

وبذلك يكون قد حفظ للناس السلامة الإعلامية إلى أقصى حد ممكن، وطبع الناس بطابع الحقيقة، وحفظها لهم على درجة من السلامة والنقاء، وذلك بتحديده مرجعية إعلامية لهم لا يجدون حرجاً بالرجوع إليها، واستقاء معلوماتهم منها..

خطبة أمير المؤمنين × في ذم أهل البصرة:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

روى نصر عن عمر بن سعد، عن أبي خالد، عن عبد الله بن عاصم، عن محمد بن بشير الهمداني، عن الحارث بن سريع قال:

لما ظهر أمير المؤمنين «عليه السلام» على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على

رسوله وقال:

أيّها النّاس، إن الله عز وجل ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة، لأهل طاعته، وقضى أنّ نقمته وعقابه على أهل معصيته.

وفي نص آخر: ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة، وعفو جم، وعقاب أليم، قضى أن رحمته ومغفرته، وعفوه لأهل طاعته من خلقه، وبرحمته اهتدى المهتدون، وقضى أن نعمته وسطوته وعقابه على أهل معصيته من خلقه.. وبعد الهدى والبينات ما ضل الضالون فما ظنكم يا أهل البصرة وقد نكثتم إلخ..(1).

يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة، ويا جند المرأة، وأتباع البهيمة، رغا فرجفتم، وعقر فانهزمتم، أحلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، و دينكم نفاق، وأنتم فسقة مراق، أنتم شرّ خلق الله.

أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء.

خفت عقولكم، وسفهت أحلامكم.

شهرتم سيوفكم علينا، وسفكتم دماءكم، وخالفتم إمامكم.

فأنتم أكلة الآكل، وفريسة الظافر.

والنار لكم مدّخر، والعار لكم مفخر.

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص230 - 231 عن الإرشاد للمفيد ص137 و (ط دار المفيد) ج1 ص257 و الجمل لابن شدقم ص150.

يا أهل البصرة نكثتم بيعتي، وظاهرتم عليّ ذوي عداوتي.

فما ظنكم يا أهل البصرة الآن؟![1].

فقام إليه رجل منهم، فقال: نظنّ خيراً يا أمير المؤمنين، ونرى أنك ظفرت وقدرت، فإن عاقبت فقد أجرمنا، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى ربّ العالمين.

فقال «عليه السلام»: قد عفوت عنكم، فإيّاكم والفتنة، فانكم أوّل من نكث البيعة، وشقّ عصا الأمة، فارجعوا عن الحوبة، واخلصوا فيما بينكم و بين الله بالتوبة.

ولما فرغ «عليه السلام» من خطبته وكلامه لأهل البصرة ركب بغلته، واجتمع إليه جماعة من شرطة الخميس، وطوائف من

---

(1) الجمل للمفيد ص407 و 408 و (ط مكتبة الداوري) ص217 و 218 وقال في هامشه: راجع: عيون الأخبار ج1 ص217 والأخبار الطوال ص151 - 152 وتفسير القمي ج2 ص339 - 390 والعقد الفريد ج4 ص328 ومروج الذهب ج2 ص377 ونهج البلاغة ص55 - 56 خ13 و 14 ونثر الدر ج1 ص315 ومناقب الخوارزمي ص189 والإحتجاج ج1 ص250 ومعجم البلدان ج1 436 وتذكرة الخواص ص79 - 80 وبحار الأنوار ج32 ص225 - 226 وفي شرح هذه الخطبة راجع: منهاج البراعة ج1 ص160 - 163 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص251 - 252.

الناس(1).

وفي نص آخر: ثم جلس للناس فبايعوه(2).

قال الزبيدي:

الشرطة: بالضم واحد الشرط: وهم أول كتيبة تشهد الحرب، وتتهيأ للموت، وهم نخبة السلطان من الجند، وطائفة من أعوان الولاة.

وإنما سموا بذلك، لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها(3).

وقال الكشي:

روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي يوم الجمل: أبشر يا ابن يحيى، فإنك وأباك من شرطة الخميس حقاً، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سماكم شرطة الخميس على لسان نبيه

---

(1) الجمل للمفيد ص408 و (ط مكتبة الداوري) ص218 وراجع أيضاً: الإرشاد ص137 و (ط دار المفيد) ج1 ص257 وبحار الأنوار ج32 ص230 - 231.

(2) بحار الأنوار ج32 ص231 عن الإرشاد ص137 و (ط دار المفيد) ج1 ص257.

(3) تاج العروس (ط الكويت) ج19 ص407 و 408 و (ط دار الفكر) ج10 ص307 وتحفة الأحوذي ج10 ص236 وبحار الأنوار ج42 ص151 عن القاموس ج2 ص368 .

«صلى الله عليه وآله»، وذكر أن شرطة الخميس كانوا ستة آلاف رجل، أو خمسة آلاف[1].

وظاهر هذا الحديث: أن شرطة الخميس أمر استحدثه المسلمون في جيوشهم، ولم يكن ذلك في الجاهلية. كما يشير إليه قوله «عليه السلام»: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي سماهم بـ «شرطة الخميس».

وقد يكون ـ بل لعل ذلك هو الظاهر ـ: أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي أنشأ هذه الفرقة المقاتلة.. فدلنا بذلك: على رجحان إنشاء أمثالها في كل جيش، فإن وجود فرقة على استعداد للتضحية حتى الموت، حين يقتضي الأمر ذلك، أمر ضروري، ومفيد جداً في حل المشكلات، ومواجهة المعضلات..

جند المرأة، وأتباع البهيمة:

ومن كلام له «عليه السلام» في ذم أهل البصرة:

كنتم جند المرأة. وأتباع البهيمة. رغا فأجبتم. وعقر فهربتم. أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق.

---

(1) راجع: إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص5 و 6 و (نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص24 والإختصاص ص2 ـ 5 و (ط دار المفيد) ص7 وراجع: خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص191 و 192 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص44 .

والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه.

كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة، قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها، وغرق من في ضمنها.

وفي رواية: وأيم الله، لتغرقن بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة. أو نعامة جاثمة.

وفي رواية: كجؤجؤ طير في لجة بحر.

وفي رواية أخرى: بلادكم أنتن بلاد الله تربة، أقربها من الماء، وأبعدها من السماء. وبها تسعة أعشار الشر.

المحتبس فيها بذنبه، والخارج بعفو الله.

كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد، كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر(1).

قال المعتزلي: قوله: «وأتباع البهيمة»، يعنى الجمل، وكان جمل عائشة راية عسكر البصرة، قتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها(2).

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص45 و 46 الخطبة رقم 13 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج2 ص18 و 19 وبحار الأنوار ج32 ص254 وج57 ص224 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص251.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص252.

ونقول:

لاحظ البيانات التالية:

قريبة من الماء:

قال الرضي: قال علي «عليه السلام» في ذم أهل البصرة:

أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء.

قال عبد الحميد بن أبي الحديد ما مفاده: إن معنى قوله: قريبة من الماء: قربها من البحر، فإنها غرقت في بحر فارس مرتين: مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله، كما أخبر «عليه السلام» في أخباره بالملاحم: بأنها تغرق، ويبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة، فصارت كما قال(1).

بعيدة من السماء:

قال المعتزلي أيضاً ما مضمونه:

معنى قوله «عليه السلام» بعيدة من السماء: أنه دلت الأرصاد والآلات النجومية على أن أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدل النهار هو الأبلة، والأبلة قصبة البصرة.

قال: وهذا الموضع من خصائص أمير المؤمنين «عليه السلام»،

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص253 و 268 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري ص124.

لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب، ولا تهتدي إليه، وهو مخصوص بالمدققين من الحكماء. وهذا من أسراره وغرائبه البديعة(1).

ما هذه القسوة على الناكثين؟!:

إن كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» مع أهل البصرة بعد تقسيم ما حواه العسكر، لعلها لا يقصد بها جميع أهل البصرة، بل المعني بها خصوص الناكثين منهم، ويبدو: أنهم كانوا معظم أهلها.. ولذلك جعل يخاطب عموم أهل البصرة، من دون التنصيص على فريق بعينه..

ولكنه إنما اعتمد هذه الطريقة في خطابه لهم، بعد أن استثنى منهم الذين هم في طاعة الله سبحانه، وقد ذكر أنهم مخصوصون من الله تعالى بأمرين:

أولهما: أنهم في رحمته الواسعة. التي لا تتقيد بقيود، ولا تحد بحدود.. بخلاف أهل معصيته، فإن سعة رحمته لهم مرهونة برجاء طاعتهم، وتتحدد بحدود المصالح التي تفرض نفسها في حفظ سلامة مسيرة الحياة، في خط العدل، وحاكمية السنن..

الثاني: المغفرة الدائمة التي لا يستغني عنها العاملون في سبيله، لحفظ خط السلامة من تسويلات الأهواء، ومن الزلات والأخطاء،

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص253 و 268 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري ص124.

التي يتداركونها بالندم، والتوبة النصوح..

وهذا ما لا يناله العصاة والمتمردون عليه تبارك وتعالى.. بل هم يستحقون النقمة والعقاب..

ثم خصّ «عليه السلام» الناكثين وأهل المعصية بكلام هام، هو لب اللباب، وعمدة الأسباب في كل ما جرى لهم، وإن استمروا على هذا الحال فسيجري لهم ما هو أدهى منه وأعظم، فإنما أول الغيث قطرة ثم ينهمر..

فليس في كلامه «عليه السلام» أية مبالغة أو قسوة، وإنما هو تعبير دقيق عن واقع كان لا بد من التعبير عنه بصراحة وصدق.. ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة..

وليس بمقدورنا استخلاص كل المعاني والدقائق التي أشار إليها «عليه السلام»، فإن ذلك يحتاج إلى دراسة معمقة، ووقت طويل، فلا محيص لنا من الإكتفاء باللمحات التالية:

1 - إنه «عليه السلام» قد بيَّن أن أهل البصرة قد استجمعوا كل عناصر السقوط والتخلف، والإنحطاط بصورة مخيفة.. فهم أهل بلدة مؤتفكة.

ولعل المراد: أنها متقلبة بأهلها، بسبب اختلاف آرائهم، وأهوائهم، وولاءاتهم، وكثرة الإفك والكذب فيهم..

وبلد كهذا لا يستطيع أن يخطط للمستقبل، ولا يملك من التماسك، والتلاقي، وليس بين أهله من الثقة وتلاقي الرغبات ما يمكنهم من

إصلاح ما فسد، فضلاً عن القدرة على تحقيق أي إنجاز في المستقبل..

2 ـ إنهم جند المرأة، وأتباع البهيمة. رغا فأجابوا، وعقر فانهزموا. وهذا يشير إلى أن الضعف في الرأي والقرار بلغ بهم حداً ليس فقط قد سلموا أمورهم السياسية لامرأة، مع أن السياسة تحتاج إلى حسن تدبير، وسلامة تقدير، وجودة رأي، والتزام بالضوابط الشرعية.

ويشك كثيراً في أن تتمكن امرأة من توفير ذلك.

اللهم إلا أن يظن ظان: أن عائشة ليست كسائر النساء، فهي زوجة نبي وبنت خليفة، ولعلها استطاعت أن توهمهم بأنها قادرة على القيام بهذه المهمة، ولو لفترة وجيزة، وإلى حين انفراج الأزمة، وحل العقدة..

وهذا الظن لا يغني من لحق شيئاً، فقد رووا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة[1].

---

(1) صحيح البخاري ج9 ص70 و (ط دار الفكر) ج5 ص136 وج8 ص97 والمستدرك للحاكم ج4 ص291 و 524 و 525 وتذكرة الخواص ج1 ص369 والسنن الكبرى للبيهقي ج3 ص90 وج10 ص117 ومجمع الزوائد ج7 ص234 وفتح الباري ج8 ص97 وعمدة القاري ج18 ص58 وج24 ص204 وتحفة الأحوذي ج6 ص447 وكشف الخفاء ج2 ص150 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص240 والبداية والنهاية (ط

ولكن الأدهى والأمر، والأخطر، والأضر، والأسوأ والأشر، أن يجعلوا من أنفسهم جنداً لتلك المرأة، وأن يسلموها أرواحهم، وأعراضهم، وأموالهم، وكل مصيرهم في الدنيا والآخرة. فإن هذا ليس فقط يحتاج إلى حسن التدبير والتقدير، وجودة الرأي، والمعرفة بالأحكام، وإلى الجاه والمقام والكلمة المسموعة. فإنه يحتاج أيضاً إلى الخبرة العسكرية، والسياسة، والإجتماعية، وإلى الشجاعة والحزم، وإلى الإرادة والجزم، وإلى العلم الغزير، والقلب الكبير، والعصمة عن العمل بغير ما يرضي الله سبحانه، وأن يكون الله تعالى قد رخص بالتصدي لما يراد له أن يتصدى له..

فجعل أنفسهم جند امرأة لم يأذن لها الله بالتصدي لقيادة الجيوش، ولا تملك من العلم والمعرفة، ومن الملكات، والميزات، والقدرات والمؤهلات، ومن الورع عن محارم الله، بل هي عاصية لله تعالى بنفس حضورها بينهم، فضلاً عما سوى ذلك.. إن ذلك يمثل قمة السقوط والإنحطاط، والبعد عن مواقع الكرامة الإلهية.. ولا نريد أن نقول أكثر من هذا..

3 - ويزيد هذا الواقع مرارة: أنهم في حين جعلوا أنفسهم جنداً

دار إحياء التراث) ج6 ص237 وإمتاع الأسماع ج13 ص231 والعمدة لابن البطريق ص455 وبحار الأنوار ج32 ص194 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص227 وسنن النسائي ج4 ص305 والترمذي، أبواب الفتن ج9 ص119 ومسند أحمد ج5 ص38 و 43 و 47 و51.

للمرأة، فإنهم قد جعلوا مدار حركتهم، وعنوان إقدامهم وإحجامهم بهيمة غرهم هيكلها، وبهرتهم حركتها، ودغدغ أحلامهم صوت رغائها، وهذا الإنبهار بالبهيمة، ثم الإتباع لها، يدل على تدنٍ خطير في مستوى التفكير. حيث أصبحت الأشكال والأحجام هي التي تحركهم، وبها ارتبط مصيرهم ومسيرهم، وحياتهم وموتهم، ولم يعد لديهم قضية يدافعون عنها ويهتمون بها إلا هذه البهيمة.

بل إن راكبة تلك البهيمة نفسها لم يعد لها في مخيلتهم حضور، أو ظهور إلا بمقدار سماع الأوامر والزواجر. ولكن المحور الذي تجتمع عليه القلوب، وتحتضنه المشاعر هو البهيمة نفسها.

فلما عقر الجمل انفرط عقدهم، وتفرق نظامهم، وتاهوا في كل اتجاه، وكأنها جمرة صب عليها الماء..

4 - ومن مظاهر انحطاطهم وفشلهم: أن أحلامهم كانت دقاقاً.. ولعله كناية عن قصور أحلامهم وعقولهم عن إدراك الحقائق الكبرى، فلم تكن لهم نظرة مستوعبة، بل كانوا يعيشون في دائرة المدركات الصغيرة، والخاصة الحسية منها، أو القريبة من الحس، من دون أن تكون لديهم القدرة أو الرغبة في تجاوزها إلى ما هو أوسع، وأنفع، فلم يكن لديهم بعد نظر، ولا استشراف للمستقبل، بل محدودية، وانغلاق وقصور ظاهر..

5 - وحين يصل الأمر إلى العلاقة بالآخرين، فإنها لا تخضع لضابطة، ولا تحميها أية ضمانة، فهم لا يرعون عهداً، ولا يرقبون

في غيرهم إلاًّ ولا ذمة، فسلامهم حرب، وأمانهم شقاق، وعداوة وخلاف..

6 ـ كما أنه ليس لديهم وازع داخلي، من دين أو ضمير، أو وجدان، لأن دينهم نفاق. وهم فساق مراق..

7 ـ وإذا فقدت الكوابح، من الداخل والخارج، فكيف يمكن ضبط الحركة، والسيطرة على السلوك، ووضع الأمور في نصابها.

ولأجل ذلك: جاءت النتيجة الطبعية هي قوله «عليه السلام»: أنتم شر خلق الله.. وقد استدل على هذه الحقيقة، بما يلي:

ألف: إن أرضهم قريبة من الماء، بعيدة من السماء، وهذا يجعلها عرضة للغرق، المؤدي إلى هلاك أهلها أو كثير منهم، وإلى زوال الحضارات والمنجزات.

كما أن هذا الخطر الدائم والداهم يؤثر على تبلور الرغبة بالتأسيس للأعمال الكبيرة والخطيرة، التي تكرس حب الإنسان لأرضه، وتعلقه بها، وتؤسس لإنجازات كبيرة ورائدة.. فيؤدي إلى الركود والخمود والهمود في مختلف المجالات الحيوية. كالثقافة والإقتصاد، والعمران، وما إلى ذلك..

ب: خفة عقولهم، حيث ينصرفون إلى الأمور الصغيرة، والتافهة، ويتعلقون بالقشور، ويفقدون الرغبة في تنمية مواهبهم، وزيادة قدراتهم العلمية والفكرية، والثقافية، والحياتية بصورة عامة..

ج: سفه الأحلام، حيث يبادرون إلى اتخاذ قرارات سفيهة، يكون

ضررها أكبر من نفعها، بل قد تكون سبباً في تدمير حياتهم ومستقبله.. فقادهم ذلك إلى ثلاثة أمور، هي التالية:

الأول: إنهم قد شهروا سيوفهم في غير الموضع الذي يجب أن تشهر فيه..

الثاني: إنهم سفكوا دماءهم، بدل أن يكونوا حافظين لها، كأشد ما يكون الحفظ.

الثالث: إنهم خالفوا إمامهم، بدل أن يطيعوه، ويكونوا عوناً له..

آثار ونتائج:

وكانت عاقبة ذلك:

ألف: أنهم أصبحوا أكلة الآكل.. فلم يعد لهم حرمة تمنع..

ب: فريسة الظافر، فليست لهم قوة تدفع.

ونتج عن ذلك:

أولاً: أن عاقبتهم هي النار، وغضب الجبار.

ثانياً: أنهم يفتخرون بما هو عار عليهم. وهو أنهم شهروا السيوف في غير مواضعها. وسفكوا دماء أنفسهم. وخالفوا إمامهم.. وهذه مخازٍ يأنف العقل وأهل الخير والصلاح من أن تنسب إليهم..

ما ترون أني فاعل بكم:

وكان من نتائج هذا الموقف: أن أهل البصرة قد أبصروا بعض رشدهم، وعرفوا بعض ما ينبغي لهم أن يعرفوه.. وما أروعها من

كلمة قالها «عليه السلام» لأهل البصرة هنا: «فما ظنكم يا أهل البصرة الآن»؟!

فإنها تحمل نفس مضمون قول النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل مكة يوم فتح مكة: «يا معشر قريش، ماذا تظنون أني فاعل بكم»؟!

فأجاب أهل البصرة علياً «عليه السلام»:

«نظن خيراً يا أمير المؤمنين، ونرى أنك ظفرت وقدرت، إن عاقبت فقد أجرمنا، وإن عفوت فالعفو أحب إلى رب العالمين».

وبهذا تقريباً أجاب أهل مكة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث قالوا له: «نقول خيراً، ونظن خيراً، نبي كريم، وأخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت».

فقال علي «عليه السلام» لأهل البصرة: «قد عفوت عنكم، فإياكم والفتنة، فإنكم أول من نكث البيعة، وشق عصا الأمة، فارجعوا عن الحوبة، وأخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة».

أما رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقد قال لأهل مكة:

«أقول لكم كما قال أخي يوسف: **(لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)**[1]. اذهبوا فأنتم الطلقاء»..

فهل ترى فرقاً بين ما جرى للنبي «صلى الله عليه وآله» مع قريش، وأهل مكة، وما جرى لأخيه ووصيه علي أمير المؤمنين

---

(1) الآية 92 من سورة يوسف.

«عليه السلام» مع الناكثين في البصرة؟!

المقيم مرتهن بذنبه:

وورد في رواية نهج البلاغة للنص المتقدم قوله «عليه السلام» لأهل البصرة: «المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة ربه..».

والمراد: أن من يقيم بينكم، وهو يراكم تعصون الله سبحانه، إن سكت كان آثماً، وإن اعترض، ولم يسمع منه، فلا يجوز له القعود بينكم، فالمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه والظاعن عنكم هو الذي تداركته رحمة ربه، فألهم الخروج..

الإخبار بالغيب:

ثم إنه «عليه السلام» عطف إلى الإخبار بالغيب عن غرق البصرة بالذات، ليدلهم أنه «عليه السلام» من هو الذي يملك علم الإمامة، وهو العلم الذي حباه به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، دون كل أحد..

وقد صرح «عليه السلام»: بأن هذا الغرق ليس عادياً، بل له خصوصية، وهي أنه عذاب من الله تعالى لأهلها على ذنوبهم.

كما أنه «عليه السلام» قد بين لهم: أن في بلدهم هذا تسعة أعشار الشر. ولعله لتوفر موجباته فيها.. وهي أنواع كثيرة وأكثره متوفر في ذلك البلد..

أنا فقأت عين الفتنة:

عن زر بن حبيش قال: سمعت علياً يقول: أنا فقأت عين الفتنة، ولولا أنا ما قوتل أهل النهروان، ولا أصحاب الجمل. ولولا أني أخشى أن تتكلوا فتدعوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصراً بضلالهم، عارفاً للهدى الذي نحن عليه(1).

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام»، أنه قال: «أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجرؤ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها، واشتد كلبها».

أضاف في رواية أخرى قوله «عليه السلام»: «لو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون».

أو «ما قوتل فلان، وفلان».

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص304 و 316 وج33 ص356 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص165 وكشف الغمة (ط بيروت) ج2 ص129 و (ط دار الأضواء سنة 1405هـ) ج1 ص244 وعن كتاب حلية الأولياء ج1 ص186 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص324 و (ط مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران) ص146 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص298 والغارات للثقفي ج1 ص16 وشرح الأخبار ج2 ص39 ونهج السعادة ج2 ص435 و 436 وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج8 ص698.

أو «ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان»(1).

وقد قال عدي بن حاتم: «لو غير علي دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان، وفي يده من الله سبب»(2).

نعم، لقد كانت حرب هؤلاء جميعاً مخاطرة كبرى، لا يمكن الإقدام عليها لأي كان من الناس إلا لأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام. ولأجل ذلك نجد أبا بكر لم يقدم على قتال أهل القبلة إلا بعد أن ادعى أنهم قد ارتدوا عن الإسلام.

والسر في صعوبة قتالهم يرجع إلى الأمور التالية:

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) الخطبة رقم 89، وتاريخ اليعقوبي ج2 ص193 والغارات للثقفي ج1 ص6 و 7 و 16 وحلية الأولياء ج4 ص186 وج1 ص68 وكنز العمال ج11 ص285 ورمز له بـ: (ش، حل، والدورقي) وبحار الأنوار (ط قديم) ج8 ص556 و (ط جديد) ج32 ص316 وكشف الغمة ج1 ص244 والبداية والنهاية ج7 ص289 - 294 وترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق ج3 ص175 وكفاية الطالب ص180 والخصائص للنسائي ص146.

وفي شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص57: إن «هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير، وهي متداولة، منقولة، مستفيضة».

(2) الإمامة والسياسة ج1 ص121 و (تحقيق الزيني) ج1 ص106 و (تحقيق الشيري) ج1 ص141 وبهج الصباغة ج4 ص264.

1 ـ إنهم من أهل القبيلة.. ولا يقدم أهل دينهم على قتالهم بسهولة، فكيف إذا كانوا يرفعون شعاراً دينياً أو إنسانياً.

2 ـ لقد كان الناكثون بزعامة طلحة والزبير، وهما من الصحابة، ولكن نفوذهما لما كان محدوداً، فقد لجأ إلى عائشة أم المؤمنين، وزوجة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وابنة أبي بكر، ومدللة عمر بن الخطاب، الذي كان العرب مفتونين به، بسبب سياساته التي تكرس لهم الإمتيازات.

فاحتميا بظلها وهي المرأة الطموحة، والذكية، والجريئة جداً، التي استطاعت أن تصنع لنفسها عرشاً خيالياً من الفضائل والأوسمة من خلال الأحاديث التي تتحدث عنها، والتي نسبتها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فوجدا أنها أشد منهما حماساً لحرب علي «عليه السلام».

3 ـ أما القاسطون، فكانوا بزعامة معاوية، الذي كانت له حظوة مميزة عند عمر، ثم عند عثمان، وقد حكم الشام سنوات طويلة، وطبع أهلها بطابعه، ورباهم على نهجه، فأصبح أهل تلك البلاد لا يعرفون سوى الإسلام الأموي السفياني. إسلام الأطماع والشهوات، والمآثم والموبقات.

وكان معاوية متمرساً في فنون المكر، والغدر، وفي إشاعة الشبهات والأضاليل. وقد وظف قتل عثمان في الكيد لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وجعله ذريعة للتمرد عليه.

4 ـ وأما المارقون، فهم أصحاب الجباه السود، الذين خدعوا الناس، ولا سيما البسطاء منهم بكثرة صلاتهم، وقراءتهم للقرآن، وإظهارهم الزهد والتقوى، فظن الناس أن هذه العبادة تنطلق من عقل راجح، وحكمة قويمة، ومن معرفة وعلم ووعي ونوايا صحيحة وسليمة.

فلم يكن حرب أمثال هؤلاء وأولئك بالأمر السهل، ولا تخليص الأمة منهم ممكناً لولا أن علياً «عليه السلام» هو الذي تصدى لهم بما له برصيد فريد من الميزات، والفضائل والكرامات، وبما حباه الله تعالى به من حكمة وعلم وتدبير، ورعاية ربانية، وأسلوب فريد وعتيد اعتمده «عليه السلام»، مكَّنه من كشف أمر هذه الجماعات، وتعريتها من أمام الناس. فاندفعوا لحربه، ونصر الله تعالى أولياءه، وكبت أعداءه، بالرغم من الحشد الهائل الذي جمعوه لحربه «عليه السلام» في الجمل، وصفين والنهروان، وبالرغم من الإمتيازات التي كانت تعطيهم المزيد من القوة والأرجحية العسكرية..

أما أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» فرغم أن بيعته قد جاءت في أعقاب ثورة عارمة أودت بحياة الخليفة الثالث عثمان. ورغم أن الأخطبوط الأموي، الذي كان غير مرتاح لوصوله «عليه السلام» إلى الحكم. كان يعمل بجدٍ وجهد بالغ على وضع العراقيل، وخلق المشاكل الكبيرة أمام مسيرة العدالة وحاكمية خط الشريعة، بقيادته «صلوات الله وسلامه عليه».

نعم.. ـ رغم ذلك ـ فإنه «عليه السلام» كان له من المكانة فيما بين المسلمين، ما لم يكن لكل أحد سواه آنئذ, وكانت الأمة لا تزال تسمع من، وعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، الكثير الكثير في حقه، وتأكيد عظيم فضله ومنزلته، فهو مع الحق، والحق معه، وهو مع القرآن والقرآن معه، يدور معه حيث دار(1).

وفي نص آخر عنه «صلى الله عليه وآله»: علي مع الحق، والحق مع علي وهو مع القرآن والقرآن معه، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض(2).

وهو «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه وآله» بمنزلة هارون من موسى، وهو اخو النبي، ووصيه، ووزيره، وخليفته، وولي كل مؤمن من بعده، إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى لكثرته، وتنوع نصوصه.

---

(1) كشف الغمة ج2 ص35 وج1 ص141 - 146 والجمل للمفيد ص36 وتاريخ بغداد ج14 ص321 والمستدرك الحاكم ج3 ص119 و 124 وتلخيصه للذهبي (بهامشه)، وراجع نزل الأبرار ص56 وفي هامشه عن: مجمع الزوائد ص7 ص234 وعن كنوز الحقائق ص65 وكنز العمال ج6 ص157 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج18 ص72.

(2) ربيع الأبرار ج1 ص828 و 829 وراجع: ينابيع المودة ج1 ص269.

وذلك كله يجعل قتاله «عليه السلام» للخوارج، وحتى لعائشة، أم المؤمنين زوجة رسول الله، وبنت أبي بكر، ومدللة الخليفة عمر بن الخطاب فضلاً عن حربه لطلحة والزبير وغيرهما ـ يجعل ـ حربه لهؤلاء دليلاً صريحاً على تنكبهم جادة الحق، وعلى تعديهم، وعلى خطئهم في مواقفهم.

وقد قال ابن قتيبة، بعد أن أشار إلى اختلاف أهل العراق في صفين:

«ثم قام عدي بن حاتم، فقال: أيها الناس، إنه والله لو غير علي دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان، وفي يده من الله سبب»(1).

والذي كان يربط على قلوب الناس، ويأخذ بأعناقهم إلى التسليم والإذعان هو ما يرونه غزارة علمه، وصحة وسلامة مسيرته من صدق إخباراته الغيبية «عليه السلام» حسبما ذكرناه.

يضاف إلى ذلك: أن العدد الهائل من الصحابة الذين كانوا معه، ويجاهدون تحت لوائه في حروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين.

وقد تحدثنا عن هذه الأمور في بعض الفصول السابقة، وسيأتي المزيد من ذلك إن شاء الله..

---

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص121 و (تحقيق الزيني) ج1 ص106 و (تحقيق الشيري) ج1 ص141 وبهج الصباغة ج4 ص264 عنه.

والخلاصة: أنه «عليه السلام» ابن عم الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأخوه، ووصيه، وأعلم الناس بربه، وسنة نبيه، وأعلمهم بالقرآن وبتأويله، وله الرصيد العظيم من الفضائل التي صرح بها القرآن وقررها الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولو لم يكن منها إلا آية المباهلة، وإلا قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: علي مع الحق، والحق مع علي لكفى.

وقد زاد الأمر وضوحاً: السلوك الفريد والمتميز الذي لم يره الناس إلا في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد كانت حكومته «عليه السلام» المثال الكامل لحكومة الحق، والعدل والخير، والشرع.

فلا أثر ولا مكان فيها للخداع، ولا للحيف، ولا للكيد السياسي، ولا مجال فيها للمساومة على أي شيء صغر أم كبر.

الفـــهـــــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل السادس: علي × يوضح ويبين.................................... 7

الفصل السابع: وقفات مع إيضاحات علي ×.. 33

الفصل الثامن: ناجون أم هالكون؟!:...................................... 59

الفصل التاسع: سامري هذه الأمة.. 77

الباب الخامس عشر:الطلاق.. أو الرحيل..

الفصل الأول:علي × وعائشة.. 101

الفصل الثاني: علي × يهدد عائشة بالطلاق.. 131

الفصل الثالث: طلاق عائشة في رواية الأشعري.................. 165

الفصل الرابع: رحيل عائشة... 205

الباب السادس عشر: اللمسات الأخيرة..

الفصل الأول: أحداث ذات مغزى.. 231

الفصل الثاني: من صفيراء.. إلى حميراء.. 263

الفصل الثالث: خطب.. ورسائل.. 297

الفهارس: 349

2 - الفهرس التفصيلي

الفصل السادس: علي × يوضح ويبين..

خطبة توضيحية بعد الحرب:... 9

الفصل السابع: وقفات مع إيضاحات علي ×..

الصلاة الجامعة ثلاثة أيام:... 35

الحضور الإلزامي لماذا؟!:.. 36

الغيب في خطاب علي ×: 36

المطلوب هو نشر أخبار الغيب: 37

شهيدهم بمنزلة شهداء بدر: 37

تفسير بضع كلمات:... 38

التوبيخ.. والثناء:.. 38

إيضاحات يسيرة:.. 40

أهل البيت هم المرجعية الحقيقية:.. 40
الإحتجاج بالنص: 42
الكثرة والقلة:... 43
لأهل البدعة خصوصية: 43
لماذا الجرأة؟!:.. 44
لماذا لم يسترق ولم يقسم الأموال؟!: 46
أدركها رأي النساء:.. 48
أسباب بغض عائشة لأمير المؤمنين ×:............................. 50
تأثير العاهات النفسية:.. 56
الإفك على عائشة!!:... 56

الفصل الثامن: ناجون أم هالكون؟!

سيرة علي × في أهل البصرة:.. 61
لماذا الكف والمن؟!: 63
عمار يسأل أصحاب الجمل:... 63
نجا القادة، وهلك الأتباع:.. 66
نجاة القادة وهلاك الأتباع: 68
محاربوا علي × بين الهلاك والنجاة: 71

الفصل التاسع: سامري هذه الأمة..

علي × والحسن البصري:... 79

مناقشة السند والمضمون:.. 81

الحسن البصري كان منحرفاً عن علي ×:............................ 83

ما يستوقفنا في الرواية:.. 86

الحسن البصري سامري هذه الأمة:.................................... 89

أيهما السامري: الأشعري، أم الحسن البصري؟!:............ 91

هل يكون السامري غلاماً؟!:... 93

السامري كان سخياً: 95

السامري لا يزال حياً: 96

ما يحتاج إلى تفسير: 97

الباب الخامس عشر: الطلاق.. أو الرحيل..

الفصل الأول:علي × وعائشة..

ابن عباس أولاً: 103

علي × يواجه عائشة: 108

علي × وعائشة برواية الطبري: 110

تهديد عائشة بنسوة من بكر:.. 112

أخطأت السنة:... 113

بنت أم رومان:... 113

لست بأبيضهن لوناً، ولا بأحسنهن وجهاً: 114
بغلة رسول الله ' أم جمل عائشة؟!: 114
نظر إليها فعرفها: 115
ألا تنحين كلابك عني!!: 118
عقوبة من وقع في عائشة: 119
طلاق عائشة في فصل مستقل: 121
النص الأقرب إلى القبول:... 121
لا تشويش في الرواية:... 125
صغروا اللحى وعقصوها:... 125
حملنا علياً × فأنزلناه:.. 126
زيد بن حارثة: 127
سبعة من أفضل الخلق:... 128

الفصل الثاني: علي × يهدد عائشة بالطلاق..

صورة عائشة في سدافة من حرير:.................................... 133
النبي ' يخبر عائشة بالتفاصيل:... 135
لا مكافآت بلا عمل:.. 137
عائشة لا تنكر حقدها على علي ×: 138
أيقاتل النساء الرجال؟!: 139

التهديد بالفراق بالآخرة:... 139
من هم أهل بيته ′؟!:... 140
جعل لعلي × طلاق نسائه ′: 141
وقفات مع الروايات: 148
الإمام الحسن × غلام!!: 155
تهديد عبر المراسلة: 157
سبط النبي ′ أقلقها:.. 157
لماذا الإلحاح؟!:.. 158
لماذا أغلظن القول لعلي ×؟!:.. 159
صحة فهم عائشة لكلام النبي ′:...................................... 161
تبرين من الله ورسوله: 162
لا عقوبة لغير المذنب:.. 162
لا نصدق هذا الخبر: 163

الفصل الثالث: طلاق عائشة في رواية الأشعري..

رواية الأشعري:.. 167
سند الرواية عن الإمام الحجة ×:..................................... 179
لو كان الخبر صحيحاً:.. 182
الإمام لا يلهو ولا يلعب:.. 183

الذهب في بيت الإمام: 188
أحمد بن إسحاق كان حياً: 189
تفسير كهيعص: 193
أحكام لا يفتي بها الفقهاء: 196
فاخلع نعليك: 198
حب الأهل لا ينافي إخلاص الحب لله تعالى: 200
موقف اليهود من رسول الله ’ : 202

الفصل الرابع: رحيل عائشة..

إصرار عائشة على البقاء: 207
لا بد من الرحيل: 209
لماذا إلى المدينة؟!: 210
عائشة ترحل: 211
إلى المدينة لا إلى مكة؟!: 216
هل خافت من النسوة، أو من الطلاق؟!: 216
التشبه بالرجال: 217
تناقضات ومفاجأت: 219
اختلاف الروايات: 220
حراسة عائشة: 221

من تزويرات سيف:... 222

علي × وعائشة: ليتني مت قبل هذا!:................................ 223

عائشة تواصل التحريض على علي ×:.............................. 226

الباب السادس عشر: اللمسات الأخيرة..

الفصل الأول: أحداث ذات مغزى..

التوحيد هو ما يطلبه من الناكثين: 233

حذيفة يخبر عن حرب الجمل: 236

جرأة العلوج ووقاحتهم: 238

النبي ’ أخبرهم حتى بالتفاصيل:...................................... 240

علامات ودلالات:... 241

الأشتر يهدي عائشة جملاً!!:.. 242

التزوير في نص ابن عساكر: 243

جمل الأشتر: 244

ملاحظة: 244

ابن طلحة يعسوب العرب:... 245

التأسف على محمد بن طلحة: 245

سند الحديث:... 247

بصيرة علي ×:.. 250
أهوى أخيك معنا؟!:.. 254
الفتن تؤذن بالعدل!!:... 256
ابن بديل يناشد عائشة:.. 257
تزويرات الذهبي:.. 259

الفصل الثاني: من صفيراء.. إلى حميراء..

إحراق الجمل:.. 265
صفيراء.. وحميراء: 268
مناقشة لا بد منها: 272
1 ـ صفيراء زوجة نبي:... 274
2 ـ صفيراء حاربت وصي نبي:... 274
3 ـ يوشع وصي لزوج صفيراء: 276
4 ـ كان مع صفيراء رجلان:.. 276
5 ـ هتك حجاب الرسول: 277
6 ـ تبرج الجاهلية الأولى: 278
7 ـ عدد جيش صفيراء: 279
8 ـ ما أشبه الجمل بالزرافة:... 279
9 ـ أول النهار لصفيراء:... 279

10 ـ مقتلة عظيمة في جيش صفيراء:................................ 280
11 ـ هزيمة صفيراء، وانتصار يوشع ×:........................... 283
12 ـ صفيراء الأسيرة:.. 284
13 ـ المشورة المرفوضة في صفيراء:................................ 284
14 ـ يوشع يعفو عن صفيراء: 285
15 ـ علي × يحسن لعائشة: 286
16 ـ الندم والإعتراف:.. 291
صفيراء والحساب في الآخرة:... 293
17 ـ إستحياء صفيراء من موسى: 294
18 ـ جمل عائشة.. وعجل بني إسرائيل:............................ 295
19 ـ إحراق الجمل والعجل: 295
20 ـ رماد الجمل.. ورماد العجل:................................... 296

الفصل الثالث: خطب.. ورسائل..

بداية هامة:.. 299
خطبة لعلي × بعد الوقعة:... 301
علي × يخطب ويدعو الناس للتوبة: 307
خطبة الجمعة للإمام الحسن ×: 312
كتاب علي × إلى أم هانئ بنت أبي طالب:........................... 316

كتاب أمير المؤمنين × إلى أهل المدينة: 318
كتاب أمير المؤمنين × إلى أهل الكوفة:............................. 320
كتاب علي × إلى قرظة بن كعب وأهل الكوفة:..................... 322
أهمية الإعلام عند الإمام ×:.. 325
خطبة أمير المؤمنين × في ذم أهل البصرة:......................... 326
جند المرأة، وأتباع البهيمة: 330
قريبة من الماء: 331
بعيدة من السماء: 332
ما هذه القسوة على الناكثين؟!: 332
آثار ونتائج:.. 338
ما ترون أني فاعل بكم: 339
المقيم مرتهن بذنبه: 340
الإخبار بالغيب:... 340
أنا فقأت عين الفتنة:.. 341
الفهارس:.. 349
1 ـ الفهرس الإجمالي.. 351
2 ـ الفهرس التفصيلي 353